تاريخ العراق
في عهدي القره قوينلو والآق قوينلوا

(814 ـ 914 هـ / 1411 ـ 1508 م)



الاستاذ الدكتور
علاء محمود قداوي

دار عداء



تاريخ العراق

في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو

814 – 914 هـ / 1411 – 1508م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (2012/2/843)

قداوي، علاء محمود

تاريخ العراق في عهدي القرة قوينلو والآق قوينلو/ علاء محمود قداوي
عمان : دار غيداء للنشر والتوزيع، 2012

( ) ص

ر.إ: (2012/2/843).

الواصفات:/ التاريخ

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 978-9957-555-46-7



تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

تاريخ العراق

في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو

814 – 914 هـ / 1411 – 1508م

الأستاذ الدكتور

علاء محمود قداوي

الطبعة الأولى

1433هـ - 2012 م

الفهرس

الفصل السادس
الإدارة والجيش

الفصل السابع
الحياة الاقتصادية

الفصل الثامن
الحياة الثقافية

المقدمة

لم ينل تاريخ العراق في حقبة تسلط التركمان القره قوينلو والآق قوينلو اهتماما من قبل الباحثين العرب في ميدان الدراسات التاريخية، بينما نالت الحقب السابقة العديد من دراساتهم وبحوثهم، ورأيت ان دراسة هذه الحقبة ضرورية، لأنها تغطي النقص الحاصل في المكتبة العربية عن هذه المدة، وتكشف لنا ما واجه العراق من ويلات على يد الحكام التركمان الجدد الذين كانوا كأسلافهم المغول بدوا رحلا بعيدين عن حياة التحضر والمدينة تواقين لاستغلال سكان المدن والفلاحين إلى أقصى الحدود، فنظام حكمهم مؤسس على الظلم والاستغلال، لذلك عاشت البلاد مدة حكمهم في فوضى واضطراب. فالاقطاع وصل إلى ذروته، وتدنت أحوال السكان إلى الحضيض، وانتشرت الامراض والأوبئة، وانكفأت النشاطات الثقافية. وباختصار تكاد مدة حكمهم تكون اسوا ما مر به العراق قديما وحديثا على ما نرجح. ومع ذلك فان ما قدمته المصادر المعاصرة من نصوص أظهرت ان مرارة الاحتلال واستبداد ادواته لم تحل دون استمرار الشعب في كثير من اوجه نشاطات الحضارية من اقتصادية واجتماعية وثقافية.

لقد واجه البحث الكثير من الصعوبات، فمصادره ومراجعه مدونة بلغات عديدة عربية وفارسية وتركية وانكليزية، واغلبها لا تقدم معلومات مباشرة عن تاريخ العراق، وما تقدمه يسود اكثره الاضطراب، فقلما نجد مصدرين يتفقان في سرد رواية معينة، لذا تطلب ذلك منا جهودا كبيرة في العثور على النصوص التي تخدم بحثنا ودراستها بشكل متقن ومقارنتها بعضها ببعض لتقديم صورة متكاملة عن تاريخ العراق في هذه الحقبة.

قسم البحث إلى تمهيد وثمانية فصول وخاتمة، تضمن التمهيد دراسة موجزة لاوضاع العراق العامة قبل القرن التاسع الهجري، أي في حقبة التسلط الايلخاني الجلائري.

وتناول الفصل الاول الذي كتباه بعنوان (ظهور القره قوينلو واماراتهم حتى مطلع القرن التاسع الهجري) تسمية القره قوينلو التي اثير حولها اللغط وأصلهم وهجرتهم والظروف السياسية التي مهدت لقيام امارتهم في شرق الأناضول وشمال العراق وتصديهم للتيموريين.

وعالج الفصل الثاني الاحتلال القره قوينلوي لبغداد موضحا ان القره قوينلو قد احتلوا بغداد مرتين، الاولى سنة 806 هـ / 1403م ولم تدم سوى (88) يوم لعدم تمكن قره يوسف القره قوينلوي من الصمود بوجه القوات التيمورية التي استهدفت بغداد وانتزعتها منه، والثانية في سنة 814 هـ / 1411م وكالا الاحتلالين قد حدث بعد حروب مع التيموريين وسلسلة من التحالفات والصراعات بين قره يوسف والسلطان احمد الجلائري كان اخرها معركة أسد آباد

ومقتل السلطان احمد الجلائري سنة 813 هـ / 1410م ودخول الشاه محمد بن قره يوسف بغداد لينهي النفوذ الجلائري فيها وذلك سنة 814 هـ / 1411م.

وقد خصص الفصل الثالث لموضوع الصراع الأسري بين الامراء المتنافسين من أسرة قره يوسف على ولاية بغداد وما تركه هذا الصراع من آثار مدمرة على السكان والمدن العراقية.

اما الفصل الرابع فكان عن علاقات القره قوينلو السياسية وقد تضمن القسم الاول منه دراسة علاقاتهم مع الامارتين المحليتين العراقيتين، امارة آل فضل وامارة المشعشعين اللتين قاومتا السيطرة وحجمتا نفوذه، وتناول القسم الثاني منه علاقاتهم الخارجية مع الكيانات السياسية المجاورة للعراق وهي امارة الآق قوينلو في ديار بكر والدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام والامارة الجلائرية في شوشتر، وقد اوضحنا فيه الطبيعة العدوانية لعلاقتهم مع الآق قوينلو والجلائريين بسبب التنافس على مناطق النفوذ والطبيعة الودية في علاقاتهم مع المماليك غالبا لتوافق المصالح بينهما.

وعني الفصل الخامس بدراسة احوال العراق السياسية في عهد الآق قوينلو، وقد مهدنا له بدراسة عن معركة موش وما نتج عنها من تصدع امارة القره قوينلو وانهيارها على يد حسن الطويل الذي احتلت قواته العراق سنة 874 هـ / 1469م واختتمناه بدراسة عن حكومة ولاية بغداد الآق قوينلوية وأهم الاحداث السياسية التي واجهتها.

وتضمن الفصل السادس دراسة للجوانب الادارية والعسكرية في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو في ضوء المعلومات القليلة التي وصلتنا عن ذلك في حين انصرف الفصل السابع إلى دراسة الحياة الاقتصادية بجوانبها المختلفة. اما الفصل الاخير فقد تناول الحياة الثقافية والتحديات التي واجهتها الثقافة العربية الاسلامية في العراق.

ومن الله التوفيق

د. علاء محمود قداوي
جامعة الموصل / كلية الآداب

التمهيد
العراق قبيل حكم القره قوينلو والآق قوينلو
(حقبة التسلط الايلخاني الجلائري)

تعرض العراق في النصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي لهجمات شنتها عليه أقوام شبه بدائية عرفت باسم المغول، موطنها الأصلي منغوليا ذات البيئة القاسية وحّدهم زعيمهم تموجين الملقب بجنكيز خان الذي استطاع أن يجعل منغوليا كلها تحت سيطرته[1]، ومنها وجّه قواته فسيطر على شمالي الصين وأواسط آسيا وغرب إيران وشرق أوربا[2]، وقد بدأ خطر المغول يلوح في الأفُق على العراق منذ سنة 618 هـ / 1221م بعد أن اجتاحوا الدولة الخوارزمية، التي كانت حاجزاً بينهم وبين العراق[3].

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن شرق العراق وشماله تعرضا لغارات مغولية حدّدت سنواتها على النحو الآتي: 618 هـ / 1221م، 628 هـ / 1230م، 629 هـ / 1231م،

---

(1) عن ظهور المغول وموطنهم، وطبيعة حياتهم ومعتقداتهم وزعيمهم تموجين انظر: ابن العبري، غريغوريوس الملطي: تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، العدد 48، السنة 1954، ص 418-422. واكيم، سليم: إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 43-51. بروى، الدوارد: تاريخ الحضارات العام ترجمة: يوسف إعد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، م3، ص 355-360 . الصياد، فؤاد عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، جـ1، ص30-51، 336-358. رشاد، عبدالمنعم: الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، ط1، جامعة الموصل، 1992، م2، ص214-215. خليل، علاء محمود: المغول في الموصل والجزيرة، اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب-جامعة الموصل، 1985، ص40-45.

(2) واكيم: المرجع السابق، ص 75-91. بروى: المرجع السابق، م 3، ص 360.

(3) اجتياحهم الدولة الخوارزمية وبداية خطر المغول على العراق، انظر: ابن الأثير، أبا الحسن ابن أبي الكرم الشيباني الجزري: الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978، جـ 9، ص333-334، 337، 343، 346-347، 355-356، 374، 383-386.



633هـ / 1235م، هـ / 1236م، 635 هـ / 1237م، 643 هـ / 1245م[1]. وقد بلغ مجموع الغارات الواقعة فيها ثلاث عشرة غارة، استطاع المغول أن يصلوا فيها مرتين حتى أطراف بغداد[2]، وكان الهدف منها الاستطلاع وإشاعة الفوضى والرعب في نفوس العراقيين عن طريق القتل والاستلاب.

ولم يكن رد الخلافة العباسية على هذه الغارات بالمستوى المطلوب[3]، فالثلاثة الأواخر من الخلفاء العباسيين الظاهر بأمر الله (622-623هـ/ 1225-1226م) والمستنصر بالله (623-640هـ/ 1226-1242م)، والمستعصم بالله (642-656هـ/ 1244-1258م) لم يجهدوا أنفسهم باتخاذ إجراءات سياسية وعسكرية تصون وحدة العراق وهيبة الخلافة أمام تربص الأعداء، بل عزلوا أنفسهم عن الرعية، وانشغلوا بأعمال لا تمت بصلة إلى المسؤولية الملقاة على عاتقهم لمواجهة الغزاة[4]، يضاف إلى ذلك أن الكيانات السياسية المحلية العراقية كإمارة أربل في عهد أميرها مظفر الدين كوكبري، وإمارة الموصل في عهد بدرالدين لؤلؤ كانت هي الأخرى منشغلة بصراعاتها الداخلية والتصدي لنفوذ الأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة الفراتية من أجل تطلع

---

(1) عن هذه الغارات وسنواتها، انظر: ابن الأثير: المصدر نفسه، جـ9، ص337، 384-386. ابن أبي الحديد: عز الدين أبا حامد عبدالحميد: شرح نهج البلاغة، دار الأندلس بيروت، جـ2، ص369-370. رشيد فضل الله الهمداني: جامع التواريخ - تاريخ خلفاء جنكيز خان- ، ترجمة: فؤاد عبدالمعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص230-233. ابن الفوطي، كمال الدين أبا الفضل عبدالرزاق: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، 1351هـ ص27-29، 84-85، 109-110، 199-200. الذهبي، أبا عبدالله شمس الدين محمد: تاريخ الإسلام (ميكروفلم في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 1803) ورقة 346.

(2) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص 109-110، 199-200. القزاز، محمد صالح داؤد: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970، ص52.

(3) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص 110 ، 200.

(4) عن تقاعس هؤلاء الخلفاء، لاسيما المستعصم في مواجهة المغول، انظر: خصباك، جعفر حسين: العراق في عهد المغول الايلخانيين، ط1، بغداد، 1968، ص14-18. عمر، فاروق : الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة، 1983، ص90، 93-94.

بعضها للاستحواذ على البعض الآخر[1]. فاستغل المغول هذا الانشغال والضعف، وبدأوا يعدون العدة لاحتلال العراق وإسقاط عاصمة الخلافة العباسية بغداد بموجب خطة وضعها منكوخان سنة 649هـ/ 1251م، وأوكل مهمة تنفيذها إلى هولاكو[2]، الذي زحف نحو بغداد بجيش كثيف تمكن من احتلالها في شهر صفر سنة 656هـ/ 1258م بعد معركة دحر فيها الجيش العباسي عند الدجيل قرب بغداد، فاستبيحت المدينة سبعة أيام، قتلاً ونهباً وحرقاً، وكان من ضحاياها الخليفة العباسي المستعصم بالله، وعدد من أفراد أسرته وحاشيته[3].

وبسقوط بغداد، وباقي المدن العراقية التي أبدت البعض منها مقومة عنيفة كاربل وواسط سنة 656هـ والموصل سنة 660هـ/ 1261م[4]، فقد العراق استقلاله السياسي، وأصبح جزءاً من إمبراطورية واسعة عرفت بالإمبراطورية الايلخانية، ضمّت إضافة إلى العراق، إيران، وأفغانستان، وأجزاءاً من آسيا الصغرى[5].

---

(1) عن صراع هذه الإمارات وانشغالها عن المغول، انظر: الرويشدي، سوادي عبد محمد:؛ إمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971، ص71–80 ، 88–96. خليل: المغول في الموصل، ص22–26. رشاد : الموصل في عهد الإدارة الاتابكية، موسوعة الموصل الحضارية، م2، ص172–173.

(2) براون، ادوارد جارنفيل: تاريخ الأدب في إيران، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1954، ص565–566، 575.

(3) عن احتلال هولاكو بغداد، انظر: ابن العميد، المكين جرجيس: أخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، مجلد 15سنة 1958، ص 166–167. اليونيني، قطب الدين أبا الفتح موسى: ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954، م1، ص85، 87–91. ابن الفوطي : المصدر السابق، ص323–328. الغساني، الملك لاأشرف: العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد، 1975، ص 624–626، 630–633. العيني، بدر الدين محمود: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان– حوادث سنة 648–664هـ تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، جـ1، ص 167–174.

(4) عن مقاومة اربل والموصل للمغول، انظر: رشيد الدين: المصدر السابق، م2، جـ1، ص298–299، 327–330. اليونيني: المصدر السابق، م1، ص 492–495. ابن ايبك، أبا بكر بن عبدالله الدواه داري: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: أولرخ هارمان، مطبعة القاهرة، 1972، جـ 8، ص88–89.

(5) رشيد الدين: المصدر السابق، م2، جـ 1، ص338.

قسّم هولاكو إمبراطوريته الايلخانية إلى ست وحدات إدارية، تابعة للعاصمة مراغـة[1]، وكانت كل وحدة تضم عدداً من الأقاليم، فكان العراق وخراسان ومازنـدران حتـى جيحـون وحدة إدارية واحدة أسندت إدارتها للأمير أباقا[2]. كما قَسم الإقليم الواحد إلى عـدة ولايـات، وكل ولاية إلى عدة أعمال، وبخصوص العراق بحدوده الحاضرة فقـد قَـسم إلى ولايـات ثـلاث هي: ولاية عراق العرب وعاصمتها بغداد، وولاية ديار بكر وعاصـمتها الموصـل، وجـزء مـن ولاية بلاد الجبل[3]. وقَسم عراق العرب الذي كان يمتد مابين حديثة الموصل إلى عبـادان طـولاً والقادسية إلى حلوان عرضاً[4] إلى ستة أعمال[5]:-

1. بغداد.
2. الأعمال الشرقية وتشمل الخاص وطريق خراسان.
3. الأعمال الفراتية، وتشمل حوض الفـرات مـن الأنبـار جنوبـاً إلى عانـة والقـائم شمالاً.
4. الأعمال الحلية والكوفية.
5. الأعمال الواسطية.
6. الأعمال البصرية.

---

(1) مراغة: مدينة كبيرة من مدن إقليم أذربيجان، تقع على بعد سبعين ميلاً من تبريـز. لـسترنج، كـي: بلـدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954، ص198-199.
(2) رشيد الدين: المصدر السابق ، م2، جـ 1، ص 338.
(3) أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المـصرية، جــ 4، ص3. العيني: السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم محمـد شـلتوت، دار الكتـاب العربـي، القـاهرة، 1967م، ص 23، 182 . العمري، محمد أمين بن خيرالله الخطيب: منهل الأولياء ومشرب الأصـفياء مـن سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967، جـ 1، ص128.
(4) أبو الفداء : تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص291.
(5) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص 332. رؤوف، عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، بغداد، 1979، ص57-58.

أما ولاية ديار بكر فقد قسّمت إلى عدة أعمال، وكان ما وقع منها ضمن حدود العـراق الحاضر الموصل وسنجار والعمادية واربـل[1]. وأمـا ولايـة بـلاد الجبـل فكانـت مـن أعمالهـا شهرزور[2].

وكانت حكومة الولاية تحت إمرة أمير مغولي، وأحياناً يكون عليها أكثر مـن أمـير كمـا حدث في عهـد الايلخـان أرغـون (683-690 هـ/ 1284-1291 م) الـذي اسـند مـسؤولية الاشراف على إدارة العـراق إلى ثلاثـة أمـراء هـم: جوشـكاب وبايـد و وأروق[3]. ليحكمـوا قبضتهم على الولاية وليكون بعضهم رقيباً على البعض الآخر وعلى الحكام المحليين لمنع التآمر على الايلخان ولضمان ولائهم له. كما كانت حكومة الولاية تدار بثلاث إدارات. يتمتـع كـل منها بنوع من الاستقلال وهي:-

أولاً: إدارة مدنية يرأسها نائب المغول، ويسمى في ولاية عراق العرب بصاحب الديوان.

ثانياً: إدارة عسكرية يرأسها الشحنة[4].

ثالثاً: إدارة مالية يرأسها المشرف العالي.

وغالباً ما كانت الإدارة العسكرية بيد أحد المغول، ليضمن الايلخانيون من خلاله حمايـة الولاية والقضاء على الثورات، ويحوزوا طاعة الموظفين لهم، في حين أسندت الإدارات المدنيـة الإيرانيين وعراقيين لامتلاكهم الخبرة. وقد ضم الجهاز الإداري المـدني، فـضلاً عـن صـاحب الديوان الذي كان بمثابة الحاكم الأعلى على العـراق[5]، والمـشرف العـالي الـذي يقـع ضـمن

---

(1) خصباك : المرجع السابق، ص79. خليل: المغول في الموصل، ص126-136.

(2) شهرزور: مدينة صغيرة تقع في اقليم بلاد الجبل تبعد عن حلوان اثنين وعشرين فرسخاً. أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 412-413.

(3) رشيد الدين: المصدر السابق، م2 ، جـ2، ص128.

(4) الشحنة: كلمة تركية مغولية معربة يراد بها رئيس الـشرطة. التـونجي، محمـد: المعجـم الـذهبي، دار العلـم للملايين، بيروت، ص369.

(5) يذكر القلقشندي ضمن شرحه عن منصب الوزير أن سـلطات صـاحب الـديوان كانـت تتمثـل في "أمـر مستحصلات البلاد ودخلها وخرجها ... وإليه يرجع أمر كل ذي قلم ومنصب شـرعي، ولـه التـصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع لا يشاور السلطان إلاّ في جل من المهمات" انظر: القلقشندي، أبا العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الأنشا، (نسخة مـصورة عـن الطبعـة الأميريـة)، جــ4، ص424.

مسؤولياته الإشراف على الجوانب المالية وظائف أخرى عباسية في أغلبها ككاتب السلة، ويطلق عليه أحياناً اسم (كاتب العراق) ومن مسؤولياته الإشراف على كتابة الولاية وبيده أسرارها، والصدر وهو رئيس الوحدة الإدارية المحلية، ومن مسؤولياته حماية وحدته، وضبط أمنها من أي عبث. وقاضي القضاة الذي كان يشرف على الأمور العدلية، وبيده تعيين القضاة ومراقبتهم وعزلهم. وهناك وظائف أخرى أقل أهمية منها نقابة الأشراف أو العلويين[1] ومتوليها كان يتزعم العلويين ويحل مشاكلهم[2]. ونظارة الأوقاف أو الأحباس ومتوليها كان يشرف على أرزاق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس[3].

ومثلما عمد المغول إلى تعيين أكثر من أمير مغولي ليشرف على ولاية العراق، عمدوا للسبب نفسه كذلك إلى تعيين أكثر من موظف على رأس كل إدارة، فقد جعلوا علاء الين عطا ملك الجويني صاحب ديوان يشاركه فيه عماد الدين عمر بن محمد القزويني بمثابة رقيب عليه وذلك سنة 657 هـ/ 1259 م[4]، وفي عهد الايلخان أرغون كان هناك ثلاثة موظفين، يتولون مسؤولية صاحب الديوان هم: بدر الدين خاص وسعد الدين مظفر ومجد الدين بن الأثير[5]. وباستثناء علاء الدين عطا ملك الجويني الذي امتد حكمه كصاحب ديوان من سنة 657 هـ/ 1259 م إلى 681 هـ/ 1282 م قلّما بقي شخص في منصبه مدة طويلة، ففي السنة الواحدة كان يستبدل أحياناً أكثر من صاحب ديوان، فقد تعاقب خلال المدة من 687-688 هـ / 1288-1289 م ثلاثة أصحاب ديوان، وتكررت الحالة في سنة 693هـ/ 1293م ، وفي سنة 694هـ /

---

(1) خصباك : المرجع السابق، ص69-74. العابد، صالح محمد ورؤوف، عماد عبدالسلام: العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي، المنشور في كتاب: العراق في التاريخ، بغداد، 1983، ص 549-550.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 4، ص37-38. وانظر: ارندنك، مادة شريف، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م 13، ص 272.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 4، ص38.

(4) ابن الفوطي: المصدر السابق، ص339.

(5) المصدر نفسه، ص 438.

1294م حكم أربعة أصحاب ديوان[1]، وما يقال عن صاحب الديوان يقال عن المشرف المالي. وهذه الحالة لم تكن مقتصرة على ولاية العراق، بل شملت كذلك ولاية ديار بكر[2].

ويمكننا أن نعزو كثرة هذه التغييرات الإدارية إلى رغبة الايلخان في الحصول على أكبر قدر ممكن من المال عن طريق هؤلاء الولاة مع الخدمة المتواصلة والانقياد الأعمى، فلم يكن للدين أو الخبرة أو الشرف أو النزاهة أي اعتبار يومئذ في اختيار الولاة أو الموظفين، أكد ذلك ابن العبري- الذي عاش في كنف الايلخانيين- بقوله "لم يخصوا بالإكرام من يستحق الإكرام، بل لم يولوا المدن التي احتلوها من تسلسل الأسر الملكية، إذ لا فرق عندهم بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي، فهم يسوسونهم بصولجان واحد، وإذا اختلف إليهم أحد وقدم لهم شيئاً من المال التقفوه منه وعززوه ولبوا طلبه مهما كان سواء متضلعاً خبيراً أم جاهلاً غبياً، إنما يطلبون خدمة متواصلة وخضوعاً وانقياداً تاماً وكفى"[3]. ولهذا كان حبك المؤامرات والدسائس وابتزاز الأموال من الرعية للدفع من أجل البقاء في مناصبهم ديدن الولاة[4].

ولم يدم الحكم الايلخاني طويلاً، بل انهار قبل أن يبلغ قرناً من الزمن[5]. ومن أبرز عوامل انهياره الصراع على السلطة بين أبناء الأسرة الحاكمة وتدخل الأمراء، لاسيما في عهد الايلخان أحمد تكودار (680-683 هـ / 1281-1284)[6]، وقد استمر ذلك في عهد

---

(1) المصدر نفسه، ص 450، 457، 469-470، 475، 478، 481-484. وانظر: رؤوف: حكام العراق وموظفوه، ص 60-61.

(2) وللاطلاع، انظر: خليل: المغول في الموصل، فصل الإدارة المغولية في الموصل والجزيرة.

(3) تاريخ الدول السرياني، ص398-399.

(4) عن بعض هذه المؤامرات، انظر: ابن العبري: نفس المصدر، ص266، 390-392، 398-399. ابن الفوطي: المصدر السابق، ص 367، 397-398، 481، 484.

(5) زامباور: معجم الأنساب والأشراف الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1951، ص 362، والهامش.

(6) عن هذا الصراع الذي أطاح برأس أحمد تكودار، انظر: ابن العبري: المصدر السابق، ص 271-273. رشيد الدين: المصدر السابق، م2 ، جـ2، ص 101-121. الغياثي، عبدالله بن فتح الله البغدادي: التاريخ الغياثي ، تحقيق: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975، ص 45-46.

الايلخانات الذين أعقبوه[1]، لينتهي بحرب أهلية عقب وفاة الايلخان أبي سعيد بهادرخان سنة 736هـ / 1335 م الذي لمت يتك وريثاً يخلفه، فتفككت الدولة الايلخانية، وخضع العراق على أثر ذلك لنفوذ الشيخ حسن بن حسين بن أقبوغا بن ايلكانويان مؤسس الإمارة الجلائرية[2].

وجلائر قبيلة مغولية[3] ارتبطت بعلاقة مصاهرة مع الأسرة الايلخانية الحاكمة، فقد كان حسين والد الشيخ حسن قد تزوج ابنة الايلخان أرغون[4]، وجده ايلكا نويان كان أحد الأمراء

---

(1) عن تدخل الأمراء في شؤون الايلخان ومؤامراتهم بعد أحمد تكودار، انظر: رشيد الدين: المصدر السابق، م2، جـ 1، ص 61-64 من المقدمة. الغياثي: المصدر السابق، من 47-50. القزاز: المرجع السابق، ص475-478.

(2) عن هذه الحروب وتمكن الشيخ حسن من احتلال العراق وتأسيس إمارة انظر: العمري، أحمد بن يحيى: التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1332 هـ/ ص 43-44 عبدالرحمن ابن محمد: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م، جـ 5، ص 551-552. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1966م ، جـ2، ص 95-96.

Browne, Edward, G: A Literary History of Persia " Cambridge at the University press 1964" vol. 3, PP, 171-172.

ابن خلدون، عبدالرحمن ابن محمد: تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1971م، جـ 5، ص 551-552. ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، ط2، مطبعة المدني، القاهرة، 1966م ، جـ2، ص 95-96.

Browne, Edward, G: A Literary History of Persia " Cambridge at the University press 1964" vol. 3, PP, 171-172

(3) يوجد اختلاف حول أصل جلائر، فالغياثي يعدها إحدى القبائل التركية. التاريخ الغياثي، ص 82. والصحيح أنها إحدى القبائل المغولية الأربع الكبرى: ارلات، جلاير، قاجين، بارلاس. بارتولد. و: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 222-223.

(4) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1941م، ق2، ص 489، 504. مرتضى أفندي، نظمي زيادة: كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نوري، منشورات المجمع العلمي العراقي، ص 173. بارتولد، مادة الايلخانية: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م 3، ص203. القزاز: المرجع السابق، ص8.

المشاركين في احتلال بغداد سنة 656هـ/ 1258م [1]، ولهذا نال أبناء هذه الأسرة الحظوة عند بعض الايلخانات الذين اعتمدوا عليهم في قمع الثورات[2]، وإدارة بعض الولايات، فكان حسين بن أقبوغا والياً على خراسان في عهد الايلخان أبي سعيد بهادر[3] وابنه الشيخ حسن على ولاية بلاد الروم[4]، ومن بلاد الروم قاد الشيخ حسن جيوشه عقب وفاة أبي سعيد بهادر وتمكن من احتلال بغداد واتخذها عاصمة له سنة 740 هـ/ 1339 م ومنها نظّم شؤون دولته[5] التي امتدت في عهد حكم ابنه اويس (757-776 هـ / 1356- 1374م) لتشمل مع العراق الأحواز ودياربكر وأقليم أذربيجان وبلاد الجبل[6].

وقد شهد العراق في عهدي الشيخ حسن وابنه أويس حالة من الاستقرار النسبي وبقيت بغداد محتفظة بأهميتها السياسية كعاصمة للإمارة الجلائرية حتى سنة 760هـ / 1358م، وفي هذه السنة انتقلت إدارة الإمارة إلى تبريز، ثم ما لبث أن عادت إلى بغداد ثانية سنة 788هـ/ 1386م [7].

(1) رشيد الدين المصدر السابق، م2، جـ 1، ص 286، 295، م2، جـ 2، ص 10.

(2) المصدر نفسه، م2، جـ 2، ص 135.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 5، ص 552. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 163- 164.

(4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج 5، ص551. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 164. مورتمان، مادة حسن بزرك: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م 7، ص 390.

(5) ابن بطوطة، ابو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي: رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م، ص 230-231. ابن خلدون: المصدر السابق، ج5، ص551-552. القلقشندي: مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1964م، جـ 2، ص 139-140. المقريزي: المصدر السابق، جـ 2، ق2، ص 398، 489، 504. الغياثي: المصدر السابق، ص 75.

(6) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 5، ص 552. اقبال، عباس: تاريخ مفصل إيران، مؤسسة جاب وانتشارات أمير كبير، 1341 جرش، جـ 1، ص 459.

(7) اقبال: المرجع نفسه، جـ 1، ص 459. العابد: العراق بين احتلالين، ص 353. خليل، ابراهيم: أوضاع العراق السياسية في عهد السلطان أحمد الجلائري، مجلة آداب الرافدين، العدد الثامن، 1977م، ص 128- 129.

توفي أويس الذي كان قد اتخذ لنفسه لقب سلطان سنة 776هـ / 1374م ليخلفه ابنه حسين[1]، وكان معروفاً بضعفه وولعه بالنساء واللهو والطرب[2]، فكان ذلك سبباً في إفساح المجال لأخويه الشيخ علي حاكم بغداد وأحمد لينازعاه على السلطة، فانفجر الصراع وانتهى بمقتل السلطان حسين سنة 784هـ/ 1382م والشيخ علي سنة 786هـ / 1384م لينفرد أحمد بحكم العراق وأذربيجان[3].

غير أن الأمور لم تستقم له، إذ واجه منذ السنوات الأولى لحكمه كارثة الغزو التيموري لتي ستتناولها لاحقاً، وكانت سبباً لإضعافه، ومن ثم قتله على يد حليفه قره يوسف القره قوينلوي سنة 813هـ / 1410م.

لقد ورث الجلائريون النظم والتشكيلات الإدارية التي كانت سائدة عند المغول الايلخانيين، فالإمارة الجلائرية بوصفها إحدى دول الطوائف الايلخانية قد استمرت على نفس النظم الإدارية، وكانت إمارة إقطاعية بنفس تنظيمات الولاية والمركز التي كانت موجودة في زمن المغول[4].

وفي العهد الجلائري، مثلما كان ذلك في عهد الايلخانيين، لم تكن السلطة المركزية فارضة سيطرتها على كل العراق، فقد بقي الكثير من المدن والمناطق العراقية تحت حكم القبائل العربية وغير العربية، فالجلائريون اضطروا مرغمين كأسلافهم الايلخانيين على الاعتراف

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ 5، ص 552-553. زامباور: المرجع السابق، ص 377. العاني، نوري عبدالحميد: العراق في العهد الجلائري، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1986م ، ص 24، 760.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 100. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 166. اقبال: المرجع السابق، ج1، ص 460-461.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ5، ص 553-554. ابن حجر : انباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، 1969م، جـ1، ص 294. الغياثي: المصدر السابق، ص99-104. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 166.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs "B, S, O, A, S. Xvill, Part, I, 1955" P, 53-54.

(4) العاني: المرجع السابق، ص 75، نقلاً عن مكرمين خليل.

بنفوذ آل فضل حديثة الطائي على المناطق الغربية من العراق[1]. وكانت قبيلة خفاجه، وهي بطن من عقيل قد فرضت سطوتها على المنطقة المحصورة بين النجف والبصرة[2]، وقبيلة عباده على منطقة البطائح[3]. كما كان الكثير من المدن العراقية بأيدي شيوخ تلك القبائل، فكانت الحلة بيد الشريف أحمد بن رميثة منذ عهد السلطان الايلخاني أبي سعيد، واستمر حكمه حتى مقتله على يد الشيخ حسن الجلائري سنة 744هـ/ 1343م[4]، ودانت البصرة والكوفة في مدد متقطعة لسلطة شيوخ قبائل عربية[5]. وفي شمال العراق كان زين الدين بالو يتزعم جماعة كردية يقال لهم كياجي وتحكم أربل بصورة مستقلة طوال المدة من سنة 697هـ/ 1297م حتى سنة

---

(1) تظهر الخارطة القبلية في العراق خلال عهد الإحتلال الايلخاني والجلائري وجود عدة مشيخات عربية، فضلاً عما ذكرناه ولكن دورها لم يكن واضحاً في الاحداث السياسية في تلك الحقبة، وأهم هذه القبائل ومناطق توزيعها قبيلة طيء ومن بطونها بنو زبيدة المنتشرون، ببرية سنجار، وبنو غزية ومضاربهم على أطراف طريق الحجيج البغدادي، وبنو سنبس الذين انتشرت فروعهم مثل خزاعة وبني عبيد وجموح في بطائح العراق. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م ، ص87-88، أما قبائل تغلب التي ترجع في نسبها إلى وائل، فكانت متنشرة في مناطق سنجار ونصيبين. قلائد الجمان، ص 132. وكان بنو عقيل وبطونهم قد توزعوا على أجزاء واسعة من أرض العراق، ومنهم فضلاً عن بني خفاجة بدو المنتفق ومنازلهم بين البصرة والكوفة. قلائد الجمان، ص 121. ومن القبائل العربية الأخرى آل نطاح الذين ينحدرون من عرب العذار، ومنهم الجبور ومضاربهم في المنطقة الواقعة بين الحلة وواسط حتى البصرة. القزاز: المرجع السابق، ص 329. وكانت هذه المنطقة أيضاً موطناً لقبائل المعادي الذين انتشروا في بطائحها. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 128.

(2) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ص128.

(3) الحلو، صادق ياسين: الجيش والسلاح منذ سقوط بغداد حتى العصر العثماني، موسوعة الجيش والسلاح، بغداد، 1987م، جـ 5، ص 33.

(4) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 221. الحلي الشيخ يوسف كركوش: تاريخ الحلة، ط1، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965م ، ق1، ص 91-94.

(5) الأعظمي، علي ظريف:مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م، ص 120-121.

710هـ/ 1310م [1]، وكان ولاء حكام الموصل وأربل وسنجار يتردد بين الجلائريين والمماليك والقره قويبلو[2] ليحسم في النهاية لصالح الأخيرين.

وقد ترك الاضطراب السياسي والإداري آثاراً سلبية على مجمل نشاطات السكان، ففي الجانب الاقتصادي، تدهورت الزراعة كثيراً، ولعل الاستشهاد بروايات بعض المؤرخين والجغرافيين المعاصرين لحقبة الاحتلال تكفي للتدليل على مقدار ذلك التدهور، فهذا ابن فضل الله العمري المتوفى سنة 749هـ/ 1348م يذكر التدهور على لسان تاجراً سفاراً بالقول "سألت الصدر مجد الدين بن الدوري عن السبب في قلّة الغلال ببلاد العراق مع امتداد سوادها، فقال: قلّة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحوزه للعراق وما جاوره من البلاد. قلت: وبغداد وأن كانت أم الممالك ودار الخلافة فقد أغفل ملوك التتر الالتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تبريز والسلطانية"[3].

وللتدليل على مقدار انخفاض الناتج الزراعي، نستشهد بإحصائية المستوفي القزويني الذي كان مسؤولاً عن ضرائب العراق، فقد أشار إلى أن واردات إقليم الجزيرة الفراتية التي تستحصل بصورة رئيسة من الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية "... تبلغ زمن الأتابكة وبدر الدين لؤلؤ عشرة ملايين دينار، فأصبح الآن – أي في سنة 736 هـ – تساوي 1.925.000 دينار"[4]. ومع انخفاض الناتج الزراعي كانت معاناة الفلاحين مع السلطة الحاكمة كبيرة، لأنها كانت تستحوذ على أكثر من ثلثي الناتج كضرائب[5]، ولم تجر محاولات جدية لتحسين الزراعة باستثناء محاولة الايلخان غازان الذي أصدر مرسوماً بمسح جميع الأراضي الزراعية على أن تتخذ نتائج المسح أساساً في تقدير ضريبة الخراج، والهدف من ذلك القضاء

---

(1) زكي بك، محمد أمين: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939م ، ص 167-168.

(2) خليل : المغول في الموصل، ص 116، 126-135. العاني: المرجع السابق، ص51-54.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 332 (نقلاً عن ابن فضل الله العمري).

(4)Mustawfi of Qazwin, Hamd-Allal: Nuzhat Al-Qulub " Tra. By-G-le- Strange, Leyden-Bril, London, 1919 " P. 102.

(5) اشتور، آ: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبدالهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق، 1985م، ص 336.

على أهواء المتلاعبين بهذه الضريبة لغرض تشجيع الزراعة[1]، ورافق هذا الإجراء تنفيذ بعض المشاريع الإروائية[2]. كما نلمس بعض الجهود الإصلاحية لدى بعض السلاطين الجلائريين، كالسلطان أويس الذي أعفى سكان بغداد على أثر غرقها سنة 775 هـ / 1373م مدة خمس سنوات من دفع الخراج مع أعمار ما دمره الفيضان وشق الترع وزرع الأبان[3].

غير أن مثل هذه الجهود لم توقف التدهور، فقد كانت تقابلها بفعل الحروب والثورات وفقدان الأمن هجرات جماعية[4]، ومصادرة غلال [5] وحرق مزروعات[6]، وكسر سدود[7]، وقتل جماعي[8]، وكوارث طبيعية كالفيضانات وانتشار أمراض وأوبئة، وموجات جراد،

---

(1) بروكلمان، كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م ، ص 392.

(2) من آثاره الاروائية "نهر أخرجه من الفرات ما بين دجلة وبغداد وعمل عليهما كثيراً من العمارة وسمي بالنهر الغازاني ..."، الغياثي: المصدر السابق، ص 51.

(3) الغياثي: المصدر نفسه، ص 89-90.

(4) يذكر ابن العبري اضطرار (70.000) كردي و (400) شخص من طائفة الشيخ عدي إلى الهرب إلى بلاد الشام بفعل الإرهاب المغولي لأكراد شمال الموصل. انظر: تاريخ الدول السرياني، ص142- 257. وهناك من يذكر أيضاً أن أعداداً كبيرة من القبائل الشهرزورية العراقية قد تركت موطنها إلى الشام في تلك المدة. انظر: ابن الصابوني وجمال الدين أبا حامد محمد بن علي المحمودي: تكملة اكمال الأكمال، تحقيق: مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957م، حاشية ص105. الطونين يوسف جرجيس جبو: جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب- جامعة بغداد، 1990م، ص 99.

(5) يذكر رشيد الدين أن المماليك كانوا يدمرون ".... ديار بكر ... ويأكلون الغلال... وأباقا خان يتألم من أعمالهم". جامع التواريخ، م2، جـ2، ص 82.

(6) يذكر القلقشندي أن المنطقة المحصورة بين الموصل وسنجار كانت تسمى بالمحروقات بفعل الحروب بين الايلخانيين والمماليك. صبح الأعشى، جـ14، ص 401-402.

(7) منها تعمد مرجان والي بغداد كسر سداد نهر دجلة وإغراق ضواحي بغداد لإعاقة تقدم جيش السلطان أويس الجلائري الذي كان مرجان قد تمرد عليه. الجواهري، عماد: صراع القوى السياسية في المشرق العربي، منشورات جامعة القادسية، 1990م، 23.

(8) عن بعض عمليات القتل التي كانت تطال سكان القرى، انظر: ابن العبري: المصدر السابق، ص 386-388 في حديثه عن قرى أربل والموصل سنة 683 هـ وسنة 684هـ.

وانحسار أمطار، ولنا في ذلك أمثلة كثيرة لا مجال لذكرها هنا[1] أدت كلها بطبيعة الحال إلى تناقص عدد المشتغلين بالزراعة[2]. ولهذا فلا نستغرب من أن الكثير من القرى الزراعية التي كنا نسمع بوجودها قبل الاحتلال المغولي، لم يعد لها ذكر في العهدين الايلخاني والجلائري[3]، كما أشار إلى ذلك أبو الفدا وهو يتحدث عن البصرة بقوله "حكى لي من أثق به أن البصرة وبلادها التي على هذه الأنهر المذكورة قد خربت حتى لم يبق منها غير قيراط واحد من أربعة وعشرين قيراطاً"[4]. وكذلك أشار المستوفي القزويني إلى خراب مدن حلوان والخالص ونهروان بفعل المغول وهي مناطق زراعية مهمة[5].

وما أصاب الزراعة من تدهور أصاب الصناعة كذلك، فقد طال ممتهنيها الحيف والقتل والأسر على يد الغزاة لاسيما في بداية الاحتلال، ويذكر مؤرخ المغول رشيد الدين الهمداني بأن جند المغول الذين احتلوا الموصل سنة 660هـ/ 1261م قد "... قتلوا بقية سكان المدينة بحد السيف، وأسروا بعضاً من أرباب الحرف والصنايع بحيث لم يبق أحد في الموصل"[6].

وعلى الرغم من وطأة الاحتلال، فقد تمكن من بقي من أصحاب الصنايع من إعادة نشاطهم لحاجة السكان لمتوجاتهم، ولرغبة الأسر الحاكمة في اقتناء صناعاتهم، فضلاً عن أن الصناعة ستدر عليهم أموالاً عن طريق الضرائب التي تفرض عليها، ولهذا انتعشت الصناعة بسرعة، لاسيما صناعة المنسوجات التي أقام الايلخانيون مصنعاً حكومياً لها في بغداد، وأقام

(1) عن تفاصيل الكوارث الطبيعية، انظر: خصباك: المرجع السابق، ص 93-94، 213، 227-288. المعاني: المرجع السابق، ص177-178، 227-228.

(2) يشير روبرت مالك أدمز إلى أن عدد سكان حوض ديالى قد تناقص كثيراً في العهد الايلخاني قياساً لعهود سابقة، انظر: أطراف بغداد تاريخ الاستيطان في سهول ديالى، ترجمة: صالح أحمد العلي وآخرون، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م، ص 353.

(3) حدد الطوني أسماء القرى التي اندثرت في منطقة الموصل في هذه الحقبة، وهي: باجبارة، باشذى، باشمانيا، برقعيد، البوازيج، ثمانين، حديثة الموصل، خصا، الدولعية، السن، قبرثا، قصر ريان، كرثا، كرميا، طكشور، واسطو. جهود العراقيين الحضارية، ص27-28.

(4) تقويم البلدان، ص 57.

(5)Nazhat - Al - Qulub, P. 41, 47, 50.

(6) جامع التواريخ، م2، جـ1، ص 330.

الجلائريون مصنعاً مثيلاً له لإنتاج أنواع فاخرة من القماش[1]، كما انتعشت في بغداد صناعة الورق[2]، والأسلحة[3].

وإلى جانب بغداد كانت هناك مركز صناعية في مدن عراقية أخرى كالموصل وأربل والنجف وواسط والحلة والبصرة، وجميعها كانت تنتج أنواعاً مختلفة من المنتوجات لاسيما النسيج والزجاج والأسلحة[4] التي كانت تلقى رواجاً كبيراً في الأسواق الخارجية[5].

ويلاحظ أن الجغرافيين والرحالة الذين زاروا العراق خلال حقبة الاحتلال اطروا كثيراً الصناعة العراقية[6]، ولكن يجب ألاّ يؤخذ هذا الإطراء على أساس أن الصناعة قد استعادت عافيتها وازدهرت مثلما كانت في العهد الذي سبق الاحتلال، بل يجب أن يؤخذ على ضوء الحالة العامة لباقي النشاطات في زمن الاحتلال.

---

(1) المصدر نفسه، م2، جـ 1، مقدمة كاترمير، ص 28. الصياد: مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م، ص 151. العاني: المرجع السابق، ص 242-244. الفيل، محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخاني، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963م ، ص 312.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2، ص 487. ولبر، دونالد: إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة: نعيم محمد حسنين، القاهرة، 1985م، ص 69. الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص314.

(3) يذكر ابن بطوطة أن قسماً من الأسلحة المصنعة في العراق كان يصدّر إلى الهند، انظر: رحلة ابن بطوطة، ص 396، 513.

(4) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى: كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت، 1970م، ص157. ماركو بولو: رحلات ماركو بولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ص 37-38. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 176، 183، 220.

Al-Feel, Muhammed Rashid: The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and ottoman Conquests " Al - adab-Press, Negef, 1965 " Vol. I, P. 265.

(5) عن رواج السلع العراقية في الخارج، انظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 286، 304، 513. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 2، ص487. ولبر: المرجع السابق، ص 69.

(6) عن هذا الاطراء، انظر: القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، منشورات دار صادر، بيروتن 1960م، ص 262، 313، 315، 462. ماركو بولو: المصدر السابق، ص 37، 38. ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص 157. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 176، 225، 235.

أما التجارة فقد اعنت من التدهور أيضاً، ولعل أسباب ذلك تكمن فضلاً عمّا ذكرنا عن الزراعة والصناعة في كثرة الضرائب[1] والتلاعب بالعملة[2] والمنافسة الدولية وتغير الطرق التجارية العالمية[3] والصراعات السياسية. فالصراع الايلخاني المملوكي عرقل تجارة العراق مع بلاد الشام ومصر، فقد كان المغول يعمدون في غاراتهم إلى نهب القوافل التجارية، وتخريب أسواق المدن التي يحتلونها، ففي سنة 670هـ/ 1271م أغارت جماعة من المغول على حرّان من بلاد الجزيرة الفراتية فنهبت أسواقها[4]، وفي سنة 717هـ/ 1317م تعرضت قافلة تجارية كانت خارجة من أحدى مدن دياربكر لهجوم عند رأس العين لعدوان قوة مغولية، وذهب ضحية ذلك أكثر من ستمائة تاجر[5]. فقابلهم المماليك بالمثل، ففي سنة 683هـ/ 1284م انقضت كتيبة مملوكية على أسواق الموصل فنهبت التجار بعد أن حاصرتهم في سوق البزازين وأفرغوهم من جميع امتعتهم من ذهب وفضة وثياب كثيرة ثم حطموا الدكاكين وأبواب السوق ومنها تحولوا إلى باقي أسواق المدينة ينهبون ويعبثون، وأسروا خمسمائة من الجواري، وأفرغوا المدينة من مواشيها وخيولها. وأعادوا غاراتهم في السنة التالية مستهدفين الموصل وأربل فانتهبوهما[6]. كما طالوا بالتخريب ميناء أياس[1] سنة 722هـ/ 1322م و 737هـ/ 1336م

---

(1) يذكر رشيد الدين الهمداني أن شدة تعسف المغول في جباية الضرائب أوصلت أصحاب بعض المتوجات إلى حالة لم يعد أصحابها يقوون على نصف ما يطلب منهم، جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ص 216.

(2) يذكر ابن الفوطي أن غازان أمر سنة 698 هـ بأن يصفى الذهب والفضة الذين يستخدمان في النقود من الغش. الحوادث الجامعة، ص 498.

(3) فهمي، نعيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، القاهرة، 1973م ، ص 118.رافق، عبد الكريم: العرب والعثمانيون، ط1، دمشق، 1974م، ص 3-4.

(4) ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن ابراهيم: الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، دمشق، 1978م، جـ 3، ق1، ص 63. الكتبي، محمد بن شاكر : عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م، جـ 20، ص 40.

(5) ابن كثير، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل: البداية والنهاية، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م، جـ 14، ص83.

(6) ابن العبري: المصدر السابق، ص 386-388.

كونه يخدم تجارة العراق الايلخانية[2]، وعمدوا أيضاً إلى استقطاب أعداد كبيرة من تجار العراق ليستقروا في بلاد الشام ومصر[3] بهدف ضرب اقتصاد العراق الايلخاني أولاً ولتسخير أموال هؤلاء التجار لتنشيط اقتصاد دولتهم ثانياً.

غير أن عملية التخريب التجاري والتخريب المضاد لكلتا الدولتين لم تكن دائمة لأن حالة الصلح السياسي بين الدولتين كانت تفعل فعلها الإيجابي مع التجارة، كما نلمس في عهد الايلخان أحمد تكودار (680–683 هـ/ 1281–1284م) الذي وقع اتفاقية صلح مع السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون[4]، فحدث تبادل تجاري جيد، إذ فتحت بموجب هذه الاتفاقية "... الطرق وأخذ التجار يسافرون من بغداد والموصل والعجم إلى سوريا، ومن سوريا ومصر إلى بلاد التتر دون أدنى أذى"[5]. تكررت هذه الحالة في عهد الايلخاني أبي سعيد الذي وقع اتفاقي صلح مع المماليك سنة 723هـ/ 1323م، يتضمن أحد بنودها أن "... تكون الطرق بين المملكتين مفتوحة لتسير تجارة كل مملكة إلى أخرى"[6].

وفي العهد الجلائري كانت لاسمة العامة لعلاقات الجلائريين السياسية مع المماليك سلمية[7]، إذ كان التبادل التجاري بين الدولتين مزدهراً لأنه لقي دعم السلطات الحاكمة في كلتا الدولتين[8].

---

(1) اياس: ميناء يقع على شاطئ كيليكيه فوق الجانب الغربي لخليج الاسكندرونة. هارتمان، مادة اياس: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م3، ص168–169.

(2) ابو الفداء: المختصر، جـ 4، ص91، 119. هارتمان، مادة اياس، م3، ص 169. طوني: جهود العراقيين، ص19.

(3) الطوني: المرجع نفسه، ص 104–112.

(4) عن بنود هذه الاتفاقية التي يخص قسم منها التجارة، انظر: ابن عبدالظاهر محي الدين: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ط1، القاهرة، 1961م، ص 8–9، 13–14.

(5) ابن العبري: المصدر السابق، ص269.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ2، ق1، ص 209–210، 242.

(7) عن الطابع السلمي لهذه العلاقة، انظر: محمد، سالم يونس: العراق في السياسة المملوكية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة الموصل، 1988م، ص 131–140.

(8) العاني: المرجع السابق، ص 281–285.

إن ماواجهته حركة التجارة العراقية الايلخانية من مصاعب مع بلاد الشام ومصر لم تكن كذلك مع باقي الدول، فقد كانت حركة التجارة العراقية قائمة مع الصين والهند في العهدين الايلخاني والجلائري[1]، كما كان هناك نشاط تجاري مع بلاد الروم وأرمينيا[2] وبعض البلدان الأوربية[3]، هذا فضلاً عن أن تجارة العراق بقت مزدهرة مع بلاد إيران التي دانت هي الأخرى بالتبعية للايلخانيين ومن ثم للجلائريين ومشاهدات ماركو بولو تجار عراقيين في تبريز تؤكد ذلك[4].

أما على صعيد النشاط الثقافي، فقد واجهت الثقافة في العراق تحدياً قاسياً، بعد أن طالت سيوف المحتلين الايلخانيين في بداية احتلالهم المدن العراقية أعداد كبيرة من العلماء[5]، وفعلت معاولهم فعلها في مؤسسات العراق العلمية[6]، وتراثه الفكري[7]،

(1) انظر: عن مشاهدات ابن بطوطة للتجار والبضائع العراقية في بلاد الهند والصين. رحلة ابن بطوطة، ص 396، 513، 521، 561، 635. وانظر كذلك: اشتور: المرجع السابق، ص342-343.

(2) ابن بطوطة: المصدر السابق، 286، 295، 298، 304. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص 356.

(3) ماركوبولو: المصدر السابق، ص 37-38. بور، ايلين: طوائف ارباب الحرف والتجارة في العصور الوسطى (تاريخ العالم)، أشرفت على ترجمته: إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، م5، ص 309-310. رافق: المرجع السابق، ص 10.

(4) ماركو بولو: المصدر السابق، ص 42. وانظر كذلك: اشتور: المرجع السابق، ص 343.

(5) عرفت بعض المصادر اسماء عدد كبير من العلماء العراقين الذين قتلهم المغول، وللاطلاع، انظر: اليونيني: المصدر السابق، م1، ص 332-340. الغساني: المصدر السابق، ص 635-640.

(6) يذكر ياسين بن خيرالله الخطيب العمري أن عدد المدارس التي كانت في الموصل في النصف الأول من القرن السابع الهجري زمن بدر الدين لؤلؤ بلغت (28) مدرسة، انظر: منية الأدباء في تاريخ الموصل تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955م، ص 66. وفي عهد الحكم الايلخاني لها لم تصل إلينا غير أخبار (4) مدارس فقط. انظر: عبود، نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، العدد الأول، دار الحرية، بغداد، 1981م، 244-246، وهذه دلالة على أن التخريب قد طال معظمها.

(7) تذكر بعض المصادر أن أكثر من (400) ألف كتاب ضمتها مكتبة نصير الدين الطوسي في مراغة كانت قد نهبت من بغداد والشام والجزيرة الفراتية بيد المغول. الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، جـ3، ص247. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر، ط2، دار النشر فرانز بفسبادن، 1961م، جـ1، ص 179.

وأشار السخاوي مبالغاً أن بغداد عند احتلالها سنة 656هـ/ 1258م لم يبق فيها بفعل الجزرة من يعرف شيئاً من العلم[1]. ومن أفلت من القتل فضّل الهجرة إلى البلاد المجاورة طلباً للأمان وحرية الفكر، فوصلت الهجرة من بعض مدنه كالموصل حوالي 52٪ من مجموع العلماء خلال السنوات الست والسبعين من الاحتلال الايلخاني لها[2]، وخلال حقبة الاحتلال الجلائري تواصل التراجع الثقافي فيها، فقد أوردت إحدى الدراسات أن عدد العلماء في الموصل كان في العهد الايلخاني بحدود (121) عالماً تناقص في العهد الجلائري إلى (46) عالماً[3]. كل ذلك حدث بفعل حالة التدهور العام مضافاً إليها عدم تعاطف المحتل مع الثقافة العربية، ولعل اتخاذ المحتلين الفارسية لغة رسمية لدواوينهم[4] دليل على ذلك. ولهذا لم ينل العلماء العراقيون الحظوة عندهم إلاّ بالقدر الذي كان يتماشى مع حاجات المحتل العليمة لاسيما في مجال الفلك لحل مشاكلهم اليومية والمستقبلية، والطب لأغراض العلاج[5]. ومع هذا نجد أن جذوة الثقافة

---

(1) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن: الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشر القدسي، 1349هـ ص 139.

(2) الحسو، احمد عبدالله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، موسوعة الموصل الحضارية، م2، ص52.

(3) انظر: الحسو: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية موسوعة الموصل الحضارية، م2، ص 259. ولغرض الاطلاع على تفاصيل واقع الحياة الثقافية في العراق في كلا العهدين، انظر: آل ياسين، محمد مفيد: الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط1، الدار العربية، بغداد، 1979م، زعين، حسن بالاشتراك مع نوري عبد الحميد خليل: الثقافة العربية ومراكز العلم في العراق في الفترة الجلائرية، مجلة دراسات الأجيال، العدد الأول والثاني، آب 1984م، الحمداني، طارق نافع: التدوين التاريخي في العراق (656 – 891 هـ / 1258 – 1486م مع دراسة خاصة عن أبن الفوطي والغياثي)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة تكريت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.

(4) علي، علي شاكر بالاشتراك مع علاء محمود خليل: دور الموصل والجزيرة الثقافي في مواجهة التحدي المغولي، (مقبول للنشر في مجلة المورد)، ص 4.

(5) أورد ابن الفوطي أسماء عدد من هؤلاء العلماء الذين نالوا الحظوة يومئذ، انظر: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق، 1965م، جـ4، ص 215-216 وجـ5، ص 91، والجزء الأخير، تحقيق: الحافظ محمد، لاهور، 1940م، ويذكر عبد الله الرازي أن سعد الدولة اليهودي الموصلي المتوفي سنة 690هـ/ 1291م كان المسؤول الأول عن طبابة البلاط

العربية في العراق لم تخمد، فقد واصل العطاء من تحمل منهم وطأة الاحتلال، وبرز منهم علماء كان لهم شأن كبير في عملية الحفاظ على الإرث الثقافي وإغنائه بنتاجات جديدة، ولعل رجوعنا إلى كتاب "الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" لابن حجر العسقلاني الذي تضمن ترجمات كثيرة لعلماء عراقيين يكفي للتدليل على مكانة أولئك العلماء العلمية في تلك الحقبة، لكنها لم تكن بأية حال بالمستوى الذي كانت عليه قبل الاحتلال.

وأخيراً على ضوء الصورة العامة لكل النشاطات التي عرضنا لها والتي تمثلت بحدوث حالة تراجع عام، يجب أن نتذكر بتقدير عال أولئك العراقيين الذين واصلوا العطاء الحضاري على الرغم من سطوة الاحتلال وأعمال التخريب وانعدام الأمن، فكان عطاؤهم بمستوى التحدي والمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه أجيالهم اللاحقة.

الايلخاني في عهد الايلخان أرغون. تاريخ كامل إيران، طهران، 1335هـ م3، ص 310. وانظر كذلك: رشيد الدين: المصدر السباق، م2، جـ2، ص 139.

الفصل الأول

ظهور القره قوينلو ((ذو الغنم الأسود))

حتى مطلع القرن التاسع الهجري

أولاً : تسميتهم وأصلهم.

ثانياً : استقرار القره قوينلو في شرق الأناضول وشمال العراق وتوسع دائرة نفوذهم.

ثالثاً : موقف الجلائريين من احتلال القره قوينلو لشمال العراق.

رابعاً : تصدي القره قوينلو للقوات التيمورية المندفعة نحو أذربيجان وشرق الأناضول.

خامساً : الصراع على زعامة القره قوينلو وبروز قره يوسف.

سادساً : موقف القره قوينلو من الغزو التيموري للعراق والجزيرة الفراتية.

الفصل الأول

ظهور القره قوينلو ((ذو الغنم الأسود)) وإمارتهم حتى مطلع القرن التاسع الهجري

أولاً: تسميتهم وأصلهم:

القره قوينلو: اسم مركب من لفظتين "قره" بمعنى: الأسود، و"قويون" بمعنى الشياه أو الغنم، واللام والواو للدلالة على النسبة، والتسمية الصحيحة هي قره قويون أي الغنم الأسود" ولكن ترجمتها قد شاعت خطأً بـ "الخروف الأسود"[1]، ويتلفظ العثمانيون هذه التسمية "قره قوينلي" بزيادة حرفي اللام والياء للدلالة على النسبة في اللغة التركية[2].

وثمة بعض الآراء حول أصل التسمية، فقد رأى مالكولم ومينورسكي أن أصل التسمية يرجع إلى فكرة طوطمية[3] لرسمهم صور الشياه السود على أعلامهم ونصب هياكلها على قبورهم[4]، وهذا الرأي يكاد يجاريه الباحث جوبان خضر حيدر الذي رأى أن فكرة الطوطمية

---

(1) التونجي: المرجع نفسه، ص 442. العزاوي، عباس: تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد 1939م ، جـ3، ص24. وانظر: الغياثي: المصدر السابق، ص237، هامش المحقق رقم (2).

(2) منجم باشي، أحمد بن لطف الله المولوي: صحائف الأخبار، المطبعة العامرة، اسطنبول، 1285هـ م3، ص 149، اتش، أحمد، مادة آق قوينلي: دائرة المعارف، بإدارة: فؤاد افرام البستاني، بيروت، 1956م، م1، ص 283.

(3) الطوطم: كائنات حيوانية أو نباتية تلقى الاحترام والتقديس عند بعض القبائل البدائية، وكل قبيلة من هذه تعتقد بوجود صلة نسب بينها وبين واحد من هذه الكائنات، لذا تسمى باسم الحيوان أو النبات الذي ترتبط به، ولهذا لا تقدم على قتله أو أكله، وتعده مصدراً لقوتها والمدافع عنها عند الملمات. العلي، صالح أحمد: محاضرات في تاريخ العرب، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981م، جـ1، ص 131.

(4)Malcolm, Sir John: History of Persia " London, 1814" Vol. I, p.490. sumer, Faruk: kara koyunlular " Ankara, 1967 " I cilt, S, 13.

والمرجع الأخير ورد فيه رأي مينورسكي.

لازمت الأتراك – والقره قوينلو ينحدرون منهم– لكنها لم تتمحور حول الحيوانات البرية، وإنما حول طيور الصيد[1].

ويبدو لنا أن ربط مالكولم ومينورسكي التسمية بفكرة طوطمية افتراض غير صائب لأن الشواهد المادية التي اعتمدا عليها والتي أطلعنا على نماذج مصورة منها تؤكد خلو أعلام القره قوينلو ونقودهم من صور حيوانية كما أن قبورهم تتسم بتقليديتها شأنها شأن قبور المسلمين[2]، ولذا نرى أن التسمية محلية أطلقها عليهم سكان أذربيجان وشرق الأناضول بعد استقرارهم فيها، وأن سبب التسمية جاءت لاقتنائهم كما ذكر عباس العزاوي[3]، وفالتر هينتز[4] شياهاً سوداً، وأن إطلاق مثل هذه التسميات كانت عادة شرقية معروفة في تمييز مجموعة بشرية بما تملك من الحيوانات أو أي شيء آخر[5].

وفيما يتعلق بالأصول الأولى لنشوء هذه القبيلة وتكوين إمارتها فالأمر ما يزال غير واضح[6]، لنقص المعلومات في هذا الجانب الأمر الذي جعلنا نفترض أن هذه القبيلة لا تخرج عن نطاق كونها إتحاداً بدوياً لمجموعة من القبائل التركمانية[7]، لأن تكوين أية إمارة يرتبط

---

(1) الميثولوجيا التركية، اصدارات معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، سلسلة الدراسات التركية، 1988م، ص18.

(2) للإطلاع على نماذج مصورة من أعلامهم ونقودهم وقبورهم الخالية من الصور الحيوانية، انظر في الأعلام والقبور:

Uzuncarsili, Ismail Hakki: Anadolu Beylikleri Ve Akkoyunlu, Karakoyunlu Develetleri " Ankara, 1969 "

وذلك في ملحقي الصور: 41،49 وفي النقود: توحيد، أحمد: مسكوكات قديمة إسلامية قتلوغي، قسطنطينية، محمود بك، مطبعة سي، 1321هـ، ق4، ص 450–451، 454، 459، 467.

(3) تاريخ العراق، جـ 3، ص 24.

(4)Uzun Hasan Ve Seyh Guneyd Ceviren Tevfik Biyiklioglu " Ankara, 1948 " S, 91.

(5) العزاوي: تاريخ العراق، جـ 3، ص24.

(6)Minorsky: The Middle East in Western Politics in the 13th, 14th, and 15th Centuries in " J. R. C. A. S. 1940, part 27", p. 440.

(7) يوجد فرق بين مصطلح ترك وتركمان، فالأول يطلق على مجموعة القبائل الرحل التي كانت تقيم في آسيا الوسطى، والثاني يقصد به قبيلة من الترك هم الغز أو الأوغوز وهم إثنان وعشرون بطناً. الكاشغري،

بعوامل سياسية واقتصادية وجغرافية فبعد أن تحرز قبيلة ما عدداً من الانتصارات تجذب إليها قبائل أخرى، وبعد أن تتحد هذه القبائل تتعاظم قوتها ويكون لها شأن كبير. وقد تكون العملية معكوسة تماماً، فقد تتفكك هذه القبيلة التي كانت متكونة من اتحاد بدوي إلى مجموعة من القبائل الفرعية، تبحث كل قبيلة منها عن استقلاليتها لتبرز واحدة منها لظرف ما تكون من خلاله قادرة على التأثير في الأحداث السياسية في منطقتها، وبموجب ذلك لا نستبعد أن يكون القره قوينلو من أصل قبيلة واحدة، أو اتحاد قبائل انفصلت عن بعضها فيما بعد لظرف ما، ثم تهيئت لها فرصة الصعود كقبيلة مستقلة لتحقق ما حققته من نجاحات سياسية[1] بحيث غدت معروفة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين كقوة مؤثرة في الأحداث السياسية في غرب إيران وشرق الأناضول والعراق.

وقبل التحقق من أصلهم لابد من الإشارة إلى أن نقص المعلومات عن القره قوينلو قبل أن يكونوا إمارة لهم يرجع إلى عدم اهتمامهم بتدوين تاريخهم كونهم بدواً رحلاً لا هم لهم سوى تأمين قوتهم وموطناً لهم كما أن المؤرخين لا تجذب انتباههم في العادة إلاّ الأحداث السياسية الكبرى، لذا نجد أن التدوينات التاريخية لكثير من الأسر والقبائل الحاكمة لا تبدأ إلاّ بعد أن تشتهر ويكون لها شأن كبير في الأحداث السياسية في المنطقة التي تعمل فيها عند ذاك تجذب انتباه المؤرخين الذين يشرعون بتسجيل أخبارها ولاسيما القديمة منها بعد أن تكون قد مضى عليها زمن طويل تحولت فيه الأحداث إلى صور قريبة من الأساطير حتى لتكاد الوقائع الحقيقة تضيع في خيالات المؤرخين[2]، وأحياناً تدفع القبيلة الحاكمة المؤرخين إلى تدوين تاريخها وإعطائه عمقاً موغلاً في القدم ومنحها نسباً مشرفاً يسوغ شرعية حكمها، لذا لا يمكن الاطمئنان دائماً لمثل هذه التدوينات.

وفي ضوء ذلك لا يبدو مستغرباً أننا لم نعثر على معلومات عن أصل القره قوينلو من المؤرخين الذين عاشوا قبل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي والذين تناولوا تاريخ القبائل التركمانية كالكاشغري[3] الذي عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر

محمود ابن حسين بن محمد: ديوان لغات الترك، ط5، دار الخلافة العلية المطبعة العامرة، 1333هـ م 1، ص 27-28، 56.

(1)Romer, H.R: The Turkmen Dynasties in " C, H, I " Vol. 6, pp. 152-153.

(2) نوار، عبد العزيز: الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية بيروت، 1973م، ص 28.

(3) ألّف الكاشغري كتابه الموسوم "ديوان لغات الترك" سنة 466هـ فذكر بارتولد أنه أول من أفاض الحديث في وصف الشعوب التركية ومواطنهم ولغاتهم بما فيهم الترك غير الخلص. انظر: مادة ترك: دائرة المعارف

الميلادي وفصّل الحديث عن القبائل التركية، لكنه لم يشر إلى وجود قبيلة باسم القره قوينلـو، ولم يتحدث عن أصل هذه القبيلة، بيد أننا بدأنا نسمع عـن هـذه القبيلـة بعـد اسـتقرارها في شـرق الأناضول وتأسيسها إمارة في هذه المنطقة.

ويذكر صاحب تاريخ قطب شاه الذي يعّد مؤرخ القره قوينلو أن قره يوسف زعيم هذه القبيلة يرجع في أصله إلى اوغوزخان بن يافت بن نوح[1]، وأغوز هو البطل الأسطوري للقبائل التركية. ولكن هذا المؤرخ لا يعطينا سلسلة نسب متصلة، وعليه لا يمكن أن نعول كـثيراً علـى ما جاء به سوى قوله بانتسابهم إلى أوغوز، ويشير ابن خلدون إلى أن يافـت هـو أبـو الـترك في قوله "... وأما يافت فمن ولده الترك ... باتفاق من النسابين"[2]، ومـن تـرك دخـل الأتـراك في طور التاريخ بعد أن شرعوا في الاندفاع من جبال تيان شان إلى بوادي آسيا الوسطى، فتكونـت في هذه المنطقة خصائصهم العرقية المتميزة التي يـسميها علمـاء الأجنـاس البـشرية بالخـصائص الطورانية[3]. ويشير مؤرخ الـترك محمـود الكاشـغري إلى أن الـترك في الأصـل عـشرون قبيلـة تنتسب إلى ترك بن يافت، ولكل قبيلة منها عدة بطون، ومن هذه القبائل قبيلة أغـز الـتي تنـسب إلى أوغوز خان، ولهذه القبيلة اثنان وعشرون بطناً ومنهم قنق وقيغ والثالثـة باينـدر، ....، ... "[4]، والذي يهمنا من هذه البطون هو بايندر لأن المؤرخين يرجعـون انتـساب الآق قوينلـو إليـه[5]، ومن الباحثين من يرى احتمال انتساب القره قوينلو والآق قوينلو إلى بطن بايندر[6]، ولكن هذا

الإسلامية (الترجمة العربية)، م5، ص 46، ومن خلال تصفحنا لأجزاء كتاب ديوان لغـات الـترك لم نعثـر على أية إشارة لوجود قبيلة باسم قره قوينلو أو أي قبيلة تنتمي إلى أحد البطـون الاثـنين والعـشرين الـتي ذكرها ونسبها إلى أوغوز. كما أننا رجعنا إلى كتاب بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسـطى، ترجمـة: أحمـد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م، فلم نعثر فيه على ما يشير إلى وجود قبيلـة بهـذا الأسم.

(1)Minorisky: The Qara Qoyunlu and the Qutab Shahs, p. 53.

(2) ابن خلدون: المصدر السابق، م2، ص 10. القلقشندي: عقد الجمان، ص 28.

(3) بروكلمان: المرجع السابق، ص 259. كتاجي، زكريا: الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص30.

(4) ديوان لغات الترك، م1، ص 56.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 372. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

Uzuncarsille: Anadolu, S, 188. Romer: op.cit, vol. 6. p. 152.

(6)Romer: Ibid., p. 152.

الاحتمال يبقى ضعيفاً للقره قوينلو لأنه غير مدعم بروايات تاريخية عكس ما عليه الحال لـلآق قوينلو، ومما يزيد الأمر غموضاً في هذا الجانب هو أن القره قوينلو لم يكن لهم مؤرخون اهتمـوا بنسبهم باستثناء صاحب تاريخ قطب شاه الذي كان مقلاً في كتاباته عـن أصـلهم، وعلـى هـذا فإن كل ما نملك من معلومات يشير إلى أنهم ينتسبون إلى البارانيـة[1]، ويـذهب الـبعض إلى أن باران هو أحد أحفاد أوغوز، والقره قوينلو يسمون بالبارانية نسبة إليه[2]، وهذا الاحتمال يبقـى ضعيفاً أمام الاحتمال الثاني الذي يبدو أكثر واقعية لأنه يستند إلى شواهد مادية تتعلـق بيـاران، فثمة مدينة تحمل اسم باران، ويذكر المؤرخ التركي فاروق سومر أن المؤلفات التاريخيـة تفـيض في الإشارة إلى أنهم من باران، وأن اسم هذه المدينة، كما يعتقد، أصبح اسماً للقبيلـة، ويـضيف بأنه يتفق مع مينورسكي بأن باران ليس اسم شخص بل اسم مدينة وهو يعطينا دليلاً علـى أن باران اسم مدينة بما وجده في متحف اسطنبول من نقود ايلخانية وجلائريـة مـضروبة في مدينـة باران[3]، وبرجوعنا إلى كتب البلدانيين وجدنا أن اسم باران يطلق على قرية من قـرى مـرو[4]، وإذا كانت هذه القرية هي الموطن لهذه القبيلة، فلا بد أنهم قد مكثـوا فيهـا مـدة طويلـة، ولهـذا الصقت بهم هذه التسمية قبل أن يتحول عنها إلى تسمية بهارلو الـتي عـرف بهـا القـره قوينلـو أيضاً، وقد ارتبطت بالموطن المسمى بهار إلى الشمال من همدان[5]، حيث اسـتقر القـره قوينلـو فيها بعد باران على ما يبدو ونسبوا إليها وشكلوا فيها اتحاد قبائل القره قوينلـو بعـد أن هيمنـوا على قبيلة يفا إحدى بطون قبائل الغز التركمانية القوية التي كانت تقطن منطقـة بهـار في القـرن

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 237. والغياثي لم يذكر ماهي البارانية، وكل ماذكره قد جـاء في عنـوان لهـذه القبيلة، نصه "الطايفة الخامسة، التركمان، منهم جماعة قراقوينلو وهم البارانية"، ص 237.

(2) وقد جاء عباس العزاوي بهذا الرأي في قوله "الظاهر أن باران أحد أحفاد أوغوز، وصارت– القره قوينلو– تسمى البارانية نسبة إليه" ولكنه لم يدعم قوله بسند تاريخي، انظر: تاريخ العراق: جـ3، ص23.

(3)Kara Koyunlular, cilt 1, SS, 16-19.

(4) ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955م، م1، ص 318. ابن عبدالحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، جـ1، ص 150.

(5) بهار وهمدان: الأولى مدينة مازالت قائمة تبعد ثمانية أميال عن همـدان وكانـت قاعـدة لهمـدان في زمـن السلطان السلجوقي سليمان شاه (554–556هـ). أما همدان فهي واحدة من أكبر أربع مدن في اقليم بلاد الجبل، يقع إلى الجنوب الغربي منها جبل الوند العظيم. لسترنج: المرجع السابق، ص 221، 228، 231.

السابع الهجري[1]، وعلى أثر ذلك آثر العديد من القبائل التركمانية الانضمام إلى القره قوينلو ومنهم الساولو، ود وخارلو، وبيورت، والالباكوت، وأجال أرى، والكارامانلو، ود جاكيرلو أينلو، وقره السوس، وخربنده لو، وربما كان هؤلاء تبعية أو رعية لهم[2]. وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن القره قوينلو ليسوا قبيلة واحدة بل هم الأرجح مجموعة من القبائل التركمانية انطوت في اتحاد قبلي بزعامة قبيلة قوية فعرفوا جميعاً بالقره قوينلو.

ثانياً: استقرار القره قوينلو في شرق الأناضول وشمال العراق وتوسع دائرة نفوذهم:

تجمع المصادر والمراجع على أن الموطن الأصلي للقره قوينلو هو تركستان[3]، وبالتحديد المناطق الشرقية منها، وتعد هذه المناطق الموطن الأصلي لقبائل الأوغوز التي ينحدر القره قوينلو منها[4]، وكما هو معروف فإن العديد من قبائل الأوغوز ومنهم السلاجقة كانت قد هجرت موطنها الأصلي تركستان في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واتجهت غرباً نحو بلاد أذربيجان والقفقاس والأناضول وشمال العراق، ولا يوجد ما يشير إلى أن القره قوينلو تركوا موطنهم في تلك المدة أيضاً، في حين توجد روايتان تؤرخان تاريخ هجرة القره قوينلو من تركستان إلى هذه البلاد بعد المدة المذكورة، والأولى منهما تذكر بوضوح أن طغرل بك الجد السادس لقره يوسف هجر موطنه الأصلي تركستان سنة 596هـ/ 1202م بعد أن اجتاح جنكيز خان بلاده إلى المناطق السهلية المنبسطة لسمرقند وبخارى. وخلال مدة الصراع بين جنكيز خان وعلاء الدين محمد خوارزمشاه فإن طغرل بك وعشيرته انتقلوا إلى سهول ديار بكر بسبب معارضتهم للمغول[5]. وعلى هذا يكون تاريخ هجرة القره قوينلو إلى هذا الأقليم

---

(1)Pomer: op. cit, Vol. 6, p. 153. Bosworth, C.E: Islamic Dynasties " Edinbargh, 1980 " p. 168. Minorsky, V: Jihan-Shah Qara-Qoyunlu and his Poetry " B, S, O, A, S. Vol.. XVI, part, II, 1954 " p. 272. Barthold, V.V: Four Studies on the History of Central Asia, " Leiden, 1962" Vol. III , p. 119.

(2)E.L. / II: S.V, Kara Koyunlu, Vol.4, p. 588.

(3) انظر: منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص149. القرماني، ابا العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (عالم الكتب)، بيروت، ص336. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص23. الصائغ، سليمان: تاريخ الموصل، جـ1، ص255.

(4)Sumer: A.G.E. 1, cilt, s, 36.

(5)Minerisky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, pp. 53-54.

منحصراً بحسب هذه الرواية بين سنتي 616هـ/ 1219م و 617هـ/ 1220م ، ففي هذا التاريخ اجتاح جنكيز خان بلاد خوارزم وقتل علاء الدين خوارزمشاه وذلك سنة 617هـ/ 1220م[1].

أما الرواية الثانية فتذكر أن القره قوينلو هم طائفة "من التركمان كانت مساكنهم القديمة بلاد التركستان ثم تحولوا عنها في زمن أرغون خان ... إلى بلاد أذربيجان، ثم تحولت طائفة القره قوينلو إلى نواحي أرزنكان[2] وسيواس[3] واستفحل بها أمرهم[4]".

ويلاحظ أن رشيد الدين الهمداني الذي كان وزيراً للايلخان أرغون لا يشير في كتابه "جامع التواريخ" إلى حدوث أية حركة نزوح لقبائل تركية في عهد أرغون، لأن الدولة الايلخانية في عهد هذا الايلخان كانت قد استقرت، وخفت حدة صراعاتها الداخلية والخارجية، لذلك لا توجد أسباب موجبة تدفع القبائل إلى ترك موطنها. لهذا نقول: أن هجرة القره قوينلو لم تحدث في زمن هذا الايلخان، وإنما حدثت في السنة التي حددتها الرواية الأولى، وما يدعم رأينا هذا أن الاندفاع المغولي الأول الذي قاده جنكيز خان في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي كان عامل افزاع لكافة القوى القبلية والكيانات السياسية غير المغولية، فاضطر الكثير من القبائل إلى ترك مواطنها والهجرة إلى مناطق أخرى طلباً للأمان، ولنا في ذلك شواهد منها استقرار بعض القبائل الخوارزمية التركية في بلاد الشام في الربع الأول من القرن السابع الهجري بسبب الاجتياح المغولي لبلادهم[5]، وإلى هذه البلاد أيضاً هاجر الكثير من العشائر الكردية بعد أن اجتاح المغول شمال العراق[6].

أما ما يتعلق بخط سير هجرة القره قوينلو، فهناك من يشير إلى أنهم بعد تركهم سهول بخارى وسمرقند توجهوا نحو شمال غرب إيران فاستقروا ردحاً من الزمن في منطقة بهار، ثم تابعوا مسيرتهم عبر أذربيجان إلى أرمينيا وبالتحديد نحو أريفان عاصمة جمهورية أرمينيا

---

(1) عن الاجتياح المغولي لخوارزم ومقتل علاء الدين خوارزمشاه، انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 333-334.

(2) ارزنكاكن أو ارزنجان: بلدة مشهورة كثيرة الخيرات من بلاد أرمينيا تقع بين بلاد الروم وأخلاط قريبة من أرزن الروم. ابن عبدالحق: المصدر السابق، ج1، ص 55.

(3) سيواس: هي إحدى مدن بلاد الروم، وتقع على نهر قزل ايرماق. لسترنج: المرجع السابق، ص 179.

(4) القرماني: المصدر السابق، ص 179.

(5) عن استقرار الخوارزمية في بلاد الشام، انظر: التكريتي، محمود ياسين أحمد: الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد 1981م، ص295-302.

(6) انظر: ابن العبري: المصدر السابق، ص 142، 257.

الحاضرة والمناطق المحيطة بها[1]، ويبدو أن المقام في هذه البلاد لم يطب لهم فتركوه ليستقروا أخيراً في سيواس وارزنكان والمناطق المحيطة ببحيرة وان أوفان[2]. ومن هذه المنطقة بدأوا يوسعون مناطق نفوذهم في شرق الأناضول والجزيرة الفراتية، فدخلوا في حالة صراع مع جيرانهم من القبائل التركمانية كالآق قوينلو من أجل الاستحواذ على الأملاك ولاسيما على مدينة أرض روم[3] التي ساد على أرضها صراع امتد من سنة 733هـ/ 1332م حتى سنة 735هـ/ 1334م كان من نتائجه تدمير المدينة المذكورة[4].

وقد خدمت الظروف السياسية القره قوينلو في النصف الأول من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي على أثر وفاة السلطان الايلخاني أبي سعيد بهادر سنة 736هـ/ 1335م فبوفاته انفجر الصراع السياسي بين أمرائه من أجل الاستحواذ على السلطة[5]، وبقدر تعلق الأمر بالجزيرة الفراتية نجد أن طوغاي بن سوتاي الذي كان نائباً للسلطان أبي سعيد بهادر على إقليم ديار بكر دخل في صراع مع الأمير علي بادشاه خال السلطان أبي سعيد وحاكم العراق وطلب من مماليك مصر مساعدته لمواجهة أعدائه، غير أن المماليك لم يسعفوه[6]، فاضطر إلى الاستعانة بالشيخ حسن الكبير نائب السلطان أبي سعيد على بلاد الروم، وشكلّ معه تحالفاً ضد علي بادشاه الطامع بزعامة الايلخانيين، وعلى أثر هذا التحالف تمكن الأمير الشيخ حسن الكبير من قتل علي بادشاه والاستيلاء على العراق واقليم ديار بكر وتأسيس الكيان الجلائري فيهما واتخاذ بغداد مركزاً له[7]، أم الموصل التي كانت مركزاً

---

(1)Sumer: A.G. e, 1 cilt, ss, 19-20. Romers: op. cit., Vol. 6, p., 153. E.I/ II S.V , Turkomans to present day, Vol. 4, p. 33.

(2) القرماني: المصدر السابق، ص 336. الصائغ: المرجع السابق، جـ 1، ص255.

(3) ارض روم أو أزون الروم: تقع على الفرات الأعلى الغربي، وقد عرفها الأرمن باسم كرن. لسترنج: المرجع السابق، ص 149.

(4)Romer: op. cit, Vol. 6, p. 154.

(5) ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 322. سرور، محمد جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م، ص213-215-216. محمد: العراق في السياسة المملوكية، ص134، 137.

(6) حافظ آبرو، شهاب الدين عبدالله بن لطف الله الخوافي: ذيل جامع التواريخ رشيدي، شركة تضامني علمي، تهران، 1317هـ ص152-153. المقريزي: المصدر السابق، جـ2، ق2، ص397-398، 504. العاني: المرجع السابق، ص 22_24.

(7) ابن بطوطة: المصدر السابق،ص231. خليل: المغول في الموصل والجزيرة، ص131.

لإقليم ديار بكر فقد خضعت للأمير إبراهيم شاه بن برنباي بن سوتاي[1] الذي لم يتمكن من الاحتفاظ بها مدة طويلة، فقد انتزعها منه الشيخ حسن الكبير بعد حروب طويلة ثم ما لبثت أن انتزعت من الشيخ حسن لمصلحة الأمير الكردي بدرالدين حسن بن هندو الذي سيطر عليها وعلى سنجار سنة 751هـ/ 1350م ومنها قام بشن غارات وصلت إلى حدود ماردين والرحبة[2]، فشكل بغاراته هذه مصدر خطر على المماليك الذين كان لهم في الجزيرة الفراتية مناطق نفوذ، ولغرض إيقاف هذا الخطر أرسل المماليك حملة عسكرية سنة 751 هـ / 1350م إلى سنجار لمحاصرته، وعند ذاك أدرك بدر الدين عدم قدرته على المواجهة فأعلن تبعيته لهم، فأقروه حاكماً على الموصل وسنجار على أن يقيم الخطبة فيها باسم سلطان مصر[3].

وباستقرار حكم بدر الدين على الموصل وسنجار برز دور القره قوينلو في شمال العراق بشكل واضح، ولاسيما دور بيرام خواجة[4]. زعيم هذه القبيلة، الذي استغل ما لحق بالسكان من أضرار نتيجة ما قام به بدر الدين حسن من أعمال نهب وتخريب وقطع الطرق[5] تأليب بعض أمراء الموصل على بدرالدين فأمدوه بقوات تمكن بها من شن هجوم على قوات حسين بيك التركماني حليف بدرالدين حسن بن هندو ودارت معركة في خريف سنة 752هـ/ 1351م بالقرب من العمادية[6] انتهت بمقتل حسين بيك، وبمقتله ضعف موقف بدر الدين الذي قتل بعدئذ على يد صاحب ماردين سنة 754هـ/ 1353م وبذلك أصبح بيرام خواجه

(1) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر وادا ونصيبين من بلاد الجزيرة الفراتية. ابن عبدالحق: المصدر السابق، ج3، ص 1219.

(2) الرحبة: سميت برحبة مالك بن طوق نسبة إلى مؤسسها الذي يخرج من يمين الفرات فوق قرقيسيا. لنسترنج: المرجع السابق، ص136-137.

(3) ابن حجر : الدرر الكامنة، جـ1، ص 417، جـ2، ص 134. المقريزي: المصدر السابق، جـ2، ق3، ص830. العيني: تاريخ البدر الطالع في أوصاف أهل العصر (نسخة الدكتور أحمد الحسو مصورة عن مكتبة المتحف البرطاني ذات الرقم 33360) الورقة 56. ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) ، جـ10، ص 295. العاني: المرجع السابق، ص51. محمد: العراق في السياسة المملوكية، ص137.

(4) بيرام خواجه: ويرد أحياناً باسم بيرم خجا. انظر: ابن حجر : ابناء الغمر، جـ1، ص107.

(5) عن أعمال النهب والتخريب التي قام بها بدر الدين. انظر: ابن حجر: الدرر الكامنة، ج2، ص 134. المقريوي: المصدر السابق، جـ2، ق3، ص 830، 907. ابن اياس، محمد بن أحمد الحنفي: تاريخ ابن اياس (بدائع الزهور في وقائع الدهور)، ط1، مطبعة بولاق لمصر، 1311هـ ج1، ص 193.

(6) العمادية: قلعة حصينة شمالي الموصل كان اسمها السابق آشب. ياقوت: المصدر السابق، م4، ص149.

طليق اليدين في منطقة الموصل وأطرفها، وغدت المنطقة الممتدة من ماردين إلى الموصل خاضعة لحكمه(1). وبهذا يكون القره قوينلو قد مدوا نفوذهم على المناطق الممتدة من سيواس وارزنكان وارض روم نزولاً إلى الموصل التي اتخذوها مركزاً شتوياً لهم، في حين اتخذوا من مدينة موش مركزاً صيفياً(2). وبذلك شكلّوا أمارة كان لها من ثم شأن كبير في الأحداث السياسية للمنطقة.

ثالثاً: موقف الجلائريين من احتلال القره قوينلو لشمال العراق:

أثار استيلاء بيرام خواجه على معظم ديار بكر ومنها الموصل وتوابعها حفيظة الجلائريين. ويبدو أن القره قوينلو في تلك المدة لم يكن لديهم من القوة ما يجعلهم قادرين على الاحتفاظ بالموصل أمام إصرار الجلائريين على إعادة السيطرة عليها، لذلك ما لبثت أن خضعت ثانية لحكمهم(3).

بقيت الموصل وسنجار تابعة للجلائريين يحكمها نواب عن الشيخ حسن الجلائري حتى سنة 757 هـ / 1356م التي توفي فيها الشيخ حسن، فأعلن نوابه في الموصل وسنجار تمردهم على أبنه أويس الذي خلفه في الحكم، وأعلنوا ولاءهم للمماليك وخطبوا لهم، فأرسل السلطان المملوكي الذي استقبل الخبر بترحاب تقاليده السلطانية لهم دليلاً على قبوله تبعيتهم له(4).

كان الوضع الداخلي للجلائريين في تلك المدة مضطرباً بفعل سلسلة هجمات القبائل العربية على البصرة(5)، والثورات التي حدثت في الموصل وسنجار وأرجيش(6) فأرهقت القوات الجلائرية بحيث أصبحوا عاجزين عن استعادة المدن التي ثارت عليهم، لذلك كان لابد لهم من الاستعانة بقوة خارجية، ولما كان القره قوينلو هم أقرب القوى من الموصل وسنجار

---

(1) ابن حجر: الدرر اكامنة، جـ2، ص134. المقريزي: المصدر السابق، جـ2، ق3، ص 907. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ10، ص295.

Sumer: A.g. e, 1 cilt. s, 39. E.I./ II S. V. Kara koyunlu, Vol, 4, p. 584.

(2)Ibid., Vol. 4, p. 584.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 315. العاني: المرجع السابق، ص51.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 39.

(4) ابن كثير: المصدر السابق، جـ14، ص 293. المقريزي: المصدر السابق، جـ2، ق3، ص 830، 907.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 54.

(5) العاني: المرجع السابق، ص43.

(6) ارجيش: أشهر بحيرات أرمينيا ويطلق عليها اسم بحيرة وان، وتقع على هذه البحيرة مدينة ارجيش ووان واخلاط ووسطان. لسترنج: المرجع السابق، ص 217.

فإن ذلك مما دفع السلطان الجلائري أويس إلى طلب المساعدة منهم[1]. فوجد القره قوينلو في ذلك فرصة مشجعة تخدم مصالحهم في إيجاد مناطق نفوذ جديدة لهم، لذلك رحب الأمير بيرام خواجه وابنه قره محمد- الذي كان قد برز نجم زعامته ومشاركته لوالده بيرام خواجة في قيادة القره قوينلو-بطلب السلطان أويس، فعقدا معه اتفاقاً على أن يكونا في خدمته مقابل عدم تعرضه لمناطق نفوذهما في ديار بكر[2].

وبموجب هذه الاتفاقية تحرك بيرام خواجه نحو الموصل وسنجار، وتمكن من القضاء على حركة المقاومة في كلتا المدينتين وأعادتهما لحكم الجلائريين[3]، وهو بذلك قد حقق حرية التحرك في المنطقة وفرض هيمنته على المناطق المتاخمة لنفوذه دون الخوف من التدخل الجلائري، كما أتاح له ذلك مجال الاستفادة من أي ظرف ملائم لتوسيع مناطق نفوذه، حتى إذا ما وجد نفسه قادراً على مواجهة الجلائريين أعلن من جانب واحد تخليه عن التحالف مع السلطان أويس، وقاد قواته مستهدفاً طرد الجلائريين من شمال العراق، وتمكن من احتلال الموصل سنة 765هـ/ 1363م[4]، مستغلاً بذلك فرصة انشغال السلطان أويس بقمع ثورة مرجان في السنة نفسها[5].

ولم يكتف بيرام خواجه بما حققه من مكاسب على حساب الجلائريين بل بدأت تحرشاته تستهدف إمارة الاراتقة في ديار بكر من خلال التعرض لماردين والمدن التابعة لها ونهب غلاتها، كما حدث سنة 767 هـ / 1365م[6] ولغرض مواجهة هذه التحرشات طلب صاحب ماردين الملك المنصور المساعدة من السلطان الجلائري أويس الذي لم يتردد في الإستجابة لهذا

---

(1)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p., 54.

(2) منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 149. أدهم، خليل: دول إسلامية، ملي مطبعة، استنبول، 1927م، ص 404.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and Qutb-Shahs, p. 54.

(3)Uzuncarsili: Anadolu, s, 180.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ 3، ق1، ص122. العاني: المرجع السابق، ص 51-52.

(5) عن ثورة مرجان وأسبابها، انظر التفاصيل في: الغياثي: المصدر السابق، ص 91-92. ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين: تاريخ روضة الصفا، تهران، 1339هـ جـ5، ص 72-73. خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني: حبيب السير في أخبار أفراد البشر، كتابخانه خيام، تهران، 1333 ش، جـ3، ص240. مينورسكي، مادة أويس: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م5، ص163. الأعلمي: المرجع السابق، ص 50.

(6) حافظ ابرو: المصدر السابق، ص 194. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق1، ص 121.

الطلب[1]، لأن ذلك سيحقق له هدفين، الأول استعادة المناطق التي سبق أن سيطر عليها بيرام خواجه بما فيها الموصل، والثاني تشكيل حلف مع الأراتقة لتضييق الخناق على القره قوينلو وشل تحركاتهم في المنطقة. وبالفعل تحرك السلطان الجلائري أويس نحو الموصل سنة 767 هـ / 1365م لمواجهة غريمه بيرام الذي كان موجوداً فيها بصحبة شقيقه بردى خواجه، وما أن علم بيرام بأمر هذا التحرك حتى ترك أمر الدفاع عن الموصل لأخيه بردى خواجه، وتوجه بعشائره نحو سهل موش، فسهل ذلك للسلطان أويس سرعة السيطرة على الموصل بعد أن ضعفت المقاومة فيها[2].

ثم شرع بمتابعة غريمه بيرام حتى أدركه في سهل موش و"انقض عليه كالصاعقة وأطلق يد السلب والنهب في أموال عشائره وقبائله"[3]. فاضطر بيرام على التقهقر والإنسحاب باتجاه تبريز، غير أن السلطان أويس لم يتركه بل تعقبه حتى أرغمه في نهاية الأمر على الاستسلام ودفع أتاوة سنوية له. وبذلك يكون بيرام قد دخل في التبعية الفعلية للجلائريين حتى سنة 771 هـ / 1369م[4]. وفي هذه السنة تمكن بيرام من إعادة سيطرته على الموصل ثانية، غير أن بقاءه فيها لم يدم طويلاً، فقد اضطر إلى تركها سنة 773 هـ / 1371م[5]، وفي سنة 774 هـ / 1372م احتل سنجار، ومنها عاود الكرة على الموصل[6] مستغلاً الفوضى السياسية التي عمّت الإمارة الجلائرية بعد موت السلطان أويس سنة 776 هـ / 1374م والمشاكل التي واجهت خليفته السلطان حسين، فتمكن من السيطرة عليها سنة 777 هـ / 1375م ثم نافسه عليها بيرما التركماني في أواخر العام نفسه، فاستنجد بيرام خواجه بأراتقة ماردين وحصن كيفا

---

(1) حافظ ابرو: المصدر السابق، ص 194.

Sumer: A. g. e, 1 cilt, s, 41. E.L/ II . s.v, Kara Koyunlu, Vol , 4, p. 584

(2) حافظ ابرو: المصدر السابق، ص 194. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق1، ص 122. مينورسكي: مادة أويس، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) م2، ص 164. ويحدد شرف خان البدليسي سنة زحف السلطان أويس على غريمه بيرام بسنة 766هـ. شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، جـ2، ص52.

(3) البدليسي: المصدر نفسه، جـ2، ص 52. مينورسكي: مادة أويس، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م2، ص 164.

(4) حافظ ابرو: المصدر السابق، ص 194.

Sumer: A. g. e. 1 cilt, ss, 41-42. E.L/ II, S.V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 584.

(5)Sumer: A. g. e, 1k cilt, s, 42.

(6)E.L / II, S.v, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 584.

فأمدوه بعسكر حاصر به الموصل مدة أربعة أشهر، وانتهي الحصار سنة 778 هـ / 1376م، باستسلام بيرما التركماني، واستتاب بيرام أخاه بردى خواجه على الموصل[1] لينصرف هو في توسيع وقعة إمارته على حساب الجلائريين، فتمكن من ضم كل من أرجيش وخوى[2] ونحجوان[3] وقلعة أونك[4] لملكه[5].

توفي بيرام خواجه سنة 782هـ/ 1380م فاستقرت الزعامة لقره محمد بن تـوميش بن بيرام خواجه[6] الذي لم يتمكن الاحتفاظ بالموصل إذ استعادها منه السلطان الجلائري حسين بن أويس، فاضطر قره محمد إلى مصالحته على أن يدفع للسلطان حسين عشرين ألف رأس غنم في كل سنة رمز للتبعية وأن يلازمه في بلاطه[7]. وفي عهد قره يوسف الذي تولى الزعامة بعد سنة 791هـ تحولت العلاقة مع الجلائريين من التبعية إلى التحالف، وبذلك يكون القره قوينلو قد حققوا استقلالهم الفعلي عن الجلائريين.

---

(1) ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 107، 133.

(2) خوى: مدينة تقع في أذربيجان على نهر يجري شمالاً فيصب في نهر الرس. لسترنج: المرجع السابق، ص 200-201.

(3) نحجوان: بلدة كبيرة بأقصى أذربيجان شمال نهر الرس وتقع إلى الشرق منها قلعة النجف. لسترنج: المرجع نفسه، ص 201.

(4) قلعة أونك أو أنيك أو أفانييك: قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من أحد منابع نهر الرس وتبعد ثمانية فراسخ عن أرض روم. لسترنج: المرجع نفسه، ص 150.

(5) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 26. الرازي: المرجع نفسه، م3، ص 674. أدهم: المرجع السابق، ص404. لين بول ستانلي: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر، 1972م، جـ2، ص 535.

E.I./ II, S.V, Kara Koyunlu, Vol, 4, p. 584.

(6) عن تولي قره محمد زعامة القره قوينلو، انظر: ص 66 "مبحث الصراع على زعامة القره قوينلو".

(7) ميرخواند: المصدر السابق، جـ5، ص 579. خواندمير: المصدر السابق،جـ3، ص 243.

رابعاً: تصدي القره قوينلو للقوات التيمورية المندفعة نحو أذربيجان وشرق الأناضول:

شهد العالم الإسلامي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي موجة مغولية غازية جديدة بقيادة تيمورلنك[1] الذي اندفع من أواسط آسيا بعد توحيدها نحو إيران، ولم تكن إيران آنذاك موحدة، بل كانت تتقاسمها مجموعة من الإمارات، منها إمارة الكرت 643-792هـ / 1245-1289م ومناطق نفوذها في الجزء الشمالي الشرقي من فارس، فضلاً عن افغانستان الحاضرة، والإمارة المظفرية 713-795 هـ / 1313-1392م في جزء من فارس مع اقليم كرمان، والإمارة الجلائرية في غرب إيران والعراق الحاضر، والإمارة السربدارية 738-783هـ/ 1337-1381م في خراسان. ومعظم هذه الإمارات قد انهار أمام تيمورلنك[2] الذي كان يدعى أنه الوريث الشرعي لأملاك المغول الايلخانيين[3]، ولم يبق أمامه غير الإمارة الجلائرية التي كان إقليم أذربيجان جزءاً منها، ولهذا أدرج هذا الأقليم في مخطط توسعاته ضمن حملته على إيران سنة 788هـ/ 1386م[4] مستهدفاً تأمين موارد اقتصادية جديدة لبلاده التي كانت قد انهكتها الحروب عن طريق الغنائم فضلاً عن تأمين طرق القوافل المتجه إلى بلاد ما وراء النهر من المشرق العربي، والبحر الأسود وأوربا حيث تشكل الضرائب المفروضة على هذه القوافل والخدمات التي تقدم لها موارد مالية مهمة للمناطق التي كانت تحت سيادة تيمور، وهي موارد كانت قد تعطلت قبل هذه الحملة بسبب تعرض القوافل التجارية لغارات بعض القبائل في المنطقة، وكان من نتائجها تدهور اقتصاد بلاد ما وراء النهر[5].

---

(1) عن أصل تيمور وظروف نشأته وكيف تمكن من توحيد أواسط آسيا، انظر: ابن عربشاه، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدالله: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1285م، ص 5-17. ابن تغري بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، 1986م، جـ4، ص 103-107. يكوبوفسكي . أ . يو: تيمورلنك (وصف موجز لسيرة حياته)، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، المجلد الخامس عشر، العدد السابع، تموز 1988م، ص 110-119.

(2) يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص 125-126.

Savory, R. M: The Struggle For Supremcy in Persia After the Death of Tiur " Der Islam, Band 40, Heft, 1, Mai, 1964, Berline, p. 36.

(3) خليل، نوري عبد الحميد: حملات تيمور على بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، 1979م، ص 65.

(4) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص20-21، 312.

(5) حسين، جاسم مهاوي: تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية 1386-1405، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1976، ص 59-60، 73.

تمكن تيمور سنة 788هـ/ 1386م من احتلال تبريز عاصمة اقليم أذربيجـان م دون أيـة مقاومة جلائرية[1]، ومنها بدأ يوجه قواته نحو المناطق التي تشكل تهديداً لطرق القوافل التجارية لاسيما منطقة وجود القره قوينلو المسيطرين على بحـيرة وان ذات الموقـع المهـم الـذي يـشكل حلقة وصل بين أذربيجان وأرمينيا والأناضول والجزيرة الفراتية لوقوعه على طرق التجارة بين الشرق والغرب[2]، ومنه كان القره قوينلو يشنون غاراتهم على قوافل الحج والتجارة[3].

وكانت أول منطقة استهدفها تيمور من أملاك القره قوينلو مدينة أرجـيش، فقـد أرسـل تيمور ابنه ميرانشاه على رأس قوة كبيرة من عسكره لمهاجمة القره قوينلو فيها بعد أن رفض قـره محمد – بن تورميش الذي كان قد تـولى زعامـة القـره قوينلـو بعـد سـنة 782هـ / 1380م – التهديد التي كان تيمور قـد أرسـلها إليـه يـدعوه فيهـا إلى الاستـسلام[4]، ولكـن هـذه الحملـة أخفقت، ولم تحقق نتائجها بسبب المقاومة العنيفة التي أبداها قره محمد وأتباعه[5].

فأثار إخفاق ميرانشاه والده تيمور الذي أعد حملة أخرى أكثر قـوة مـن الأولى، واسـند قيادتها إلى ميرانشاه أيضاً والأمير ميراك برلاس، ولكـن هـذه الحملـة لم تحقـق أهـدافها أيـضاً، فضلاً عن تكبد كلا الطرفين خسائر جسيمة[6].

وأمام هذا الاستبسال القره قوينلوي غيّر تيمـور خطتـه مـن مـواجهتهم بـشكل مباشـر كمجموعة واحدة إلى سياسة حصار المدن، فاضـطر القـره قوينلـو إلى تجزئـة قـواتهم وإرسـالها كمجموعات إلى مدنهم وقلاعهم للدفاع عنها أمام الزحف التيموري.

وبدأ تيمور بتنفيذ خطته، بعد أن عبأ جيشه والحق به كل قطعاته التي كانت تحاصر قلعـة النجاق[1] التابعة للجلائريين فاندفع بها نحو شرق الأناضول، وحاصر قلعـة بايزيـد[2] الـتي مـا

Howorth, Henry. H: History of the Mongols From the 9th to the 19th Century " Burtfranklin. New York " Vol. 3, p. 657.

(1) شامي، نظام الدين: ظفر نامه، بسعي واهتمام وتصحيح: فلكس تاور، جاب مطبعة امريكائي در، بيروت، 1973، ص 99. العيني: تاريخ البدر، ورقة 125.

Howorth: Op-cii Vol. 3, p. 661

(2)Minorsky: Jihan-Shah. Qara-Qoyunlu, p. 273.

(3) اليزدي، شرف الدين علي: ظفرنامه، تصحيح وإتمام: محمد عباسي، سامي جاب – زكمين، جـ1 ، ص 302.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, S, 180.

(5)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 55.

(6)Ibid., p. 55.

لبثت أن سقطت ونهبت مع قراها ومنها توجه نحو قلعة أونك فنهب القبائل التركمانية المحيطة بها، ولكنه لم يتمكن من فتحها، فتركها وتوجه إلى أرض روم فاستولى عليها بعد حصار يوم واحد، ثم خيّم في منطقة تدعى جابكجور، ومنها أرسل مبعوثاً إلى طهرتن والي أرزنجان من قبل قره محمد يدعوه إلى الخضوع والطاعة فأجابه إلى ذلك وأرسل إليه ضريبة الأمان(3).

وقد أخذ الموقف العسكري للقره قوينلو يتدهور بسبب الكثير من مدنهم وقلاعهم وتشتت أتباعهم، واصبح قره محمد في موقف لا يحسد عليه أمام خيارين لا ثالث لهما، أما الاستسلام وهو أمر لم يرضه لنفسه لما عرف عنه من شجاعة وتحمل الصعاب أو القتال الذي لا تميل نتائجه لصالحه بسب اختلال ميزان القوى لصالح تيمور. ومع ذلك فضّل الخيار الثاني وعبأ ما بقي من قواته التي كانت قد انسحبت إلى ملطية(4) انتظاراً للمعركة الحاسمة التي كان تيمور قد أعد لها باختيار ثلاثة أفواج من خيرة قواته أسند قيادتها إلى ثلاثة من أشجع قواده منهم ابنه ميرانشاه والأمير لاله خواجه، والتقى الجمعان في إحدى الممرات الجبلية، فدارت معركة طاحنة برز فيها قره يوسف ابن قره محمد الذي أصبح له عندئذ شأن كبير عند قبائل القره قوينلو لما ابداه من شجاعة فائقة، فقد تمكن من دحر فوجين من الأفواج الثلاثة التيمورية، وقتل قائد الفوج الثالث الأمير لاله خواجه، وعلى أثر ما تكبده التيموريون من خسائر اضطر

---

(1) قلعة النجاق: تقع في اقليم أذربيجان بالقرب من بلدة نخجوان. لسترنج: المرجع السابق، ص 201.

(2) قلعة بايزيد: وتسمى أيضاً بقلعة أيدن وهي لا تبعد كثيراً عن قلعة أفانيك أواونك.

Sumer: A. g. e, 1 cilt, 49.

(3) الشامي: المصدر السابق، ص 103. اليزدي، المصدر السابق، جـ1، ص 302-303. الغياثي: المصدر السابق، ص 181. ابن أياس: المصدر السابق، ج1، ص 367. الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم: اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب 1924م، جـ2، ص 460.

Howorth: op. cit, Vol. 3, pp. 661-662.

وعن ضريبة الأمان، انظر عنها: في الفصل الاقتصادي.

(4) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم: تاريخ ابن الفرات، عني بنشره: قسطنطين زريق، المطبعة الأمريكانية، بيروت، 1936م، م9، جـ1، ص 10. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 563. العيني: تاريخ البدر، ورقة 127. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ11، ص 247. الصيرفي، علي بن داؤد: نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسين حبشي، دار الكتب، 1970م، جـ1، ص 154. ملطية: ويسميها الروم مليتين وتقع على بعد ثلاثة أميال من نهر القباب بالقرب من ملتقى هذا النهر بالفرات. والقباب يسميه الأتراك اليوم طوخمه صو. لسترنج: المرجع السابق، ص 152.

ميرانشاه للانسحاب من ساحة المعركة [1]. فقام تيمور بنفسه بحملة أخرى في سنة 789هـ/ 1387م بجميع قواته لتكون ثمة معركة فاصلة، فعمل قره محمد على استدراج تيمور إلى منطقة جبلية ليسهل عليه أمر الدفاع[2] وبمساعدة الأكراد تمكن من كسر جيش تيمور الذي كان قد اسند القيادة إلى ابنه لقمان على الرغم من وجوده بنفسه ضمن الحملة[3].

إن خفاق تيمور في كسر شوكة القره قوينلو على الرغم من حملاته الخمس ضدهم، ووصول أخبار تعرض بلاد ماوراء النهر لحملة قادها ضده توقتاميش خان القبيلة الذهبية في القفجاق[4] في نهاية سنة 789هـ / 1387م فرض عليه التخلي مؤقتاً عن مواجهة القره قوينلو والانسحاب من أرضيهم ليعود إلى بلاده مدافعاً عنها[5].

وقد استغل قره محمد فرصة انسحاب تيمور من بلاده لإعادة تحصين القلاع التي خربها التيموريون، فبنى معسكراً لقواته في أعالي الفرات[6]، وبعد أن أكمل تحصيناته وجه قواته نحو أذربيجان مستغلاً فرصة انسحاب الجيش التيموري منها بخلاف حامية صغيرة بقيت في تبريز، فاستهدف قره محمد تبريز قبل غيرها من مدن أذربيجان[7] لتخوفه من عودة السلطان أحمد الجلائري إليها لأنها كانت فيما سلف عاصمة للجلائريين أولاً ولتأمين موارد جديدة له لتعويض ما فقد من ممتلكات على يد التيموريين ثانياً، ولتكون تبريز قاعدة له ينطلق منها لتوسيع رقعة إمارته في إيران ثالثاً.

---

(1)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 55.

(2) Ibid., pp. 55. 56.

(3) ابن الفرات: المصدر السابق، م2، جـ1، ص12. المقريزي: المصدر السابق، جـ 3، ق2، ص 564. ابن حجر: انباء الغمر، جـ 1، ص 335-336.

(4) القبيلة الذهبية: تنتمي إلى دوشي بن جنكيز خان الذي أسس أول دولة مغولية بأسم دولة مغول القفجاق أو القبيلة الذهبية، ودولة القفجاق مملكة بدوية عاش أهلها على الرعي في المناطق السهلية الواقعة جنوب روسيا. ابن خلدون: المصدر السابق جـ5، ص 533-534. الحجي، حياة ناضر: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة تكريت، الحولية الثانية، 1981م، الرسالة الثامنة، ص 10.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 107، 182. الرمزي، م . م: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار (اونبورغ) جـ1، ص 590-592. يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص 123.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 56

(6) Ibid., p. 56.

(7)E .D/ II. S. V, Kara Koyunlu Vol. 4, p. 584.

وقد تمكن قره محمد من احتلال تبريز سنة 790هـ/ 1388م [1]، وعين عمّه مصر خواجه حاكماً عليها[2]، وهنا خطا قره محمد خطوة تنم عن ذكاء وفهم لمتطلبات ((السياسة الدولية وتوازن القوى)) حين أدرك أن القوى المحيطة بإمارته من تيموريين وآق قوينلو- الذين كانوا في خصام معه – لن يغفروا له احتلال تبريز فرأى أن الضرورة تقتضي البحث عن حليف قوي يعمل معه لمواجهة أعدائه، وتثبيت رقعة إمارته، فوجد بغيته عند المماليك في مصر والشام الذين كانوا محتاجين أيضاً إلى حليف يواجهون معه أعداءهم الأق قوينلو الطامعين بأرض الشام[3]، والجلائريين كذلك بهدف إزاحتهم عن حكم العراق.

لذا قدم قره محمد ولاءه لسلطان المماليك برقوق وأرسل إليه سنة 790هـ/ 1388م من يعلمه بأنه نائب السلطان في هذه البلاد، وأنه خطب وسك الدنانير والدراهم باسمه، فاستجاب السلطان لطلبه[4]. غير أن هذا التحالف لم يدم، لمقتل قره محمد سنة 791هـ/ 1389م [5] في معركة مع أمير تركماني يدعى قره حسن[6]. وبمقتله شهدت إمارته أحداثاً جساما كانت نتائجها وخيمة على المنطقة، كما سنعرض ذلك لاحقاً.

خامساً: الصراع على زعامة القره قوينلو وبروز قره يوسف:

أشرنا فيما سبق إلى أن بيرام خواجه كان الزعيم القوي للقره قوينلو، وهو الذي نقلهم بجهوده من قبيلة رحالة غير مستوطنة إلى قبيلة تحكم منطقة شاسعة تمتد من بحيرة وان إلى الموصل. ولاشك أن ماقام به من جهد في توحيد القره قوينلو وتثبيت موطئ قدم لهم في المنطقة

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 585. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 349-350. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان جـ1، ص 177.

(2) الصيرفي: المصدر نفسه، جـ 1، ص 177.

(3) عن أطماع الآق قوينلو في الشام، انظر: الزهيري، حنان جاسم محمد: العلاقات السياسية المملوكية التركمانية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب-جامعة الموصل، 1991م، ص 44-45.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 585. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 349-350. العيني: تاريخ البدر، ورقة 131. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ1، ص 177.

(5) ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ5، ص 88. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (نسخة المكتبة الوطنية، باريس، تحت رقم 2072، نسخة ميكروفلم لدى الدكتور أحمد الحسو) باب الميم والحاء.

(6) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص 378.

Uzuncarsili: Anadolen, s, 180. Romer: op. cit, Vol. 6, p. 160.

لا يعني أن القره قوينلو جميعاً كانوا موافقين على زعامته، لأن أمر التنافس على زعامة القبيلة كان قائماً بين بيرام خواجه وحسين بيك وكان من نتائج ذلك وقوع معركة بينهما انتهت بمقتل حسين بيك سنة 752هـ / 1351م[1]، وبمقتله انفرد بيرام خواجه بزعامة القره قوينلو حتى وفاته سنة 782هـ/ 1380م[2]، ثم تولى الزعامة من بعده لمدة قصيرة كل من مراد خواجه وتورميش بن بيرام خواجه، ثم انتقلت الزعامة إلى قره محمد[3] الذي واجه أيضاً منافسة عمه مصر خواجه، ثم انتهت المنافسة بموافقة العم على زعامة قره محمد[4]، بعد أن تطلب الموقف السياسي والعسكري توحيد جهودهما لمواجهة الخطر المحدق بالقبيلة المتمثل بالغزو التيموري سنة 788هـ/ 1386م، ومما يؤكد توحيد هذه الجهود اشتراك مصر خواجه والأمير قره حسن بن الأمير حسين بيك المقتول على يد قره محمد في مواجهة التيموريين تحت زعامة قره محمد[5].

غير أن هذا التآزر سرعان ما انفرط عقده بانتهاء الخطر التيموري، فقد استذكر قره حسن مقتل والده على يد قره محمد فأراد الانتقام طالباً الثأر. ويبدو أن رغبته في الزعامة هي التي دفعته إلى التمرد على قره محمد وليست الرغبة في الثأر، لذلك استغل فرصة انشغال قره محمد في تبريز لتنظيم أموره فيها فثار عليه في شرق الأناضول، مما حمل قره محمد على ترك تبريز والتوجه لقمع حركة تمرد قره حسن[6]، وبعد مواجهات عدة انتهى الأمر بمقتل قره محمد، وذلك في ربيع الأخر سنة 791هـ/ 1389م[7].

وبمقتل قره محمد تسلم الزعامة الأمير قره حسن، لكن زعامته لم تدم طويلاً فقد حدث أن بايع معظم أمراء القره قوينلو مصر خواجه زعيماً عليهم بدلاً من قره حسن، وطلبوا المساعدة من صاحب ماردين. ولعدم تمكن مصر خواجه من تحقيق نصر حاسم على قره حسن

---

(1)Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 39.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 237-238. ادهم: المرجع السابق، ص 404.

(3) ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 219. الغياثي: المصدر السابق، ص 238.

(4) العزاوي: تاريخ العارق، جـ3، ص 27.

Uzuncarsili: Anadolon, s, 180.

(5) E.I./ II, S. V, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 584.

(6) Ibid., Vol. 4, p. 584.

(7) ابن الفرات: المصدر السابق، م9، ج1، ص 177. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 378. الرازي: المرجع السابق، م3، ص 674.

Uzuncarsili: Anadolen, s, 180.

استبدله الأمراء بقره يوسف بن قره محمد[1] الذي كان نجمه قد برز عندما تمكن من دحر التيموريين سنة 788هـ/ 1386م، كما سبق الإشارة إلى ذلك آنفاً.

قاد قره يوسف مهمة النضال ضد قره حسن فحدثت بين الطرفين وقائع كثيرة لم تسفر عن نتائج حاسمة[2]، عند ذاك اضطر الطرفان على القبول بالصلح[3]، لينفجر الصراع ثانية بعد وفاة قره حسن سنة 793هـ/ 1391م بين أتباع الأمير حسين بن قره حسن وأتباع قره يوسف، وكان من نتيجة هذا الصراع اندحار الأمير حسين بعد أن كان قره يوسف قد تعقب خطاه حتى تبريز[4]. وبهذا الاندحار انتهى دور الأمير حسين، فالمصادر لم تعد تشير إلى أي شيء عنه وعن مصيره. وبذلك يكون قره يوسف قد انفرد بزعامة القره قوينلو دون منافس.

سادساً: موقف القره قوينلو من الغزو التيموري للعراق والجزيرة الفراتية:

سبق أن ذكرنا أن بلاد ما وراء النهر تعرضت لغزو توقتاميش خان القبيلة الذهبية سنة 789هـ/ 1387م بهدف الاستيلاء عليها، مستغلاً فرصة غياب تيمور في بلاد أذربيجان وشرق الأناضول، فاضطر تيمور على الانسحاب من هذه البلاد لغرض الدفاع عن موطنه، فواجه توقتاميش في حملتين وقعت الأولى سنة 791هـ/ 1389م، والثانية سنة 793هـ/ 1391م وأسفرتا عن اندحار توقتاميش[5]. فسنحت الفرصة لتيمور لاستئناف حملاته نحو الغرب مستهدفاً بالدرجة الأولى القره قوينلو، لعدة أسباب:

أولاً: لإفشالهم خطته المركزية التي كانت قائمة على تأمين طرق التجارة المارة عبر تبريز إلى بلاد ما وراء النهر والتي كانوا قد طردوا التيموريين منها.

ثانياً: لرفضهم التبعية لتيمور في الوقت الذي قبلتها معظم القوى السياسية الأخرى في إيران[6].

---

(1)Uzuncarsili: A. n. e, ss, 180-181.. E.L/ II, S. V, Kara Kounlular, Vol. 4, p. 586. □

(2) ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 378.

E.L/ II, S.V, Kara Koyunlar, Vol. 4, p. 586.

(3) Ibid., Vol. 4, p. 586. □

(4) ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 402، 419.

E.L/ II, S. V, Kara Koyunlu, Vol. 4, p. 586. Islam Ansikaloedisi: Kara Koyunlular, Madis " Istanbul, 1977, Milli egitin pasimevi " 6 cilt, s, 296.□

(5) ابن عربشاه: المصدر السابق، ص 14-15. الغياثي: المصدر السابق، 107، 183. ويسميه تختمش خان. يكوبوفسكي: تيمورلنك، ص 123.

(6) عن القوى السياسية التي دانت بالتبعية لتيمور في إيران، انظر: حسين: المرجع السابق، ص 113-117.

ثالثاً: مشكلة تحالف القره قوينلو مع المماليك من التحدي له، لأن المماليك كانوا مناهضين لتوسعاته.

ولهذه الأسباب وأسباب أخرى منها رغبته في التوسع، والثأر لهزائمة السابقة. [1] وجّه انظاره صوب العراق والجزيرة الفراتية[2]، ولعل أهم الأسباب التي حدت بتيمور للتوجه نحو العراق والجزيرة الفراتية قبل التعرض لأذربيجان وشرق الأناضول رغبته بتطويق القره قوينلو من الجهتين الجنوبية والجنوبية الغربية للجزيرة الفراتية للحيلولة دون حصولهم على مساعدات من حلفائهم المماليك والجلائريين[3].

زحف تيمور بقواته نحو بغداد بعد أن رفض السلطان احمد الجلائري تقديم فروض الطاعة له وذكر اسمه في الخطبة والسكة[4]، فوصلها في 21 شوال سنة 795هـ/ 1393م[5] في الوقت الذي فرّ منها السلطان أحمد الجلائري مع عائلته وأمواله وأسلحته إلى الحلة ومنها إلى مصر. فدخلها تيمور دون مقاومة تذكر[6].

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 661

(1) الدويهي، اسطفانوس: تاريخ الأزمنة، بيروت، 1951م، ص 192. خليل: حملات تيمور على بغداد، ص 27.

Iesterabadi, Aziz Bn Erdesir: Bezm Urezm " Ceviven Narsel, Ozturk, Ankara, 1990 " S, 411..

(2) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 662.

(3) كان القره قوينلو في تلك المدة قد تحالفوا مع الجلائريين، وذلك بزواج السلطان أحمد من بنت قره محمد، كما دعم القره قوينلو السلطان أحمد، وأمدوه بـ (5000) مقاتل تمكن بهم من القضاء على خصومه من الأمراء الجلائريين. انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 102.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 659..

(4) عن تفاصيل هذا الرفض ودوافعه، انظر: بياني: شيرين: تاريخ آل جلاير، دلنشكاه، تهران، 1345، ص 82-84. حسين: المرجع السابق، ص 121-123.

(5) نطنزي، معين الدين: منتخب التواريخ معيني، بتصحيح: زان أوبن، كتا بفروشي خيام، تهران، 1336هـ ص 656.

(6) للتفاصيل عن غزو تيمور بغداد وفرار السلطان أحمد، انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، م9، ق2، ص 362. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 453. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج12، ص 43. الغياثي: المصدر السابق، ص110-113.

ويبدو أن بغداد لم تتكبد خسائر جسيمة على أثر دخول جنود تيمور لأنها لم تقاوم، فعد تيمور فتحها صلحاً، ولم يستبحها بل فرض عليها ضريبة مال الأمان[1]. وهناك من يشير إلى أن جند تيمور قد تعرضوا للسكان في أثناء جمع الضريبة فذهب ضحية ذلك ثلاثة آلاف شخص[2].

وبعد أن أحكم تيمور احتلاله لبغداد توجه نحو الموصل التابعة للقره قوينلو، وكان يحكمها سنة 795هـ / 1393م يار علي بن قره محمد من نقبل أخيه قره يوسف[3]، ولمنع تيمور من تدمير الموصل، وضع قره يوسف خطة مواجهة ذات شقين، الأول الطلب من أخيه يار علي حاكم الموصل عدم مقاومة تيمور والإسراع قبل وصوله إلى الموصل في تقديم فروض الطاعة له. والثاني سحب قواته الموجودة في الموصل باتجاه موش[4]. بهدف إبعادها عن جيش تيمور ليتسنى له من موش مراقبة تحركات تيمور العسكرية، لكي لا يفاجئ بهجوم تيموري سريع عليه، كما حدث للسلطان أحمد الجلائري.

ونجحت خطة قره يوسف إلى حد ما، فقد توجه يارعلي إلى تيمور قبل احتلاله لتكريت في محرم سنة 796هـ / تشرين الثاني 1393م وقدم له التحف والهدايا دليلاً على التبعية والخضوع فقبلها تيمور وأكرمه وأقطعه كركوك (سيورغال)، والحقها بحكمه في الموصل[5].

ولعل الأسباب التي دفعت تيمور إلى عدم إلحاق الأذى بالموصل وبحاكمها يار علي عند دخوله فيها سنة 796هـ/ 1393م [6] رغبته أولاً بأن يجعل الموصل قاعدة لتحركاته العسكرية في الجزيرة الفراتية ومركزاً لتموين قطعاته بالمؤن والأعلاف. وثانياً أن يجعل من يار علي منافساً

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 113. أوبان، جان: تيمورلنك في بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م، ص 492. Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 663. وعن هذه الضريبة، ينظر: الفصل الاقتصادي- مبحث الضرائب.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 790.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص 472، وأورد اسمه بعلي بن بدر خجا. نظتزي: المصدر السابق، ص 357.

(4)Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 57.

(5) الشامي: المصدر السابق، ص 145. ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص 472. ميرخواند: المصدر السابقن جـ6، ص 220. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 348.

I. A/ Kara Koyunlular, Madesi, 6, cilt, s, 296.

(6) الشامي: المصدر السابق، ص 145. ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص 472. ابن العماد الحنبلي، ابو الفلاح عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، جـ6، ص 334.

لأخيه قره يوسف في زعامة القره قوينلو عن طريق إجبار يار علي على الاشتراك معه في عملياته العسكرية ضد أتباع قره يوسف، وهذا هو ما حدث فعلاً عندما شارك يار علي تيموراً في قتال أتباع قره يوسف القره قوينلويين الموجودين في رأس العين، فألحق بهم تيمور خسائر فادحة و "نهب أموالهم وحيواناتهم ... وأسر رجالهم وشتتهم شذراً مذراً وسبا نساءهم وأطفالهم..." [1]. ومن رأس العين توجه تيمور نحو الرها في أواخر صفر سنة 796هـ/ 1394م فدانت له [2]، ثم أعلن كل من حاكم حصنَ كيفا وجزيرة أبن عمر وماردين تبعيته له [3]. وبذلك حقق تيمور هدفه الذي سبق أن ذكرناه وهو تطويق قره يوسف من جهتي الجنوب والجنوب الغربي.

ثم رجع إلى الموصل بعد أن دانت المناطق الآنفة الذكر له [4]، ومنها انطلق نحو مركز تجمع قوات قره يوسف في شرق الأناضول، فحاصر أخلاط القريبة من موش، وتمكن من احتلالها ومنها بدأت عملياته العسكرية ضد قره يوسف، فأرسل في البداية قوة بقيادة الأميرين جنكيز ايتاخ وجهانشاه بهادور لتعقب قره يوسف، غير أن هذه القوة لم تفلح في الوصول إليه. فقام بقيادة قطاعاته بنفسه مبتدئاً بقلعة أفانك أو أونك فحاصرها محاولاً فتحها، أدرك حاكمها القره قوينلوي مصر خواجه الذي قاوم الحصار مدة تسعة أشهر في نهاية المطاف عدم قدرته على الاستمرار في المقاومة فطلب العفو من تيمور لقاء استسلامه، فوافقه تيمور [5] الذي دخل القلعة، وأفنى رجالها عن أخرهم، وارتكب فيها من أعمال النهب والسلب والتدمير مالم يرتكبه اي غاز آخر [6]، أما عن مصير مصر خواجه فالمعلومات تشير إلى أنه اعتقل وأرسل أسيراً إلى سمرقندَ [7]. ومن أونك توجه تيمور نحو مدينة أرجيش التي فتحها بعد أن أخضع القلاع

---

(1) نطنزي: المصدر السابق، ص 357. حسين: المرجع السابق ص 168.
Iesterabadi: A. g. e, s, 414. I.A/ Kara Koyunlular, Madesi, 6, cilt, s, 296.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 189. ابن العماد: المصدر السابق، جـ6، ص 344.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 189-190.

(4) ابن عربشاه: المصدر السابق، ص52. الغياثي: المصدر السابق، ص 190.

(5)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 56.

ويشير إلى هذه الحادثة نطنزي: منتخب التواريخ، ص 362. ولكنه يختلف عن صاحب تاريخ قطب شاه في الإشارة إلى أن الحصار لم يدم غير شهر واحد.

(6)Iesterabadi: A. g. e, ss, 407-408.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 191.
Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb-Shahs, p. 56.

القرية منها، ومنها بدأ يعد العدة لموجهة قره يوسف الذي كان قد تحاشى الاصطدام به في ارجيش بسحب قوته منها قبل احتلال تيمور لها نحو مناطق أكثر تحصيناً[1].

وفي هذه الأثناء حدث أمر لم يكن تيمور يتوقعه وهو قيام توقتاميش باحتلال أكثر بلاده مرة أخرى مستغلاً فرصة غيابه في شرق الأناضول فاضطر تيمور التوقف عن متابعة هجومه في شرق الأناضول، حيث قاد قواته لمواجهة توقتاميش[2].

وقد أعطى انسحاب معظم القوات التيمورية من شرق الأناضول الفرصة لقره يوسف في الإغارة على ما تبقى من القوات التيمورية في منطقته فدخل معها في معركة بقواته البالغة (5000) فارس فهزمها هزيمة منكرة وذلك في شهر ذي الحجة سنة 797هـ/ 1395م[3]، وتابع ما تبقى منها، وقبض على بعض أمرائها، ومنهم اطلمش الذي كان نائباً لتيمور على بعض القلاع القريبة من تبريز[4]، كما أنه قام باسترداد بعض المدن التي سبق لتيمور أن احتلها ومنها الموصل التي استعادها في شهر جمادي الآخرة سنة 798هـ/ 1396م، ونصب أخاه يار علي الذي كان قد فرّ من تيمور حاكماً عليها مرة أخرى[5]، وبذلك يكون قره يوسف قد استعاد السيطرة على معظم مناطق نفوذه السابقة باستثناء تبريز التي كانت في حوزة ابن تيمور ميرانشاه[6]. وبهذا اثبت قره يوسف كما أثبت والده قره محمد من قبله قدرته في الحفاظ على إمارته الفتية من الانهيار أمام الغزو التيموري الثاني 795 هـ - 796 هـ / 1393 -1394م لتبدأ في مطلع القرن التاسع الهجري صفحة أخرى من الصراع مع التيموريين ولكنها أكثر عنفاً وهولاً قادت نتائجها قره يوسف إلى الإنقلاب على حلفائه الجلائريين، ليحتل في نهاية المطاف مناطق نفوذهم ويسقط إمارتهم، كما سنذكر ذلك لاحقاً.

---

(1)Lesterabadi: A. g. e, s, 424.

(2) ابن الفرات: المصدر السابق، م9، جـ2، ص 416. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 842-843. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 489. ابن عماد: المصدر السابق، جـ6، ص 347.

(3) ابن الفرات: المصدر السابق، م9، جـ2، ص 416. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 843. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص494.

(4) ابن الفرات: المصدر السابق، م9، جـ2، ص 430. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص 850. ابن حجر: أنباء الغمر، جـ1، ص 509. ويذكر ابن أياس أن اطلمش كان نائباً لتيمور على الرها في أثناء أسره انظر: تاريخ ابن أياس، جـ1، ص 306.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص513.

(6)Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 667.

الفصل الثاني

الاحتلال القره قوينلوى ((ذو الغنم الأسود)) لبغداد

أولا : الاحتلال القره قوينلوي الأول بغداد سنة 806 هـ
ثانيا : اقتسام السلطان احمد وقره يوسف العراق وأذربيجان
ثالثا : انفراط عقد التحالف بين السلطان احمد وقره يوسف
رابعا : معركة اسد آباد وهزيمة السلطان احمد الجلائري
خامسا : الاحتلال القره قوينلي الثاني لبغداد وانهيار الحكم الجلائري

الفصل الثاني

الاحتلال القره قوينلوي ((ذو الغنم الأسود)) لبغداد

أولا: الاحتلال القره قوينلي الأول لبغداد سنة 806 هـ:

شهد العراق خلال مدة الاحتلال التيموري الأول فوضى سياسية وادارية واقتصادية، اذ لم يتمكن الغزاة من ادامة نفوذهم على جميع اجزاء العراق، بسبب ضعف حامياتهم العسكرية فيه[1]، وصعوبة وصول الامدادات العسكرية اليهم من عاصمتهم البعيدة سمرقند[2]، ولعدم وجود حضور لهم في العراق، بحيث يجعل السكان مطمئنين فيه على انفسهم بوجودهم، لذلك قاوموهم[3]، لابل تعاونوا مع القوى السياسية المحلية ضدهم[4]، تلك القوى التي استغلت حالة الضعف التيموري فأعادت سيطرتها على العراق ثانية، بعد طرد التيموريين منه، فقد تمكن قره يوسف من اعادة سيطرته على الموصل سنة 798 هـ / 1396م[5]، في الوقت الذي تمكن فيه السلطان احمد الجلائري من العودة إلى بغداد بمساعدة المماليك[6]، غير ان الامور لم تستقم لهم، لان تيمور لم يتركهما طويلا دون التعرض لهما

---

(1) قدر اليزدى عدد افراد الحامية التيمورية في بغداد بـ (3000) مقاتل، ظفر نامه، جـ1، ص457، 469. في حين قدرها علي بن حسن الخزرجي بـ (5000) مقاتل. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1914م، جـ2، ص261. وعلى ما يبدو ان تقديرات اليزدى هي الاقرب لانه كان مطلعا عن كثب على احداث العراق.

(2) خليل: اوضاع العراق السياسية، 145.

(3) عن هذه المقاومة، انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، م9، ق2، ص347-348. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، 790-791. الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، جـ1، ص366. ابن اياس: المصدر السابق، جـ1، ص300.

(4) عن هذا التعاون، انظر: ابن نصرت، محمد بن محمد: الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم. م. برينر، جامعة كاليفورنيا، بركلي، ص158-159. العيني: تاريخ البدر، الورقة، 186. خليل: حملات تيمور على بغداد، ص169.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص513.

(6) لمزيد من التفاصيل عن عودة السلطان احمد، والدعم المملوكي له، انظر: ابن ابي عذيبة، شهاب الدين احمد: مختصر التاريخ الكبير (مخطوط في مكتبة اوقاف الموصل برقم 10/ 15، خزانة حسين بك)، 405-406. ابن

فأرسل في سنة 799هـ / 1397م حملة عسكرية بقيادة واحد من ابنائه لم تحدد المصادر اسمه نحو بلاد الجزيرة الفراتية، والموصل، للقضاء على نفوذ القره قوينلو فيها، فتمكنت هذه القوة من السيطرة على الموصل دون ان تفلح في القبض على قوه يوسف، الذي كان قد فر منها إلى اطراف الشام(1). غير انه لم يستسلم لهذا الامر، فهو ما لبث ان اعاد سيطرته ثانية على الموصل، وذلك سنة 800هـ / 1398م(2). اما بغداد فكانت قد تعرضت ايضا لحملتين تيموريتين فاشلتين في سنة 801هـ / 1399م(3)، 802هـ / 1400م(4) استهدفتا السيطرة عليها، والقبض على السلطان احمد الجلائري. وعلى الرغم من تمكن السلطان احمد من رد هاتين الحملتين، الا انهما اضعفتا من مركزه كثيرا، لاسيما بعد مؤامرة شروان(5)، التي ذهب ضحيتها الفان من امرائه، والمقربين اليه.

وقد تركت هذه الحادثة جرحا عميقا في نفس السلطان احمد الجلائري فأخذ يتوجس خيفة من المقربين اليه، واصبح غير مطمئن إلى وضعه السياسي في بغداد، خاصة وان مخاطر الغزو التيموري لبغداد ما تزال قائمة وفي محاولة منه لتقوية مركز نفوذه فيها، خرج سرا وتوجه إلى قره يوسف في الموصل طالبا منه العون، فوافقه قره يوسف، وقدم الاثنان إلى بغداد وعسكرا في الجانب الغربي منها(6). وذلك سنة 802هـ / 1400م. وفي الوقت الذي اشارت فيه بعض

الفرات: المصدر السابق، م9، ق2، ص383–386. ابن حصري: المصدر السابق، ص159–161. العيني: تاريخ البدر، ورقة 186.

(1) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص523.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص28.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص118–119.

(4) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص167–168.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 668.

(5) مؤامرة شروان: دبرها تيمور مع امير من امرائه يدعى شروان بن شيخ براق المنصورى، وتمثلت خطتها بأن ادعى شروان للسلطان احمد انه قد هرب اليه من تيمور، في حين ان هروبه لم يكن الا بقصد تنفيذ اوامر تيمور بالقبض على السلطان احمد بمعاونة بعض امرائه الذين كان قد رشاهم باموال جلبها معه إلى بغداد، ولكن المؤامرة كشفت في مراحلها الاخيرة، فقتل السلطان الامراء الذين اشتركوا في تلك المؤامرة والذين ذكرنا عددهم في المتن. الغياثي: المصدر السابق، ص119–121.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 668.

(6) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص169. الغياثي: المصدر السابق، ص122.

المصادر المملوكية إلى هذه الحادثة وذكرت ان اهل بغداد قد تصدوا لهما واجبروهما بعد قتال على الفرار إلى الشام[1] نجد اليزدى والغياثي يشيران إلى ان السلطان احمد قد ترك قره يوسف في الجانب الغربي، ودخل وحده بغداد دون ان يعترضه احد ثم ندم على استقدامه قره يوسف، مخافة ان يسيطر على بغداد، ويزيحه عنها، لذلك حاول استرضاءه، بان قدم له كميات ضخمة من الاموال والنفائس والخيول، وطالبه بالعودة إلى بلاده، فوافقه قره يوسف[2]. ويبدو ان ما ذكره اليزدى والغياثي هوالراجح لان انهزام السلطان احمد وقره يوسف إلى الشام لا يتفق مع ما ذكر من ان السلطان احمد كان قد أوكل أواخر سنة 802هـ / 1400م إلى الامير فرج مهمة الدفاع عن بغداد في حال تركه لها اذا ما تعرضت لغزو تيموري[3] بعد ان كانت القوات التيمورية قد وصلت شرق الأناضول[4].

وقد قويت العلاقة بين السلطان احمد وقره يوسف بعد تزايد الخطر التيموري عليهما، اثر تعرض مناطق نفوذهما لغاراته المتكررة[5]، واقتضت الحالة إلى ان يوافي احدهما الاخر بالمعلومات المتوفرة لديه عن القوات التيمورية وتحركاتها عن طريق الجواسيس[6]. وما ان علم السلطان احمد بأن تيمور قد غزا شرق الأناضول حتى أدرك انه لا محالة سيستهدف بغداد[7]، لذلك ترك بغداد بعهدة الأمير فرج، وتوجه بأهله وأمواله إلى الموصل فاستقبله حليفه قره يوسف بالاكرام[8].

ولعل الأسباب التي دفعت السلطان احمد إلى ترك بغداد هي خوفه أولا من ان يسد تيمور عليه منافذ الهرب كما يشير إلى ذلك الغياثي[9]، وادراكه على عدم قدرته على مواجهة

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1020-1021. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ1، ص137-138.

(2) ظفر نامه، ص169. التاريخ الغياثي، ص122.

(3) عن هذا التوكيل ينظر: ابن عربشاه: المصدر السابق، 124.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669.

(4) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص169.

(5) Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669-670.

(6) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص169. الغياثي: المصدر السابق، ص123.

(7) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص169.

Howorth: op. cit, vol. 3, P. 669.

(8)Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60.

(9) التاريخ الغياثي، ص123.

تيمور بعد ضعف امكانياته العسكرية بسبب مؤامرة شروان ثانيا، فضلا عن وفاة حليفه السلطان المصري برقوق، الذي كان عونا له في الازمات[1].

ولم يكن موقف قره يوسف احسن حالا من موقف السلطان احمد الجلائري فقد كانت القوات التيمورية على قاب قوسين او ادنى منه، واحتمال تعرض هذه القوات له قد اصبح بحكم المؤكد لا سيما بعد قبول قره يوسف وفادة السلطان احمد. ولغرض مواجهة الموقف، قرر قره يوسف سحب كافة قطعاته الموجودة بالقرب من بحيرة وان إلى الموصل[2]، ومن الموصل توجه بها ويصحبته السلطان احمد نحو أراضي الدولة العثمانية في بلاد الأناضول[3] تفاديا لأي اصطدام مع قوات تيمور. وقد اختلفت المصادر في تقدير عدد قوات قره يوسف المنسحبة، ففي الوقت التي قدرها المقريزي وابن تغرى بردى بـ (7000) مقاتل[4]، نجد الصيرفي يقدرها بـ (20,000) مقاتل[5]، ويبدو ان التقدير الأول هو المقبول لان فكرة سحب القوات دليل على قلة عددها وعدم تمكنها من مواجهة الخطر، فضلا عن ان صاحب تاريخ قطب شاه قد نص على ان القوات المنسحبة كانت قليلة[6].

واجه قره يوسف والسلطان احمد في اثناء توجهما إلى بلاد الأناضول عن طريق الشام متاعب فقد اعترضهما بالقرب من حلب قوة مملوكية قدرت بحوالي (1000) مقاتل، دخلا معها في معركة في شهر شوال سنة 802 هـ / حزيران 1400م أسفرت عن اندحار القوات المملوكية، بعد تكبدها حوالي (300) قتيل، من ضمنهم أتابك حلب جانبك اليحياوي، وأسر عدد من امراء الشام الذين أطلق قره يوسف سراحهم لقاء فدية مالية كبيرة[7]. وعلى اثر هذه

---

(1) سبق للسلطان برقوق ان قدم مساعدات للسلطان احمد، لغرض التصدي للقوات التيمورية، وللتفاصيل انظر: ابن الفرات: المصدر السابق، م9، جـ2، ص383-386. العيني: تاريخ البدر، ورقة 186.

(2) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60.

(3) اليزدى: المصدر السابق، جـ2، ص169-170. الغياثي: المصدر السابق، ص123.

Romer: op. cit, Vol. 6, p. 160.

(4) السلوك، جـ3، ق3، ص1021. النجوم الزاهرة، جـ12، ص216.

(5) نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص60-61.

(6) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shah, p. 56.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1020-1021. ابن حجر: انباء الغمر، جـ2، ص108-109. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير، الورقة 419. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص215-216. المنهل الصافي، جـ1، ص238. الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، جـ1، ص42.

المعركة قامت القوات القره قوينلوية بنهب القرى والمدن الواقعة على طريقها باتجاه الأناضول(1)، مما دفع السلطان المصري بالايعاز إلى قواته في الشام بالتصدي لها ثانية، وقد تمكنت القوات الشامية في نهاية سنة 802هـ / 1400م من ايقاع الهزيمة بالسلطان احمد ونهب ما معه(2)، غير ان المصادر لم تشر إلى تعرض قره يوسف إلى هجوم مماثل، وهذا ما يدعونا إلى القول بأن قره يوسف والسلطان احمد الجلائري، قد افترقا بعد معركة حلب وسلك كل منهما طريقا خاصا.

وفي هذه الأثناء كان تيمور قد أرسل الكمائن تباعا إلى شمال العراق وأطراف الشام لقطع الطريق على قره يوسف والسلطان احمد الجلائري فتمكن احد الكمائن من اعتراض طريق قره يوسف الذي فر هاربا تاركا حريمه وابنته السلطانة دلشاد في الأسر(3).

دخل قره يوسف والسلطان احمد بلاد الأناضول بالتعاقب، فاستقبلهما السلطان العثماني بايزيد يلدرم (792-805هـ / 1390-1402م) بترحاب، واقطع قره يوسف مقاطعة آق شهر(4)، والسلطان احمد مقاطعة كوتاهية(5). ويبدو ان السلطان العثماني قصد من قبول وفادتهما توحيد الجهود، والتنسيق معهما لاستدراج تيمور – الذي كانت تهديداته قد طالت السلطان العثماني –(6) إلى خوض معركة في قلب الأناضول، تكون هزيمته فيها امرا ميسورا(1).

---

(1) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص61.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1023.

(3)Howorth: op. cit, Vol. 3, P. 669.

(4) آق شهر: تقع بالقرب من بحيرة تحمل الاسم نفسه، والى غربها يقع الحصن العظيم قره حصار. لسترنج: المرجع السابق، ص185.

(5) علي، شرف الدين: تيمور تزوكاتي، ترجمة من الفرنسية إلى التركية: مصطفى رحيمي، استنبول، 1339هـ ص21. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص67. الرازي: المرجع السابق، م3، ص674. خليل: أوضاع العراق السياسية، ص149.

I. A / Kara Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 297.

وكوتاهية او قطية: كما يسميها المؤرخون العرب، تقع في وسط بلاد الأناضول تقريبا بالقرب من بحيرة تحمل الاسم نفسه. لسترنج: المرجع السابق، ص186. وينظر كذلك: خارطة بلاد الروم مقابل الصفحة 159 من الكتاب نفسه.

(6) وردت هذه التهديدات ضمن رسائل عدة ارسلها تيمور إلى السلطان العثماني بايزيد، وللاطلاع عليها أنظر:

Browne: op. cit, Vol. 3, pp. 204-205.

ولغرض الاستفادة من قوات قره يوسف، أوعز السلطان بايزيد اليه بان يكون حاكما على ارزنجان – التي سبق ان دخلت في حوزة العثمانيين –[2]، على ان يتعاون مع سليمان بن بايزيد الذي كان موجودا في سيواس ليكون الاثنان قوة تصد أولى لمواجهة تيمور، اذا ما تعرض لمتلكات العثمانيين في هذه المنطقة. فحين استهدف تيمور سيواس بداية محرم سنة 803 هـ / 1401م ترك قره يوسف ارزنجان فعلا والتحق بقوات سليمان بن بايزيد ليدخلا معا في معركة ضد تيمور، اسفرت عن هزيمتهما وفرارهما إلى العاصمة العثمانية برصا[3]، بعد ان تكبدا خسائر جسيمة[4].

وكان تيمور قبل معركة سيواس، قد أرسل جزءا من قواته بقيادة الأمير زاده رستم لمحاصرة بغداد، بعد ان علم بانسحاب السلطان احمد الجلائري منها، وقد لاقت قواته مقاومة عنيفة من قبل المقاتلين العرب والتركمان بقيادة الامير فرج الذي تمكن من افشال الهجوم مما حدى بتيمور – الذي كان قد اكمل اهدافه في شرق الأناضول والشام – على التوجه بقطعاته عن طريق الموصل – اربيل نحو بغداد ليحاصرها، وبعد حصار دام اربعين يوما تمكن جنده من اقتحام اسوار المدينة، ومن ثم الدخول فيها وذلك في 26 ذي القعدة سنة 803 هـ / 1401م، وأعملوا في اهلها القتل، فذهب ضحية ذلك عشرات الآلاف من الاشخاص[5].

وبغزو تيمور شرق الأناضول وبلاد الشام والعراق، ودحره لمراكز القوى في هذه البلدان، يكون قد طوق الدولة العثمانية من جهتي الشرق والجنوب، ومنع بذلك أي تعاون كان بالامكان ان يحدث بين العثمانيين، وهذه القوى. ثم بدأ يستفز السلطان العثماني بايزيد

---

(1) الجواهري: المرجع السابق، ص24-25.

(2) ابن عربشاه: المصدر السابق، ص87.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 672. Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 62-63.

(3) برصا او بروسة: مدينة كبيرة تقع في الطرف الشمالي الغربي من بلاد الروم. ينظر: لسترنج: المرجع السابق، ص189، والخارطة مقابل ص 159.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1027. ابن عربشاه: المصدر السابق، ص88. ابن ابي عذيبة: مختصر التاريخ الكبير، الورقة 420. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص216، 265-266.

(5) علي: المصدر السابق، ص21. ابن عربشاه: المصدر السابق، ص124. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص366. الغياثي: المصدر السابق، ص124-126، 202-203. حسين: المرجع السابق، ص353-367. اوبان: تيمولنك في بغداد، ص493. العابد: العراق بين احتلالين، ص554-555.

Howorth: op. cit, Vol. 3, pp. 690-671.

يلدرم برسائل تحط من مكانته بهدف جره إلى مواجهة عسكرية. ولغرض التعرف على ما جاء في هذه الرسائل نستشهد بواحدة منها جاء فيها "... يا ملك الروم بايزيد اعلم فنحن في بلاد الله ملك جديد مظفر ومنصور على جميع الاعداء بالنصر والتأييد فجملة الخلائق لنا عبيد، فتنبه ان قره يوسف والسلطان احمد قد هربا من سطوة سيوفنا ومن هيبة جيوشنا، ولا يخفى عليك انهما مادة الفساد ... واياكم ان تصحبوهم بل اخرجوهم ... واياكم ومخالفة أمرنا فستحل عليكم دائرة قهرنا، قد سمعتم أحوال مخالفينا وتبين لكم كيف فعلنا بهم ... والسلام على من هداه الله، والأمر يومئذ لله"[1].

وكان رد فعل السلطان العثماني بايزيد عنيفا تجاه تيمور، الذي كانت مطالبه تمس القيم القبلية السائدة عند العثمانيين المتمثلة بحماية من يلتجيء اليهم، فضلا عن ادراكه لمطامع تيمور التوسعية، ولهذا ضمن رسالته الجوابية رفض مطالبه والاستعداد للمنازلة والاصرار عليها، فقال "... وأنا أعلم ان هذا الكلام يبعثك إلى بلادنا انبعاثا، فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا بتة، والسلام على القوم المسلمين، ولعنة الله عليك، ومن تبعك اجمعين إلى يوم الدين"[2].

اما موقف قره يوسف والسطان احمد الجلائري من تهديدات تيمور لبايزيد فقد تمثل بالتخاذل، فبدلا من مؤازرته، قررا الانسحاب ليواجه السلطان العثماني بايزيد وحده مصيره المحتوم على يد تيمور، وهربا من مدينة برصا إلى العراق، وسلكا طريق قلعة الروم شمال سوريا، واتجها منها جنوبا بمحاذاة نهر الفرات حتى وصلا هيت، فاستقر قره يوسف فيها، في حين واصل السلطان احمد الجلائري سيره باتجاه بغداد ودخلها سنة 804 هـ / 1402م بعد ان كان تيمور قد سحب قواته منها استعدادا لغزو الدولة العثمانية[3].

ولم يمهل تيمور السلطان احمد طويلا في بغداد، فقد ارسل في السنة المذكورة نفسها قوة كبيرة من عسكره لاسترداد بغداد بقيادة الأمير زادة ابن ابي بكر فزحف هذا باتجاه بغداد

---

(1) ينظر النصل الكامل للرسالة: عبد المولى، مصطفى بن احمد: كنة الاخبار، اسطنبول، 1277 هـ جـ2، ص84.

(2) النص الكامل للرسالة: ابن عربشاه: المصدر السابق، ص126-128. عبد المولى: المصدر السابق، جـ2، ص85. وقد اورد براون فقرات من الرسائل المتبادلة بين تيمور وبايزيد لاتخرج جميعها عن نطاق التهديدات، والتهديدات المضادة، وللاطلاع انظر:

A Literary history of Persia, Vol. 3, pp. 204-206.

(3) اليزدي: المصدر السابق، جـ2، ص275-276. الغياثي: المصدر السابق، ص203-206. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص495.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 672.

فدخلها ليلة السبت 8 رجب سنة 804 هـ / 1402م بعد ان كان السلطان احمد وابنه طاهر قد لاذا بالفرار منها إلى الحلة، وقد تعقبتهما قوة تيمورية، فاضطر على ترك الحلة إلى جزر خالد ومالك اسفل الفرات(1).

واستغل طاهر بن السلطان احمد فرصة استدعاء تيمور لقواته في العراق لغرض الهجوم على الدولة العثمانية فسيطر على الحلة، وتمكن ان يجمع حوله أمراء ابيه، ويتفق معهم على منع أبيه من دخول الحلة، فما كان من السلطان احمد، إلا ان طلب المساعدة من حليفه قره يوسف، الذي كان قد استقر به المقام مع اتباعه عند هيت، فلبى طلبه وتوجه بقواته نحو الحلة ودخل في معركة مع طاهر، انتهت باندحار طاهر ومقتله(2).

وبعد هذه الحادثة دانت الحلة وبغداد للسلطان احمد، غير ان قره يوسف اظهر طمعه في بغداد، لاسيما بعد ان أدرك ان السلطان احمد لا يمتلك من القوة ما يجعله قادرا على التصدي له، وقد اتخذ من قيام السلطان احمد بقتل اتابك قره يوسف ذريعة لتحقيق نياته، فقام بقيادة قواته بالسير نحو بغداد وتمكن من دخولها، مفاجئا بذلك السلطان احمد، الذي لم يتوقع حدوث مثل هذا الامر لصداقتهما، فاضطر إلى الهرب وحده إلى تكريت، وذلك في 5 محرم سنة 806 هـ / 1403م ومنها توجه إلى الشام طالبا اللجوء عند المماليك(3).

ولم يكتف قره يوسف بتحقيقه احتلال بغداد التي اتخذها مركزا لامارته بل وسع مناطق نفوذه لتشمل بعض انحاء العراق، وهذا هو ما يؤكده الغياثي باشارته إلى ان قره يوسف قد تصرف في العراق(4) دون منافس، ويشير ميرخواند إلى ان الذي مهد لقره يوسف السبيل في هذه السيطرة بعد انهيار قوة الجلائريين هم المتطوعون من القبائل العربية لاسيما القبائل القاطنة في اطراف الفرات والتي سبق لها ان انضمت إلى جيشه في أثناء استقراره في هيت، بعد عودته

---

(1) اليزدي: المصدر السابق، جـ2، ص276–277. الغياثي: المصدر السابق، ص203–204.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1107. الغياثي: المصدر السابق، ص206–207. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص445.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 56.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص183. الغياثي: المصدر السابق، ص131، 207–208، 239–240. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص447.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 56-57.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673.

(4) التاريخ الغياثي، ص208.

من بلاد الأناضول[1]. ويبدو ان انضمام المتطوعين العرب اليه كان بهدف الاستعانة به على استعادة مضاربهم التي سبق للتيموريين ان استهدفوها، وأجلوهم عنها في اثناء الحملات التيمورية المتكررة على وسط العراق وجنوبه[2].

ولم يدم احتلال قره يوسف لبغداد والعراق طويلا، إذ ما كاد تيمور يدحر السلطان العثماني بايزيد يلدرم في معركة انقرة سنة 805 هـ / 1403م حتى ارسل جزءا من قواته لاحتلال بغداد، قدرها اليزدى والغياثي بـ (3000) مقاتل[3]، وصاحب تاريخ قطب شاه بـ (30,000) مقاتل[4]، وان حجر بـ (100,000) مقاتل[5]. ويبدو ان التقدير الأول لا يتناسب مع حجم قوة المقابل التي قدرت بحدود (30,000) مقاتل[6]، كما ان التقدير الاخير مبالغ فيه، لهذا يمكن ترجيح ما قدره صاحب تاريخ قطب شاه لتناسبه مع قوة قره يوسف بحيث يستطيع الانتصار عليها. وهذا ما حصل على ما سنذكره فيما بعد.

وأمام اندفاع القوات التيمورية، أدرك قره يوسف ان لا خيار امامه الا الدفاع عن بغداد او الانسحاب منها، وبحكم معرفته المسبقة بان تيمور لا يفضل ابقاء قوات كبيرة في المناطق التي تحتلها قواته لحاجته اليها لتنفيذ خططه التوسعية في أنحاء واسعة من قارة اسيا، قرر حفاظا على قواته، الانسحاب من بغداد بعد احتلال دام (88) يوما[7] على امل ان يعود اليها ثانية، بعد ان تنسحب القوة التيمورية الرئيسة منها. ولكن هذا الأمل لم يتحقق، فبعد ان عسكرت قواته بالقرب من نهر الغنم مقابل المسيب قرب الحلة فوجئ بتعقب القوات التيمورية له فدخل معها في معركة عنيفة[8]، وتمكن في البداية من احراز انتصار جزئي[9]، غير ان هذا لم يستمر، فسرعان ما خارت قواه فأطلق سيقانه للريح، بعد ان خسر عدد كبير من اتباعه قتلى، ووقعت زوجته في

---

(1) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص445.

(2) عن الحملات التيمورية على مضارب القبائل العربية في وسط وجنوب العراق، انظر: حسين: المرجع السابق، ص146-152.

(3) الظفر نامه، جـ2، ص391. التاريخ الغياثي، ص208-209.

(4) Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ2، ص263.

(6) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص183. وانظر كذلك: ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص445.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص130.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص129-130، 208-210. انظر: الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص183. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص446-447.

(9) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1118. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص301-302.

الأسر، وتبعه من تبقى من اتباعه إلى بلاد الشام[1]، ليلتحق بحليفه القديم السلطان احمد الجلائري في اللجوء عند السلطان المملوكي.

ثانيا: اقتسام السلطان احمد وقره يوسف العراق وأذربيجان:

وصل كل من قره يوسف والسلطان احمد الجلائري مدينة دمشق طريدين من العراق، على التتالي في شهر ربيع الأول وجمادى الاولى من سنة 806 هـ / 1404م[2]، وعلى الرغم من ان نائب دمشق الأمير شيخ المحمودي قبل وفادتهما، الا ان السلطان المملوكي فرج رفض ذلك وأصدر لنائبه هذا مرسوما باعتقالهما[3]، لانهما يشكلان خطرا على الدولة المملوكية، التي سبق لها ان عقدت اتفاقية مع تيمور تضمن احد بنودها النص عدم ايواء كل طرف اعداء الطرف الآخر[4].

وبموجب هذا المرسوم سجن السلطان احمد في برج السلسلة، وقره يوسف في برج الحمام في قلعة دمشق، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة 806 هـ / 1404م[5]، وهناك من يشير إلى ان المعتقلين كانا قد التقيا اكثر من مرة[6]. ويبدو ان هذا اللقاء كان بعلم نائب دمشق، ذلك لان الدلائل أظهرت كما سنلاحظ لاحقا وجود تواطؤ بين هذا النائب وهذين المعتقلين ضد السلطان المملوكي. وعلى اية حال فقد كان اللقاء بينهما فرصة لاعادة الصداقة ونسيان ما حصل. ومن منطلق الحرص على تعزيز الصداقة، عرض السلطان احمد على قره يوسف فكرة ان يتبنى احمد ولده المسمى بيربوداق الذي كان قد رزق به في أثناء وجوده في السجن فوافقه

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص209-210، ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص447.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1118-1119. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص183. الشوكاني: المصدر السابق، جـ1، ص43.

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص302.

(4) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص549. بياني: المرجع السابق، ص100.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 673-674.

Browne: op. cit, Vol. 3, p. 191.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1120. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص302.

(6) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص549. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص567.

Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

قره يوسف[1]، وقد كان لهذا الاتفاق أثره المفجع على الجلائريين، لأن قره يوسف اتخذ من هذا التبني فيما بعد حجة لتسويغ شرعية حكمه على الجلائريين على ما سنذكره لاحقا. كما ان لقاءهما هذا تمخض ايضا عن اتفاق وتعاهد بينهما بان تكون أذربيجان لقره يوسف ويكون العراق للسلطان احمد في حال تمكنهما – بعد اطلاق سراحهما – من اعادة السيطرة على هذين البلدين[2].

وشاءت الظروف اضطراب الأحوال السياسية في بلاد الشام ومصر، على أثر قيام الأمير شيخ المحمودي نائب دمشق بحركة تمرد على السلطان المملوكي فرج[3]، ولغرض دعم موقفه العسكري أطلق سراح قره يوسف والسلطان احمد الجلائري في شهر رجب سنة 807 هـ / 1405م بعد ان منح كلا منهما مبلغ (100,000) درهم فضة وثلاثمائة فرس[4]، لقاء اشتراكهما معه ضد السلطان. وبالفعل خاض قره يوسف وأتباعه الذين كانوا يقدرون بـ (500) فارس ومعه السلطان احمد عمليات عسكرية مع شيخ المحمودي ضد السلطان[5]، كانت الأخيرة منها المعركة التي وقعت بالقرب من القاهرة، وأسفرت عن هزيمة شيخ المحمودي وفراره مع قره يوسف إلى الشام[6]. ومن الشام قفل السلطان احمد وقره يوسف عائدين إلى مناطق نفوذهما السابقة، بعد ان وصلتهما اخبار موت تيمور[7] في أثناء حملته على الصين

---

(1) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص549. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص567. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151. بياني: المرجع السابق، ص99.
Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.
Uzuncarsili: Anadolu, s, 181.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص567.
Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.
I. A. / Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 298.

(3) عن هذا التمرد، أنظر: الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص196–198.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1154. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص310. ويذكر خواندمير بأن المحمودي زودهم بما يحتاجه الف فارس مع علة، انظر: تاريخ حبيب السير، م3، ص568.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1143–1144، 1148، 1162–1163. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص568.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1164–1165. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ4، ص318.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق3، ص1165، 1173. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ1، ص240. الغياثي: المصدر السابق، ص240.

وذلك يوم الأربعاء 17 شعبان سنة 807 هـ / 1405م[1] وسلكا في عودتهما الطريق إلى ديار بكر، فوصلا الرها، وفيها أكد الاثنان ما اتفقا عليه سابقاً[2]، وعند الرها افترقا، فسلك السلطان احمد طريق الفرات باتجاه الحلة فوصل اليها بعد ان التحق به اتباعه الذين ازداد عددهم في اثناء زحفه على بغداد. وعندما علم سكان بغداد بزحفه، تمردوا على الحاكم التيموري دولت خواجه، فاضطر هذا على الفرار إلى فارس، فدخلها السلطان من دون مقاومة[3]، وذلك في 5 محرم سنة 808 هـ / 1405م[4].

أما قره يوسف فانه اتجه من الرها إلى الموصل[5]، ومنها إلى بدليس[6]، التي استقبله حاكمها شمس الدين بن حاجي شرف بالاكرام وزوجه ابنته وأقطعه مقاطعة باسين[7]، وقلعة اونك[8]. ومن هذه المقاطعة بدأ قره يوسف يخطط لعملية اعادة هيمنته على أذربيجان ثانية، بعد ان انضم اليه الكثير من القبائل التركمانية في شرق الأناضول[9]، فأصبح له منها جيش قوامه (10,000) مقاتل[10]. فبدأ بالاغارة على وان ووسطان[11] فدانتا له بالتبعية[12]، كما دخل في

---

(1) ابن عربشاه: المصدر السابق، ص172. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص270. الغياثي: المصدر السابق، ص240.

(2) الغياثي: المصر نفسه، ص131، 240.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص568–569. بياني: المرجع السابق، ص100.
Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 674.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص131.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230. السخاوي، شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، جـ6، ص217.

(6) بدليس: تقع جنوبي غربي بحيرة وان، في واد عميق يجري فيه نهران احدهما يصب في دجلة عند تل فافان. لسترنج: المرجع السابق، ص145، 218.

(7) باسمين: كورة تقع بالقرب من ارزن الروم. لسترنج: المرجع نفسه، ص150.

(8) البدليس: المصدر السابق، جـ1، ص390. فريج: كرد لر، كتبخانه مهاجرين مديرية عمومي، اسطنبول، 1334 هـ ص336.

(9) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص568.

(10) Minorsky: The Qura Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(11) وان ووسطام: الاولى تقع قرب الشاطئ الشرقي لبحيرة وان، والثانية قلعة تقع على ساحل بحيرة وان الجنوبية وتسمى الآن طاق بستان. لسترنج: المرجع السابق، ص218، 222.

(12) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص568.

صيف سنة 809 هـ / 1407م في معركة عنيفة مع قوات الميرزا ابي بكر بن ميرانشاه بن تيمور، وبعد ثلاثة ايام من القتال، في موضع يقال له جخر سعد، انهزم الميرزا ابو بكر بعد ان تكبدت قواته خسائر جسيمة، فاستثمر قره يوسف هذا الانتصار بان مد نفوذه على مدن مرند ونخجوان وسرور وماكو[1].

وعلى ما يبدو توقع ميرانشاه بن تيمور الذي كان حاكما على خراسان وأذربيجان وبلاد الجبل ان ما حققه قره يوسف من انتصار على جيش ابنه الميرزا ابي بكر، سيدفعه للسيطرة على تبريز، لذلك جهز جيشا جرارا توجه به من خراسان في سنة 810 هـ / 1408م ومعه ابنه الميرزا ابو بكر إلى أذربيجان لقتال قره يوسف، وطرده من المدن التي سيطر عليها، وكان قره يوسف قد هيأ الاستعدادات اللازمة لمواجهة مثل هذا الجيش، فالتقى الجيشان في موضع يقال له نشيب غازان، بالقرب من تبريز، وأسفرت المعركة عن مقتل ميرانشاه وهزيمة جيشه[2]. وعلى أثر هذا الانتصار دخل قره يوسف تبريز، وبدخوله فيها دانت له بالتبعية كل بلاد أذربيجان[3].

ثالثا: انفراط عقد التحالف بين السلطان احمد وقره يوسف

انشغل كل من السلطان احمد الجلائري وقره يوسف في تثبيت دعائم سلطته على المناطق التي خضعت لحكمه بعد عودته من بلاد الشام، ولم نقف على ما يشير إلى حدوث أي توتر سياسي في علاقتهما حتى سنة 810 هـ / 1408م التي بدأت فيها علامات التوتر تشوب علاقتهما بسبب تنصيب قره يوسف ابنه بير بوداق حاكما على أذربيجان، ومنحه لقب سلطان[4]، وقد هدف قره يوسف من ذلك إلى اضفاء الشرعية على حكم ابنه أولا وتطلعا

---

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص569-570. البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص390. فريج: المرجع السابق، ص336.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(2) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص390-391، جـ2، ص72. منجم باشي: المصدر السابق، م3، 150.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 674.

(3) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص390-391. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150. ادهم: المرجع السابق، ص405.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

Uzuncarsili: Anadolen, s, 181. Savory: op. cit, p. 37.

لاغتنام اية فرصة ممكنة لتنصيبه سلطانا على الجلائريين، وحاكما على املاكهم في حال موت السلطان احمد الجلائري ثانيا، منطلقا في ذلك من اعتبار ان بير بوداق هو ابن السلطان احمد بالتبني، ومن حق الابن ان يرث أباه في السلطنة بعد موته، ولكي يسبغ على ابنه معالم السلطة وابهتها أجلسه على كرسي من ذهب ووضع على رأسه التاج، وأخذ يقف بجوار كرسي العرش باحترام، كما انه امر بان تصدر الخطبة وتسك العملة باسمه[1]، وان تكون الاوامر تحت عنوان ((بير بوداق بهادرخان بن ابي النصر يوسف بهادره))[2].

وقد حظيت اجراءات قره يوسف بموافقة حكام المدن التابعة له فبادروا بارسال رسلهم محملين بالهدايا، وأعلنوا طاعتهم للسلطان الجديد[3]. وفي الوقت نفسه أرسل قره يوسف رسالة إلى السلطان احمد الجلائري يبين له فيها ان تنصيب بير بوداق حاكما على أذربيجان ومنحه لقب سلطان لا يتعارض مع ما اتفقا عليه وطلب منه موافقته على هذا التنصيب[4].

وقد توجس السلطان احمد خيفة من عمل قره يوسف، لأن هذا الامر لا يخرج عن نطاق الرغبة في ازاحته عن السلطة، واحلال بير بوداق محله، لذلك قرر العمل على مواجهة قره يوسف بالشكل الذي لا يستفزه ويثير شكوكه، فتظاهر امام رسل قره يوسف بأن اجراءات قره يوسف قد حظيت بموافقته، وانها تحقق مراده، لذلك فهو على عهده معه، ولتأكيد ذلك، ارسل إلى بير بوداق، تاجا اميريا وهدايا[5]، دليلا على هذه الموافقة.

ولكنه لم يستعجل مواجهة قره يوسف، لادراكه بانه أقوى منه ولغرض ازاحته عن أذربيجان، لا بد من القيام بعمل ينطوي على حيلة، لذلك لجأ إلى الاكثار من مراسلات المودة والصداقة لقره يوسف، وتضمنت احداها اعلام قره يوسف بأنه مريض وان الاطباء نصحوه

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص102–103.
Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص102.
Uzuncarsili: Osmanli Devleti Teskilatina Medhal "Istanbul, Maarif Matbaasi, 1941" s, 296.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص103.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص103.

(5) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576.
Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 58.

بالاصطياف في همدان لأن جو بغداد الحار لا يتوافق مع صحته، وكان غرضه من هذا الاعلام تضليل قره يوسف عن عملية تجميع قواته في همدان لتكون اكثر قربا إلى تبريز من بغداد[1].

ولم تنطل خطة السلطان احمد على قره يوسف، الذي ارسل إلى السلطان احمد رسالة ينبهه فيها من مغبة أي تحرك عسكري ضده[2] وهنا ثمة حادثة لها علاقة بتطور الاحداث بين الطرفين، وترتبط بعلاء الدولة ابن السلطان احمد، الذي قد تمكن من الافلات من الاسر التيموري في سمرقند سنة 808 هـ / 1406م وبعد تنقل في بلاد ايران دام اربع سنوات قصد تبريز، فاستقبله قره يوسف بالاكرام[3]. وكان علاء الدولة يرى انه أحق بحكم أذربيجان من قره يوسف وابنه بير بوداق، لذلك خطط لازاحتهما عن الحكم بالاعتماد على المناصرين لأسرته في تبريز. ولغرض ازالة الشكوك في نياته هذه تظاهر بالتوجه إلى بغداد لملاقاة ابيه، بعد ان علم بأن قره يوسف قد عزم على التوجه إلى خوى لقمع حركة تمرد وقعت فيها. وما ان خرج قره يوسف حتى قفل علاء الدولة راجعا إلى تبريز، فاستجمع مناصريه لغرض السيطرة على المدينة، ولكن حاجي كوجك نائب قره يوسف تنبه لذلك والقى القبض على علاء الدولة وسجنه في قلعة عادل جواز التي تقع شمال بحيرة وان[4]. ويورد الغياثي روايتين آخرين فيهما بعض الاختلاف عما تقدم ذكره ويذكر في احدى الروايتين ان علاء الدولة غضب عندما سمع بأن أباه في اثناء توجهه إلى همدان قد عين احد أمرائه نائبا عنه في بغداد بدلا منه، لذلك تمرد على أبيه، فترك الحلة التي كان حاكما عليها، وتوجه إلى تبريز عن طريق اربل، ويذكر في الرواية الثانية ان السلطان احمد هو الذي ارسل علاء الدولة[5] لغرض التمويه على قره يوسف بوجود خلاف بينهما على السلطة، وكان السلطان يهدف من ذلك ألا تثار شكوك قره يوسف في أهداف ذهاب علاء الدولة إلى تبريز وهي تنحصر في كسب الاتباع وتنظيمهم على ما يبدو ولاستغلالهم عند الحاجة في ازاحة قره يوسف وابنه عن حكم أذربيجان.

---

(1) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576-577. بياني: المرجع السابق، ص103-104.
Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 676.

(2) بياني: المرجع السابق، ص105.
Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 676.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص104.
Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص576. بياني: المرجع السابق، ص105.

(5) التاريخ الغياثي، ص131-132.

ويبدو لنا ان علاء الدولة بعد افلاته من الاسر قصد بغداد قبل تبريز لوجود اسرته الحاكمة فيها، ومنها قصد تبريز بعد ان اتفق مع ابيه على ازاحة قره يوسف عنها، لذلك كان هروبه إلى تبريز باتفاق مسبق مع أبيه، والا فكيف يمكننا ان نفسر ارسال السلطان احمد إلى قره يوسف قاصدا مع هدايا يتشفع فيها لولده المسجون عنده ويعتذر اليه، ويطلب منه اطلاق سراحه[1]، فلو كان السلطان احمد على خلاف مع علاء الدولة لكان قد طلب من قره يوسف الاقتصاص منه او ارساله مخفورا بدلا من التشفع له وطلب اطلاق سراحه.

ولم يستجب قره يوسف لطلب السلطان احمد اطلاق سراح علاء الدولة[2]، وكان رفض الاستجابة سببا كافيا لتفجير الصراع بينهما بشكل علني، وقد حدث ذلك عندما قاد السلطان احمد جيشه إلى همدان في خريف سنة 812 هـ / 1409م بهدف احتلالها[3]. وقد باءت هذه المحاولة بالفشل لوقوع ثورة ضده في بغداد[4] قادها على ما يبدو احد شيوخ قبيلة عبادة فاضطر للعودة سريعا إلى بغداد[5]، وما ان تمكن من الثورة حتى قاد في 12 محرم سنة 813 هـ / 1410م جيشه البالغ (45,000) مقاتل ثانية مستهدفا هذه المرة تبريز[6] بدلا من همدان، لغياب قره يوسف عنها وانشغاله بقمع حركة تمرد وقعت في ارزنجان[7]. وعند مدينة سلماس[8] تصدى له شاه محمد بن قره يوسف، الذي كان ابوه قد أنابه على تبريز خلال مدة غيابه في ارزنجان، بقوة صغيرة كانت سببا في اندحاره وهربه[9]. ومن سلماس تقدم السلطان

(1) عن هذه الرسالة، ينظر: الغياثي: المصدر نفسه، ص133.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص133.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص577.

(4) عن هذه الثورة ودوافعها، انظر: خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577.

(5) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577. بياني: المرجع السابق، ص106.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

(6) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577. بياني: المرجع السابق، ص106.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 59.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

(7) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. p. 59-60.

Uzuncarili: Anadolen, s, 182.

(8) سلماس: احدى مدن أقليم اذربيجان تقع إلى الشمال من أرمية. لسترنج: المرجع السابق، ص200.

(9) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

احمد نحو تبريز محيطا نفسه بمظاهر العظمة باستقدامه مئة جمل خيامه وأمتعته، والسير تحت المظلة الملكية وفوق رأسه طير كبير من الذهب وملابس اتباعه من الامراء مطرزة بشكل مهيب[1]، كل ذلك بهدف اضفاء الهيبة على شخصه، وكسب أهل تبريز لجانبه، وتذكيرهم بعظمته وبانه سلطانهم، وقد دخل تبريز دون مقاومة تذكر، وذلك في شهر ربيع الأول سنة 813 هـ / 1410م[2] في الوقت الذي كان فيه قره يوسف في ارزنجان. وبدخوله تبريز يكون السلطان احمد قد نقض الاتفاقية التي كان قد عقدها مع قره يوسف والتي نصت على ان أذربيجان لقره يوسف والعراق له، وبهذا النقض يكون التحالف بينهما قد أنفرط عقده.

رابعا : معركة أسد آباد وهزيمة السلطان احمد الجلائري :

كان السلطان احمد قبل دخوله تبريز، قد أعاد ترتيب علاقاته السياسية مع بعض القوى المناهضة للقره قوينلو لضمان وقوفها إلى جانبه في معركته المقبلة مع قره يوسف، فاستغل حادثة مقتل ميرانشاه بن تيمور على يد قره يوسف الذي تمكن من طرد التيموريين من أذربيجان وفارس، بأن تقرب لشاهرخ الذي كان قد تولى زعامة التيموريين بعد ان ازيح السلطان خليل سنة 808 هـ / 1406م فعقد معه اتفاقية تحالف ضد قره يوسف[3]، كما تمكن من كسب ولاء حاكم الدربند[4] الشيخ ابراهيم الدربندي[5]، وملك ارمنيا سنباذ أفانيه بوريثر، الذي عقد معه اتفاقية تحالف ضمن بموجبها وقوفه إلى جانبه ضد قره يوسف[6]. وعلى الرغم من اننا لم نعثر على معلومات تشير إلى محاولة السلطان احمد التقرب من الآق قوينلو، الا ان موقف الآق قوينلو كان أقرب إلى السلطان احمد منه إلى قره يوسف، فقد كان القره قوينلو والآق قوينلو في تلك المدة في حالة صراع على مناطق التخوم لامارتيهما[7].

---

(1) بياني: المرجع السابق، ص106.

(2)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(3) بياني: المرجع السابق، ص100.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677.

(4) دربند: ويسميها العرب باب الأبواب، وهي أجل موانئ بحر قزوين. لسترنج: المرجع السابق، ص214.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص240. بياني: المرجع السابق، ص100.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(6) Howorth: op. cit, Vol. 3, p.677

(7) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص577.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 79-80.



وعلى الرغم من هذه التحالفات، بقي قره يوسف الأقوى عسكريا لامتلاكه جيشا يضاهي في عدده جيش السلطان احمد، فضلا عن المتطوعين[1]. وقد عرف افراد هذا الجيش الذي كان معظمه من التركمان بصرامتهم وشدة بأسهم في القتال، خلافا لجيش السلطان احمد الذي كان مزيجا من أجناس عدة من عرب وتركمان وأكراد وفرس، ومعظم هؤلاء كانوا متطوعين يقاتلون بهدف الاستلاب، او بسبب التزامات عقدها زعماؤهم مع السلطان مقابل بعض المكاسب كالاقطاعات والمناصب والانعامات[2].

ويعد تمكن قره يوسف من القضاء على تمرد ارزنجان قفل راجعا إلى تبريز لمواجهة السلطان احمد، وفي يوم الجمعة 28 ربيع الثاني سنة 813 هـ / 30 آب 1410م[3] التقى الجمعان عند مدينة اسد آباد القريبة من تبريز، ودارت بينهما معركة لم تدم سوى يوم واحد، بانت نتائجها لصالح قره يوسف منذ الساعات الاولى لغدر عدد كبير من أمراء الجلائريين بالسلطان بانضمامهم إلى قره يوسف، الأمر الذي اربك الجيش الجلائري، وأوقع الكثير منه في الاسر، فاضطر السلطان احمد على الهرب من ساحة المعركة، بعد ان اصيب بجرح في ساقه والتجأ متخفيا بزي فقير إلى بستان قريب، فشاهده رجل كبير السن يدعى بهاء الدين جلاوه، فعرفه السلطان بنفسه، ووعده باعطاء بعقوبة سيورغالا في حال ايصاله إلى بغداد ولكن بهاء الدين غدر به بأن عرف قره يوسف بمكانه، فتمكن هذا من القبض عليه[4]، وقد عاتبه عتابا شديدا

---

(1) تذكر بعض المصادر ان قره يوسف كان له جيش دائم بحدود (40,000) مقاتل، ينظر: ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230. السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص216. وقد ذكر أوزن جاوشلي ان هذا الجيش كان يتبعه دائما عدد كبير من المتطوعين من افراد العشائر، انظر:

Osmanli Devleti, s, 304.

(2) العاني: المرجع السابق، ص156.

(3) اختلفت المصادر في تحديد يوم تاريخ المعركة، فابن تغرى بردى يحددها بليلة الأحد آخر شهر ربيع الآخر سنة 813 هـ النجوم الزاهرة، جـ13، ص181. والغياثي في سابع عشر ربيع الآخر سنة 813 هـ. التاريخ الغياثي، ص134. ولكننا اعتمدنا ما حدده خواندمير في كتابه تاريخ حبيب السير، م3، ص577، لأنه فصل الحديث اكثر من غيره عن هذه الواقعة.

(4) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577. بياني: المرجع السابق، ص106-107.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 677. Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 84-85.

Uzuncarili: Anadolen, s, 182.

لتكره للعهد الذي كان قد قطعه على نفسه معه، عندما كانا في سجن دمشق وقال له "باسم الانتصار الذي حققته عليك، لن أفعل بك شيئا، وسأعاملك بالحسنى"[1].

واستغل قره يوسف حالة ضعف السلطان احمد في اسره بأن طالبه بالتنازل عن مناطق نفوذه لولديه، فطلب منه ان يكتب أمرا سلطانيا بماء الذهب وبتوقيعه، يتعهد فيه بتنازله عن أذربيجان لبير بوداق، والعراق لشاه محمد، فوافق السلطان مضطرا، وصدرت الأوامر بذلك بتوقيعه[2]، وبذلك يكون قره يوسف قد أعطى لحملته القادمة على العراق غطاءا شرعيا.

خامسا: الاحتلال القره قوينلوي الثاني لبغداد وانهيار الحكم الجلائري:

اتخذ قره يوسف بعد اجبار السلطان احمد على التنازل عن سلطته لمصلحة ولديه عدة اجراءات سياسية وعسكرية بهدف تثبيت دعائم سلطته، ومد نفوذه على العراق، وتمثلت هذه الاجراءات بقتله السلطان احمد في 28 ربيع الثاني سنة 813 هـ / 1410م وقتل ابنه علاء الدولة لقطع اية محاولة قد يقوم الاثنان لاستعادة نفوذهما[3]، ولغرض اعلان استلام بير بوداق مقاليد السلطنة الجلائرية دعا قره يوسف سنة 814 هـ / 1411م إلى عقد اجتماع حاشد في تبريز، ضم كافة امراء القره قويلنو، أعلن فيه تسلم بير بوداق مقاليد السلطنة الجلائرية بذريعة مقتل السلطان احمد، ومن حق الابن ان يحل محل والده المقتول[4].

أما اجراءات قره يوسف العسكرية التي سبقت اعلان بير بوداق سلطانا فتمثلت بارسال حملة عسكرية بقيادة ابنه الشاه محمد لاحتلال بغداد، وبسط نفوذه على العراق[5]. وقد انطلقت الحملة التي لم تحدد المصادر عدد افرادها من تبريز سنة 813 هـ / 1410م بعد مقتل السلطان احمد مباشرة على طريق تبريز – أربيل – كركوك – بعقوبة – بغداد[6]. وقد ساد الاضطراب بغداد حال تلقيها خبر مقتل السلطان، وحملة الشاه محمد، ولكن الاسرة الجلائرية الموجودة في بغداد قد واجهت هذا الموقف باتخاذ جملة اجراءات منها احلال شاه ولد سلطان على

---

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(2) خواندمير: المصدر نفسه، م3، ص577–578.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 85.

(3) نظنزي: المصدر السابق، ص167–168. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص578. الغياثي: المصدر السابق، ص135–136. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص150.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 87-88.

(5) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص578. الغياثي: المصدر السابق، ص244.

(6) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 678. I. A. / Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 300.

الجلائريين[1] بدلا من السلطان احمد المقتول وحدث ذلك بايحاء من قبل زوجته دوندى خاتون بنت السلطان حسين وأم الصبي اويس[2] صاحبة الامر والنهي[3]، فأمرت لغرض تعطيل تقدم الشاه محمد نحو أسوار المدينة بفتح سداد دجلة واغراق جميع جوانب المدينة بالمياه[4]. ولغرض تهدئه اضطراب سكان بغداد، تفتحت مخيلتها عن خطة لا تخلو من براعة ودهاء، فقد أوعزت إلى بخشايش الذي كان شحنة على بغداد في اثناء حملة السلطان احمد على تبريز، ان يبث اشاعات بان السلطان احمد حي لم يقتل، وانه مختبئ في احدى دور بغداد، ولتأكيد ذلك استمر بخشايش في الخطبة باسم السلطان[5]، واستهدفت دوندى من هذا الاجراء ايضا تسخير الأهالي للوقوف إلى جانبها لمواجهة الغزاة، ومن الثمرات الايجابية لهذه الخطة رفض اعيان بغداد طلبا للشاه محمد بتمكينه من المدينة وقالوا لرسوله "ان السلطان احمد لم يقتل، وانما هو حي ..."[6] فضلا عن تضامنهم مع الجلائريين وشروعهم بالقتال من فوق الاسوار دفاعا عن مدينتهم بعد حصار الشاه محمد لها[7].

---

(1) تتضارب اقوال المؤرخين في تحديد الشخص الأول الذي تسلم مقاليد السلطنة الجلائرية بعد مقتل السلطان احمد الجلائري. فالمقريزي يعد اويس شاه ولد اول من اقام في السلطنة، انظر: السلوك، جـ4، ق1، ص146. وابن حجر يعد شاه ولد اول من تسلطن. انظر: انباء الغمر، جـ3، ص205. وهورث يذكر ان شاه ولد هو الذي تولى السلطنة بعد مقتل السلطان احمد سنة 813 هـ انظر:

History of Mongols, Vol. 5, p. 678.

ونظنزى يقدم محمود بن شاه ولد على الآخرين. انظر: منتخب التواريخ، ص164. والغياثي لا يجزم في هذا الامر. أنظر: التاريخ الغياثي، ص136–137. وللمزيد من التفاصيل عن هذا التضارب، انظر: ما ذكره الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي في الهامش الثالث، ص136.

(2) المقريزي لا يذكر اسم دوندى الصريح، وانما يذكرها باسم ام الصبي أويس: انظر: السلوك، جـ4، ق1، ص146. والغياثي يذكر ان أويس هو ابن دوندى، انظر: التاريخ الغياثي، ص244.

(3) علي، علي شاكر: العراق والغزو القره قوينلوي في القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 28، السنة الحادية عشرة، 1986م، ص38.

(4) أوج أوق، بحرية، النساء الحاكمات في التاريخ، ترجمة: ابراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، 1973م، ص135.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص146. الغياثي: المصدر السابق، ص244.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص146.

(7) المصدر نفسه والصفحة.

وعلى الرغم من هذا الموقف الايجابي لسكان المدينة، نجد ان بعض افراد السلطة الحاكمة لم يكن يهمهم من امر المدينة شيء سوى تحقيق المكاسب، ومنهم بخشايش والي بغداد الذي طلب الزواج من ابنة دوندى خاوتون طمعا بعرش السلطنة، ولم يكن امام دوندى الا القبول بهذا الطلب[1]، لان بخشايش كان له من الاتباع ما يجعله قادرا على زعزعة الوجود الجلائري في بغداد وفي اثناء حفلة الزواج فكرت دوندى بطريقة للتخلص من بخشايش واتباعه، فاستغلت افراط بخشايش في شرب الخمر، وانشغال الحاضرين بحفلة العرس التي اقيمت في دار الجاثليق[2] الذي يقع في خان القلندرية[3]، فأمرت اتباعها بقتل بخشايش حال توجهه إلى بيت العروس فما ان ركب فرسه مترنحا حتى قطعوا رأسه وربطوا جثته على الفرس، وعلق رأسه على رمح، والدفوف تضرب حتى الصباح. وأشاعت دوندى ان مقتله ومقتل عدد من اتباعه حدث بامر من السلطان احمد[4].

وقد انطلت اشاعة بقاء السلطان احمد حيا على اهالي بغداد، لذلك لم يظهروا أي رد فعل سلبي لمقتل بخشايش لانه وقع بامر السلطان، ولغرض تعزيز تضامن الاهالي مع دوندى وشدهم للمقاومة، عمدت إلى تعيين واحد من اعيانهم يدعى عبد الرحيم الملاح شحنة على بغداد بدلا من بخشايش المقتول[5]، فكان هذا خير معين لها لانه اشاع للأهالي بانه "شاهد السلطان في منامه وهو راكب على فرسه، ووعده بالخروج في النهار"[6]. كما ان هذا الشحنة استمر على الخطبة وسك النقود باسم السلطان احمد[7].

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص244-245.

(2) دار الجاثليق: تقع على شط دجلة، وكانت هذه الدار من قبل لعلاء الدين الطبرسي الدويدار الكبير من أمراء بغداد زمن الخليفة المستعصم بالله، وفي زمن هولاكو سكنها جاثليق النصارى. جواد، مصطفى وأحمد سوسه: دليل خارطة بغداد المفصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958م، ص198، 223-224.

(3) خان القلندرية: يقع في الجهة الشرقية من نهر دجلة وسمي بهذه التسمية نسبة إلى القلندرية وهم طائفة من المتصوفة. جواد: المرجع نفسه، ص223.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص245، وأشار إلى هذه الحادثة بشكل مقتضب. المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص146.

(5) المقريزي: المصدر نفسه، جـ4، ق1، ص146. الغياثي: المصدر السابق، ص245. أوج: المرجع السابق، ص135.

(6) ابن حجر: انباء الغمر، جـ2، ص460. اقبال: المرجع السابق، جـ1، ص464. علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص39.

(7) المقريزي: المصدر نفسه، جـ4، ق1، ص147.

وقد أثارت اشاعة قرب ظهور السلطان احمد روح المقاومة والاستبسال عند سكان بغداد، على الرغم من مضي قرابة ثمانية أشهر على الحصار[1]، فلم يكتفوا بالدفاع عن بغداد بل قاموا بغارات خاطفة على معسكر الشاه محمد، تمكنوا خلالها من انزال خسائر جسيمة بعسكره والحصول على غنائم منه، مما اربك الشاه محمدا، فاضطر إلى الانسحاب وعسكر في بعقوبة، لكن قوات بغداد، لم تدعه وشانه، فقد هاجمته قوة من خمسمائة مقاتل تمكنت من قتل عدد من امرائه وجنده[2]، فتلاشى أي امل من آماله في امكانية احتلال بغداد بعد هذه المقاومة، والخسائر التي تكبدها، لذلك كتب لوالده قره يوسف بعزمه على الانسحاب من معسكره في بعقوبة، والتوجه إلى تبريز[3]، وفي اثناء شدة الرحال تلقى خبر انفجار الصراع بين دوندى خاتون وعبد الرحيم الملاح، ومقتل الملاح، مما دعاه إلى استغلال الموقف ومحاصرة بغداد ثانية[4].

وقد أشار المقريزي والغياثي بشكل مقتضب إلى حادثة مقتل عبد الرحيم وآثارها، فذكرا ان عبد الرحيم الملاح قتل مع عدد من اتباعه[5].

ويبدو ان قتلها لعبد الرحيم جاء بعد ان استنفذت غرضها منه، ولأنه أظهر الطموع بالسلطنة كما فعل من قبل بخشايش.

أثار مقتل عبد الرحيم ردود فعل أهالي بغداد ضد دوندى، مما دفعها إلى الانتقام منهم، وقد أكد الغياثي هذا باشارته إلى وقوع السيف بعد مقتل عبد الرحيم في أهل بغداد وقتل خلق كثير منهم[6] وقد رأت دوندى بعد هذه الحادثة ان قدرتها على ضبط البلد اصبحت بحكم المستحيل لتخلي السكان عنها[7]، ولطول مدة الحصار[8]، فخططت للهرب مع افراد أسرتها،

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 678.

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص245.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص146-147. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230. وانظر كذلك: السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص217.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص246. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص147.

(5) المصدر نفسه، جـ4، ق1، ص147. التاريخ الغياثي، ص245.

(6) التاريخ الغياثي، ص245.

(7) المصدر نفسه، ص246.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص146. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص205-206.

ولتسهيل عملية الهرب عمدت كما يشير المقريزي إلى تسريب خبر مفاده ان السلطان احمد حي قد ظهر، فأحدث ذلك ضجة في بغداد وتسابق الناس إلى داره لرؤيته، فخرج عليهم رجل في زي السلطان احمد راكبا فرسا فانذهل الناس وقبلوا له الارض، ثم ما لبث ان عاد إلى الدار ثانية بعد ان وعدهم بالخروج عند غروب الشمس.

واستغلت دوندى انطلاء هذه الخدعة على الناس وانشغالهم برؤية السلطان بالهرب من بغداد إلى شوشتر، وهرب خمسمائة فارس من اتباعها إلى البصرة وامام هذا الامر وجد أهل بغداد الا طاقة لهم على الاستمرار في المقاومة بعد مقتل الكثير منهم مع عبد الرحيم الملاح كما سبقت الاشارة إلى ذلك، فاضطروا على استدعاء الشاه محمد لدخول بغداد، فدخلها سنة 814 هـ / 1411م[1].

وقد أشار الغياثي إلى هذه الحادثة بشيء من الاختلاف عن المقريزي ولكن روايته أقرب إلى المعقول، فذكر ان دوندى أمرت الاهالي بتزين المدينة على شرف خروج السلطان احمد من مخبئه، وبينما كان الناس منشغلين بامر التزيين الذي استغرق ثلاثة ايام، انسلت ليلا مع أولادها الستة وأموالهم وجماعتها، وانحدرت بهم على ظهر سفينة إلى واسط، ومنها توجهت إلى شوشتر. ولما علم أكابر البلد بذلك استدعوا الشاه محمد لدخول بغداد، فدخلها قبل ظهر نهار الخميس خامس محرم سنة 814 هـ / 1411م[2] بعد حصار دام سنة تقريبا[3].

وقد اتجه الشاه محمد بعد ان نهبت قواته بغداد يوما كاملا[4] إلى الاقتصاص من الذين قاموا الحملة، فطلب من ابن الشيخ احمد السهروردي، احد اعيان بغداد، ان يقدم له اسماء الجماعة التي روجت فكرة بقاء السلطان احمد حيا، فقدم هذا جريدة كادت تستوعب اسماء

---

(1) السلوك، جـ4، ق1، ص147-148.

(2) التاريخ الغياثي، ص246. وقد أشارت بعض المصادر الأخرى إلى هذه الحادثة بشكل مقتضب، وللاطلاع، انظر: ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230، حيث حدد تاريخ دخول شاه محمد بغداد في جمادى الأولى سنة 814 هـ. السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص217. غفارى، القاضي احمد بن محمد بن عبد الغفور: تاريخ جهان ارا، كتابفروشي حافظ، تهران، ص215.

(3) اختلفت المصادر في تحديد مدة الحصار. فالمقريزي يحدده بمدة (10) أشهر. السلوك، جـ4، ق1، ص146. وابن حجر بسنة واحدة. انباء الغمر، جـ3، ص205. والسخاوي باكثر من عشرة أشهر. الضوء اللامع، جـ6، ص217. ويبالغ نظترى في القول بان الحصار دام سنتين. منتخب التواريخ، ص169.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص183-184. الغياثي: المصدر السابق، ص247.

كل اهل بغداد، الامر الذي جعل الشاه محمد يتردد في معاقبتهم جميعا، واكتفى بقتل الشيخ احمد السهروردي، بوصفه من مروجي تلك الاشاعة[1].

بعد ان احكم الشاه محمد سيطرته على بغداد جرد هو ووالده عدة حملات عسكرية استهدفت السيطرة على باقي انحاء العراق، وكانت عانة أولى المدن التي استهدفت. وهناك من يشير إلى ان قره يوسف قصدها في شهر ربيع الآخر سنة 814 هـ / 1411م، وتمكن من احتلالها بعد ان كسر عسكر حاكمها الأمير العجل بن نعيرال فضل[2]، كما تمكن الشاه محمد من احتلال قلعة هيت[3]، ويبدو ان تكريت قد سقطت سنة 814 هـ / 1411م، فهناك من يذكر ان ابا القاسم بن قره يوسف كان حاكما عليها في هذه السنة[4] وكذلك اربيل والموصل التي منح الشاه محمد حكمها لولده شاه علي[5]، وكركوك وداقوق وجصان التي حكمها افراد من اسرته[6]، وفي سنة 816 هـ / 1413م قاد الشاه محمد حملة عسكرية على كردستان فتمكن من اخضاعها واخضاع مدينة شهرزور وأسر أميرها محمد ساروا التركماني[7]. وفي عهد شقيقه اسبان[8] امتدت السيطرة القره قوينلوية إلى اطراف البصرة بما فيها الحويزة[9]. وبذلك يكون القره قوينلو قد استكملوا احتلالهم للعراق بعد عمليات تخريب وتدمير.

---

(1) الغياثي: المصدر نفسه، ص247. علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص31.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص181.

(3) خوافي: فصيح احمد بن جلال الدين محمد: مجمل فصيحي، تصحيح وتحشية: محمود فرخ، جاب طوس، مشهد، 1336، جـ3، ص207.

(4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 85.

(5) خوافي: المصدر السابق، جـ3، ص207.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 89.

(6) خوافي: المصدر السابق، جـ3، ص207، 213-214.

(7) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 679.

(8) اسبان: وردت هذه التسمية في المصادر التاريخية مختلفة، منها أصبهان وأسبهان وأسبند وهي عند الغياثي: اسبان، ومنه أخذنا بها. انظر: التاريخ الغياثي، ص260.

(9) الشوشترى: سيد نور الله: مجالس المؤمنين، جاپخانه اسلامية، تهران، 1376، جـ2، ص398-399. كسروى، احمد: تاريخ بانصد ساله خوزستان، تهران، 1312 هـ ص15-16.

الفصل الثالث

الصراع الأسري القره قوينلوي ((ذو الغنم الأسود))
على ولاية بغداد وآثاره على السكان

أولا: الصراع الأسري:

1- تمرد الشاه محمد على سلطة والده قره يوسف.

2- انتزاع اسبان ولاية بغداد من الشاه محمد.

3- الصراع بين الوند وأمراء اسبان وتدخل جهانشاه.

4- تمرد بير بوداق على سلطة والده جهانشاه.

ثانيا: آثار الصراع على السكان:

1- القتل والنهب والتجويع.

2- تشريد السكان.

3- انتشار الأمراض والأوبئة.

الفصل الثالث
الصراع الأسري القره قوينلوي ((ذو الغنم الأسود)) على ولاية بغداد وآثاره على السكان

أولا: الصراع الأسري:

1ـ تمرد الشاه محمد على سلطة والده قره يوسف:

منح قره يوسف ابنه الشاه محمد تفويضا بحكم بغداد لمدة عشرين سنة[1]. وعاشت بغداد خلال السنوات الاولى من حكم الشاه دون اضطراب لاظهاره السيرة الحسنة[2]، ولإعفائه ارباب الخراج من الدفع لمدة سبع سنوات[3] بهدف تنشيط الحياة الاقتصادية ولكن اجراءه هذا أدى إلى انخفاض كبير في الواردات التي تحصل عليها خزينة بغداد والتي كان معظمها يأتي من الخراج، فضعفت قدرته على تسديد التزاماته المالية السنوية تجاه والده قره يوسف الذي لم يكن يهمه شيء من امر ولاية ابنه الا بقدر ما تدره عليه من الاموال لادامة عملياته العسكرية بهدف السيطرة والتوسع. لذا لم ترق لقره يوسف اصلاحات الشاه محمد، وعد امتناع ابنه عن الدفع بمثابة تمرد عليه. فتوجه بجيشه لغزو بغداد. واستيفاء ما هو مقرر عليها من اموال وذلك سنة 816 هـ / 1413م، ولكن شاءت الاقدار الا يكمل قره يوسف، الذي كان قد وصل همدان مسيرته نحو بغداد لحدوث حركة تمردات عليه في عدة مدن من بلاد فارس وديار بكر[4]. ولتهديد شاهرخ التيموري له باحتلال تبريز في حال عدم اقامته الخطبة له وضرب السكة باسمه، ولمعالجة الموقف اضطر قره يوسف إلى اعادة النظر في علاقته مع ابنه الشاه محمد، فقد ارسل يستدعيه للدفاع عن تبريز في حال تعرضها لهجوم تيموري[5].

---

(1)Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص924. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص267. الغياثي: المصدر السابق، ص247.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

Minorsky: Jihan - Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 274.

(4) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص234.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 61.

Savory: op. cit, p. 38.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص300.

وعلى الرغم من اننا لا نملك معلومات تؤكد استجابة الشاه محمد لطلب والده، لكن تحركه سنة 818 هـ / 1415م لاحتلال شوشتر[1]، - التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي من ايران – يجعلنا نقول بوجود علاقة بين غزوه لهذه المدينة وتهديدات شاهرخ لتبريز، فقد قصد شاه محمد من تحركه باتجاه شوشتر – على ما يبدو – وضع قوات شاهرخ التي كانت قد احتلت السلطانية بين فكي كماشة – قواته من جهة الجنوب الغربي وقوات والده من جهة الشمال الغربي، أي من جهة تبريز – ولكن شاهرخ تنبه لهذه الخطة فكف بسببها على ما يبدو عن تهديده وانسحب عن السلطانية لمصلحة قره يوسف[2].

وقد شاءت الظروف ان تتحسن العلاقة بين قره يوسف وشاهرخ سنة 820 هـ / 1417م[3] الامر الذي أفسح المجال لقره يوسف بان يطالب الشاه محمد ثانية بما هو مستحق على ولايته من اموال، ولغرض تأكيد نيته على هذا المطلب، أخذ يعد العدة لغزو بغداد[4]، فأثار بذلك مخاوف الشاه محمد الذي شرع في جمع الاموال الكثيرة من اهل بغداد[5]، غير ان هذه الاموال لم تدفع لقره يوسف فحمله ذلك على تنفيذ غزوه لبغداد سنة 821 هـ / 1418م فاستصفى اموال الشاه محمد بعد استسلامه له[6]، ومع هذا فان الشاه محمد لم يتعظ من غزو والده له، فقد كرر ثانية الامتناع عن الدفع، فعاود قره يوسف غزو بغداد سنة 823هـ / 1420م وبعد حصار دام ثلاثة ايام دخلها واعتقل الشاه محمد، وصادر جميع امواله، وعزله عن ولايته، وعين بدلا منه شقيقه أسبان[7]. وقد اتخذ قره يوسف هذا الاجراء للحد من تطلعات الشاه محمد.

---

(1) المصدر نفسه، جـ4، ق1، ص317.

(2) E. I. / II, S. V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 587.

(3) عن هذه العلاقة وأسباب تحسنها، انظر:

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 98. Savory: op. cit, p. 38.

I. A / Kara Koyunlular, Madisi, 6 cilt, s, 300.

(4) العيني: عقد الجمان، ص301.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص136. العيني: عقد الجمان، ص301.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص466. ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص163. العزاوي: تاريخ العراق، جـ2، ص,44.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص533. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص98.

2ـ انتزاع أسبان ولاية بغداد من الشاه محمد:

توفي قره يوسف في لوجان[1] سنة 823 هـ / 1420م في اثناء استعداده للتصدي لشاهرخ التيموري المتقدم لاحتلال أذربيجان[2]. وبوفاته اضطربت احوال القره قوينلو لعدم تسمية قره يوسف من يخلفه من ابنائه بعد ان كان خليفته بير بوداق قد توفي في حياته سنة 821 هـ / 1418م[3]. وفي لوجان لم يكن ابان الوفاة احد من ابنائه الخمسة ليتولى مهمة الزعامة وقيادة الجيش فشاه محمد كان بعد عزله عن ولاية بغداد معتقلا في نخجوان[4]، وأسبان كان في قلعة عادل جوز[5] الواقعة على بحيرة وان، وجهانشاه في السلطانية وابو سعيد في أرزنجان واسكندر في كركوك[6].

وقد دخل الابناء حال سماعهم بنبأ وفاة والدهم في صراع من أجل الزعامة والسيطرة على بغداد وتبريز. وفي الوقت الذي فضل فيه كل من الشاه محمد وجهانشاه السيطرة على بغداد[7] البعيدة عن التهديد التيموري، لم يعر اسكندر الذي كان قريبا من بغداد هذه المدينة الاهتمام، وفضل تبريز عليها لانها مقر والده أولا ولتلقيه دعوة من معظم أمراء ابيه في اسناده

---

(1) لوجان: تقع على احدى روافد نهر سراو على بعد عشرة فراسخ عن تبريز في طريق ميانة. لسترنج: المرجع السابق، ص198.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص543. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230-231. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص607-608. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151. ويخطئ الخوافي في تحديد سنة الوفاة بسنة 821 هـ انظر: مجمل فصيحي، جـ3، ص253.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص466.

I. A / Kara Koyunlular, Madisi, 6 cilt, s, 300.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 116.

(4) نخجوان: من اعمال أذربيجان تقع شمال نهر الرس إلى الشرق من قلعة النجف. لسترنج: المرجع السابق، ص201.

(5) تعزى أسباب وجود أسبان في عادل جوز في هذا الوقت بدلا من بغداد إلى تلقيه اوامر من والده قره يوسف قبل وفاته بان يلتحق به لمواجهة شاهرخ. ويبدو ان الوفاة قد حصلت في أثناء وصوله إلى عادل جوز، أنظر:

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 116.

(6) Savory: op. cit, p. 39.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

لتولي الزعامة ثانيا[1]. أما أسبان فقد قاده الطموع نحو تبريز التي من يسيطر عليها تكون له الزعامة على القره قوينلو، ولكن ما واجهه من هزيمة على يد التيموريين عند محاولته استرجاع تبريز التي كانت قد سقطت بيد باي سنقر بن شاهرخ[2]، والتفاف معظم امراء القره قوينلو حول أخيه اسكندر قد حال دون تحقيقه لهدفه، لذلك قفل راجعا بسرعة إلى بغداد لاعادة ولايته عليها، ولكن الشاه محمد كان قد سبقه وسبق جهانشاه اليها فأصبحا تحت الامر لواقع، ورضيا بحكم الشاه محمد لبغداد[3] مؤقتا حتى تتوفر فرصة لهما لازاحته عنها. ويشير الغياثي إلى ان جهانشاه بعد استقراره مدة في بغداد اضطر مع والدته إلى الهرب منها صوب تبريز بعد خوف حصل لديه من شاه محمد[4]. ويبدو ان الهرب حصل بعد ان حاول الشاه محمد القبض عليه لمحاولته الفاشلة في ازاحته عن حكم بغداد.

أما أسبان الذي رأى بعد ان امض أربع سنوات في بغداد بان احوال الشاه محمد قد غدت مضطربة لاسيما بعد اعطاء الشاه العسكر اجازة بالرواح عنه وقال: مالي حاجة إلى عسكر، الشط والسور هو عسكري[5]. فقد استغل أسبان ذلك وتوجه إلى الدجيل فسيطر عليها وعلى حربي التي اتخذها مقرا له، كما بسط نفوذه على الخالص وطريق خراسان ومهرود وتكريت، وقام بجباية الاموال منها له[6].

ولم يتخذ الشاه محمد أية اجراءات عسكرية لمواجهة أسبان، وكان يقول لابن عمه ميرزا علي "هذا أخي وما أنازعه في هذا المقدار ..."[7]، ويقول لابنه شاه علي "البلد تكفيني والولاية تكون لأخي"[8]. ولكن شاه علي لم يرتض بهذا الاستسلام لذلك تصدى لعمه أسبان ودخل

---

(1) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 62.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص608، 610.

Savory: op. cit, p. 40.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

(4) المصدر نفسه، ص140، 249.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص248. وانظر كذلك: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص924.

Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu, p. 274.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص251، 260. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص71. علي: العراق والغزو قوينلوي، ص40.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص260.

(8) المصدر نفسه، ص261.

معه في معركة قرب بعقوبة قتل فيها من الطرفين عدد من الجند دون ان يتمكن احداهما من احراز النصر على الآخر[1].

وقد انشغل الشاه محمد وأولاده بعد هذه الحادثة بالأكل والشرب واللهو[2] وأصبحوا لا يتجاسرون على ان يتجاوزوا سور بغداد[3]، في الوقت الذي كان أسبان يوسع فيه من مناطق نفوذه في العراق تمهيدا للسيطرة على بغداد فقد سيطر على كركوك وداقوق والتون كوبرى واربل[4] كما سيطر على الموصل سنة 833 هـ / 1429م[5]، وهيت والحلة سنة 835 هـ / 1432م[6]. وبهذا التوسع يكون أسبان قد جرد الشاه محمد من عناصر قوته، ومنع عنه وصول أية امدادات من المدن العراقية التي كانت تدين بالتبعية له.

عند ذلك قرر دخول بغداد، ولتحقيق هذا الامر بيسر ولضمان القبض على الشاه محمد ومصادرة امواله، تظاهر بالتوجه إلى واسط واعمالها ومنها ارسل للشاه محمد من يقول له "ان الاعراب قد أحاطت بي ولم أقدر على الخروج ادركني"[7] و "هو – أي أسبان – عارف ان شاه محمد ليس عنده عسكر لكن ذلك حيلة ومكر"[8]. فأرسل الشاه محمد اليه جوابا قال فيه "ان ليس لي عسكر ارسله اليك لكن اؤيدك بالهمة"[9]. عند ذلك أدرك أسبان ان الشاه محمد غافل عن قصده، فحث خطاه مسرعا من واسط إلى النعمانية فسلمان باك[10]، ومنها ارسل اربعين رجلا من جنده على هيئة متصوفة تمكنوا خلسة من اجتياز اسوار بغداد، ومن ثم فتح احد

---

(1) المصدر نفسه، ص251.

(2) المصدر نفسه، ص251، 261.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص837. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص349.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص262.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص837. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص348.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص866. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص481. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص231. مجهول، مؤرخ شامي: حوليات دمشقية، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، 1968، ص26.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص265.

(8) المصدر نفسه والصفحة.

(9) المصدر نفسه والصفحة.

(10) المصدر نفسه والصفحة.

ابواب السور بعد مقتل الموكلين عليه ليدخل منه جند أسبان المدينة[1] وذلك ليلة الخميس ثامن عشر شعبان سنة 836 هـ / 1421م وقد باشروا فورا بالبحث عن الشاه محمد للقبض عليه ولكنه تمكن مع ابنه شاه بوداق من الهرب عن طريق دجلة إلى الكاظمية فالدجيل ومنها إلى حديثة التي استقبله حاكمها حارث بالاعزاز والاكرام[2].

اما عما أصاب بغداد، فالمعلومات تشير إلى ان أسبان قد سلب أهلها، ما يمتلكون[3]، كما استصفى اموال الشاه محمد وأموال رعاياه[4].

تجدد الصراع ثانية بين أسبان والشاه محمد لمحاولة الشاه استعادة نفوذه ثانية على بغداد، ولتحقيق هذا الهدف اتبع خطة أسبان السابقة في تجريد بغداد من بعض عناصر قوتها عن طريق الاستيلاء على المدن التابعة لها ومن ثم الاستيلاء عليها، فسيطر بمساعدة الشيخ حارث حاكم حديثة على الموصل، ومنها بسط نفوذه على اربل وداقوق وكركوك[5]، فتصدى له أسبان واسترد منه كركوك في 25 شوال سنة 836 هـ / 1432م وقتل حاكمها علي اتابك كما استرد داقوق ومنها خطط لاسترجاع اربل والموصل، ولكن مداهمة المرض له[6] حال دون تحقيق ذلك، فاضطر إلى الرجوع إلى بغداد[7]، فأتاح بذلك الفرصة للشاه محمد لاسترجاع كركوك وداقوق ثانية ومنها اخذ يعد العدة للسيطرة على بغداد بعد ان اخذ يخرب المناطق الزراعية في حوض نهر ديالى لا سيما المناطق المحيطة بيعقوبة ودرتنك حلوان[8] فاضطر أسبان على الرغم من مرضه التصدي له، وخرج بجيشه إلى حدود خانقين، وكان الشاه محمد في أثناء ذلك يحاصر

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص899. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص502. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص266. مجهول: حوليات دمشقية، ص63. الغياثي: المصدر السابق، ص252، 265-266.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص252-253، 265-266.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص918. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص45. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص289. مجهول: حوليات دمشقية، ص64.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص266-267.

(5) المصدر نفسه، ص253، 267. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص87-89.

(6) يذكر الغياثي ان أسبان كان معلول الصحة، فعيناه كانتا قبل توليه ولاية بغداد قد أصيبتا بالرمد، كما انه مصابا بمرض القولنج، التاريخ الغياثي، ص250، 268، 279.

(7) الغياثي: المصدر نفسه، ص267. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص88.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص253-254، 267.

قلعة درتنك فعلم بقصد أسبان له، لذلك ارسل قوة عسكره بقيادة ابنه شاه علي ولكن هذه القوة لم تصطدم بأسبان الذي رجع إلى بغداد[1] بعد ان اشتد به المرض.

قصد الشاه محمد شيكان[2] بعد تركه درتنك، وبهدف الاستطلاع خرج الشاه محمد من معسكره مع قلة من جنده لتفحص أسوار القلعة بهدف اقتحامها، فخرج على حين غفلة منه أربعين فارسا تمكنوا من قتله وجنده وذلك يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة سنة 837 هـ / 1434م[3] وبمقتله حسم الصراع نهائيا لمصلحة أسبان الذي ما لبث ان استرجع سنة 839 هـ / 1436م الكرخيني "كركوك" واربل والموصل وتلعفر وسنجار[4]. وبعد ان احكم سيطرته على هذه المناطق وجه اهتمامه نحو مناطق العراق الجنوبية وتمكن سنة 847 هـ / 1444م من احتلال الحويزة واطراف البصرة[5]، وبذلك يكون اول حاكم قره قوينلوي يستطيع ان يوحد العراق تحت إدارة سياسية واحدة.

3ـ الصراع بين الوند وأمراء أسبان وتدخل جهانشاه:

توفي أسبان في ذي القعدة سنة 848 هـ / 1444م[6] وحدث قبل وفاته ان أوصى بالحكم بعده لابن أخيه الوند بن اسكندر بدلا من ابنه الصغير فولاذ، خوفا من ان يستأثر

---

(1) المصدر نفسه، ص254، 268. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص88.

(2) شيكان او شيخان: التسميتان وردتا عند الغياثي، انظر: التاريخ الغياثي، ص254، 268. والمصادر المملوكية تذكرها باسم شنكان، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص924. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص193. وشيخان: بلدة ما تزال معروفة في انحاء خانقين. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص89.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص254. وباقتضاب ذكر مقتله المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص924. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص193. السخاوي: الضوء اللامع، جـ8، ص292. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص172. وحدد الغفاري وصاحب تاريخ قطب شاه مقتله بسنة 836 هـ انظر: تاريخ جهان ارا، ص248.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص255، 268-269، 271-272.

(5) المصدر نفسه، ص275. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص398-399. كسروي: المرجع السابق، ص15-16.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص276-277. الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص248. كسروي: المرجع السابق، ص17.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

جهانشاه بحكم بغداد[1]. وكان جهانشاه الذي تولى زعامة القره قوينلو بعد مقتل اسكندر سنة 841 هـ / 1438م[2] يطمع بولاية بغداد[3]، ولكنه لم يتعرض لها في أثناء حكم أسبان، لان أسبان كان يمتلك على حد قول الغياثي جيشا كبيرا[4] كانت له القدرة على التصدي له أولا ولانشغال جهانشاه في تثبيت أقدامه في بلاد ايران وأذربيجان وتوسيع مناطق نفوذه في جورجيا ثانيا[5]. الأمر الذي جعله يتغاض مؤقتا عن بغداد.

وقد تنكر أمراء أسبان لوصية سيدهم، وحالوا دون تسلم الوند الحكم خوفا من ان يستأثر بالحكم وحده، فقد قالوا "الوند شخص صعب ونخشى منه اذا تحكم فينا .."[6] وبدلا منه نصبوا فولاذا مستغلين فرصة غياب الوند عن بغداد في اثناء حدوث وفاة عمه أسبان بقيادة حملة عسكرية في ديار بكر[7].

ترك الوند ديار بكر حال تلقيه خبر وفاة عمه وتنصيب فولاذ بدلا منه، وبدأ من كركوك يتجهز لأخذ بغداد بعد ان سيطر على الموصل واربل والتون كوبري، وكان كبير أمرائه عيسى بيك قد طلب منه عدم الاستعجال في بغداد، بعد ان ضربوا له موعدا بفتح احد ابواب السور، ونفذوا وعدهم ودخل جهانشاه بغداد نهار يوم الخميس 14 ربيع الأول سنة 850 هـ 1446م فقبض على شيخي بيك وباقي الامراء المتعاونين معه بعد ان أبدوا بعض المقاومة، ونفذ فيهم القتل، ثم امر جهانشاه بنهب المدينة، فنهبت ثلاثة ايام، وقتل خلق كثير[8]. وقد رحل عن بغداد بعد ان عين ابنه محمدي ميرزا حاكما عليها يساعده عبد الله كبر، كما اعطى الوند حكم الموصل[9]، بدلا من حكم الجانب الغربي من بغداد.

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص279. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص130.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص287-288. الغفاري: تاريخ جهان را، ص249.

Sumer: A. g. e, 1, cily, s, 141.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص279. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص130.

(4) التاريخ الغياثي، ص280.

(5) Savory: op. cit, p. 40. Romer: op. cit, Vol. 6, pp. 160-164

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص280.

(7) المصدر نفسه والصفحة. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص130.

(8) المصدر السابق، ص283-286، 304. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص133-135.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص288-305. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص135.

4. تمرد بير بوداق على سلطة والده جهانشاه:

استقرت احوال بغداد، بعد الكارثة التي أحدقت بها على يد جهانشاه ويعزى سبب استقرارها الى الجهد الكبير الذي بذله الامير عبد الله كبر في تصريف شؤونها، وضبط امنها، وقد امتدحه الغياثي، وقال عنه انه "كان رجلا عاقلا مجربا، وكان هو الحاكم والمتولي، وما كان لمحمدي غير الاسم. فكان الناس ... مرفهين طيبين"[1] خلال فترة حكمه التي دامت سنتين ونصفا[2].

عزل جهانشاه ابنه محمدي والامير عبد الله كبر عن ولاية بغداد، وعين بدلا عنهما ابنه الآخر بير بوداق الذي باشر الحكم يوم السبت الحادي عشر من رمضان سنة 852 هـ / 1448م[3]، وقد واجه بير بوداق بعد مضي ستة اشهر على حكمه اول حركة تمرد، عندما أعلن الوند عصيانه في قلعة فولاذ[4] وطالب بير بوداق بحكومة بغداد استنادا إلى حقه الشرعي الذي كان قد منحه اياه أسبان قبل وفاته سنة 848 هـ / 1445م، ولغرض تحقيق الوند لمطلبه اتصل بالامارة المشعشعية في الاحواز طالبا العون العسكري منها لاسترداد بغداد، فوعده المشعشع بتلبية طلبه، لذلك ترك الوند قلعة فولاذ، وأنضم إلى هذه الامارة. ولم تفلح محاولات بير بوداق في القبض عليه، ومنع اتصالاته بتلك الامارة[5].

وقد ظل الوند مدة طويلة مقيما عند المشعشعين منتظرا الفرصة لتحقيق هدفه، لكن المشعشعين لم يقدموا له أية مساعدات خوفا[6] من ان ينقلب عليهم اذا ما حقق اهدافه، فانتابه اليأس، وقرر الهرب، فانتهز فرصة اضطراب الأحوال في ايران على اثر مقتل محمد باسنقر التيموري حاكم فارس في 15 ذي الحجة سنة 855 هـ / 1451م فترك الاحواز وتوجه إلى

---

(1) التاريخ الغياثي، ص305.

(2) المصدر نفسه والصفحة. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص135.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص305.

(4) قلعة فولاذ: تقع بالقرب من اربل، ينظر: ابو بكر الطهراني: ديار بكرية، بتصحيح واهتمام: نجاتي لوغال وفاروق سومر، انقرة، 1962م، جـ2، ص457.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص305. شبر، جاسم حسن: تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم، مطبعة الاداب، النجف، 1965م، ص65. الحلو، علي نعمة: الاحواز "عربستان" في ادوارها التاريخية، ط1، دار البصرى، بغداد، ص156.

(6) الجابري، محمد هليل: امارة المشعشعين، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، في التاريخ الحديث، 1973م، ص65. الزبيدي، محمد حسين: امارة المشعشعين أقدم امارة عربية في عربستان، ص45.

شوشتر بعد ان تلقى رسالة من حاكمها التيموري علي ماماش[1] يدعوه لاستلام حكمها، ولكن بير بوداق كان قد سبقه اليها ودخلها في شهر جمادى الثانية سنة 856 هـ / 1452م بعد ان كان قد تلقى من علي ماماش رسالة مماثلة لرسالة الوند ايضا[2].

وامام هذا الواقع اضطر الوند إلى التوجه إلى ديار بكر حيث كان اخوته يحكمون الموصل[3]، وتمكن بعد مدة من ان يفرض سلطته على ديار بكر بمساعدة والي سنجار معز الدين ميرزا، ويحقق انتصارا على جيش ارسله جهانشاه للقبض عليه[4].

استغل الوند فرصة نشوب صراع بين الامير التيموري ميرزا بابور بن بايسنقر وجهانشاه الذي استحوذ على بعض مدن بابور، بان انضم هو ومعز الدين إلى ميرزا بابور، فأستقبلهما المذكور في شيراز بالاكرام سنة 856 هـ / 1452م وعين معز الدين حاكما على شيراز واستصحب الوند معه لقتال جهانشاه الذي كان قد احتل اصفهان، وبسبب وقوع حركة تمرد في خراسان، اضطر بابور على ان يغير وجهته من أصفهان إلى خراسان، حيث لعب الوند دورا كبيرا في القضاء على تلك الحركة، فكافأه بابور بأن اعطاه صلاحية حكم اية منطقة يتمكن من تحريرها من سيطرة جهانشاه[5].

وبموجب هذه الصلاحية اصبح الوند حاكما على اقليمي سجستان وكرمان اللذين حررهما من حكم جهانشاه كما تمكن من تحرير مدينة همدان، ومنها بدأ يؤسس مناطق نفوذه، فدانت له بالسيطرة مدن عدة من بلاد فارس واقليم الجبل[6]. غير ان نجاحاته هذه انهارت بعد صراع دام اربع سنوات مع جهانشاه، وحدث ذلك على اثر تلقي بير بوداق بن جهانشاه الذي

---

(1) علي ماماش: وردت هذه التسمية عند الغياثي بالشكل الآنف الذكر، وباسم علي مش ايضا. ينظر: التاريخ الغياثي، ص306.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص227، 306. ويحتمل ان الرسالة التي أرسلها علي ماماش للوند كانت باتفاق مع بير بوداق لغرض الايقاع بالوند، والا فما هي دوافع علي ماماش على ارسال رسالة إلى بير بوداق يستدعيه ايضا إلى شوشتر اذا لم يكن بينهما اتفاق مسبق على الوند.

(3) يذكر صاحب ديار بكرية، جـ1، ص177 نقلا عن التاريخ الغياثي، ص305 في الهامش الخامس ان الموصل كانت بأيدي اولاد اسكندر بتفويض من جهانشاه.

(4) الغفاري: تاريخ جهانشاه، ص249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 66-67.

(5) Ibid., pp. 66-68.

(6) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص340-341.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, pp. 68.

كان موجودا في شيراز خبر ترك الوند اهله في قلعة طبق، وتوجهه إلى الجبل، فساق بير بوداق خلفه، وتمكن من قتل الوند عند عين عمار[1]، بعد ان تشتت من كان معه من الجند[2]، وذلك في 22 رمضان سنة 860 هـ / 1456م[3]، وبذلك يكون بير بوداق قد حسن علاقته مع والده جهانشاه التي سبق ان كانت قد توترت على اثر محاولة بير بوداق احتلال تبريز سنة 854 هـ / 1450م[4].

واصل بير بوداق تحقيق المكاسب لجهانشاه، فبجهوده وحده او بمشاركة والده اصبحت بلا فارس والجبل واجزاء من خراسان بما فيها هراة تابعة لجهانشاه. لذلك كافأه والده بأن منحه حكم شيراز، فضلا عن حكم بغداد[5].

ويبدو ان طموح بير بوداق لم يكن يتوقف عند حدود شيراز وبغداد بل كان يمتد إلى تبريز، وهذا ما أقلق جهانشاه الذي استغل حادثة انتزاع بيربوداق حكم يزد من نائبه فيها قنبر الخزنجي وفجور احد امرائه بامرأة قنبر وأولاده، ورفض بير بوداق تسليم الفاعل على الرغم من انه قد طلب منه القصاص[6]، فضلا عن ايوائه معارضيه ومنهم حسن علي الذي سبق ان تمرد على جهانشاه في اثناء غيابه عن تبريز سنة 862 هـ / 1458م[7]، لتسويغ عملية الاقدام على تحجيم نفوذ بير بوداق فطالبه بالتنازل عن بغداد لقاء احتفاظه بشيراز، والا فانه سيهاجم[8].

وقد تجاهل بير بوداق هذا الطلب والتهديد، فما كان من جهانشاه الا ان قاد حملة باتجاه شيراز، وفضل بير بوداق الانسحاب على المواجهة، ورضي بحكم بغداد[9] التي دخلها يوم الاثنين 18 ربيع الأول سنة 866 هـ / 1462م[1].

---

(1) قلعة طبق وعين عمار: لم نجد لهما تعريفات في الكتب البلدانية التي بحوزتنا، والذي يبدو انهما تقعان في اقليم كرمان لان حادثة مقتل الوند وقعت في هذا الاقليم.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص312. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص341.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص312.

(4) المصدر نفسه، ص306.

(5) المصدر نفسه، ص307–308، 310، 312، 314–315. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص355. نظمي زاده: المصدر السابق، ص174.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص315. ابو بكر الظهراني: المصدر السابق، جـ2، ص356.

(7) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 296.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص315.

(9) المصدر نفسه، ص315–317. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص1. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص101.

تجدد النزاع ثانية بين بير بوداق وجهانشاه اثر مطالبة جهانشاه ابنه سنة 869 هـ / 1465م بتوفية التزاماته المالية التي كان قد قطعها لتبريز للمدة من سنة 866 هـ / 1462م وحتى سنة 869 هـ / 1465م على الرغم من امتلاكه اموالا كثيرة[2]، لذا كان رفضه للدفع سببا لقيادة جهانشاه حملة توجه بها من تبريز إلى بغداد[3].

وكان جهانشاه في اثناء استعداداته العسكرية قد اتخذ عدة اجراءات لضمان نجاح العملية وهي:

أولا: اصدار الاوامر لكافة امرائه وحكام أقاليمه للالتحاق به عند السلطانية التي اتخذها مقرا لتجمع القوات.

ثانيا: ارسال مبعوث عنه إلى حسن الطويل الزعيم الآق قوينلوي لعقد صفقة معه تتمثل بتنازله عن الموصل وسنجار واربل لقاء تعهده بعدم تقديم أي دعم عسكري او غذائي لبير بوداق مع تسليمه له في حال الالتجاء اليه، فوافقه الطويل.

ثالثا: امر احد امرائه بان يتقدم على رأس قوة مهمتها تامين الاعلاف عن طريق مصادرة المواد الزراعية والارزاق من اطراف بغداد، لحرمان بير بوداق منها[4].

وفي المقابل اتخذ بير بوداق اجراءات لضمان افشال الحصار منها:

أولا: السماح لسكان المدينة بمغادرتها، بعد ان صادر مؤنهم وداوبهم لغرض ادامة مقاومة الجند[5].

ثانيا: ابقاؤه الصفوة من عسكره، وتسريح الباقين وأمرهم بترك بغداد، ويبدو ان اجراءه هذا جاء لأسباب تتعلق بالتموين ولعدم ثقته بجميع عسكره.

ثالثا: حفره خندقا حول السور لاعاقة المهاجمين[1].

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص317.

(2) يذكر الغياثي ان بير بوداق بعد دخوله بغداد سنة 866 هـ قد انتزع من أهلها (1800) تومان – التومان نقد ايراني من ذهب – كما انه قد حصل على كنز من ذهب في احدى دور بغداد قدر وزنه بـ (700) من – المن التبريزي يساوي 3 كغم تقريبا – عن هذه المعلومات، انظر: التاريخ الغياثي، ص317–318، والهامش التحقيقي السادس ص317 والهامش العاشر، ص318. واكد السخاوي عثور بير بوداق على الكنز. ينظر: الضوء اللامع، جـ3، ص2.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص320–321.

(4) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص371–372.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص320–321. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص372.

وقد وصلت قوات جهانشاه اطراف بغداد نهار الاثنين 14 جمادى الآخر سنة 869 هـ / 1464م فباشرت فور وصولها بمهاجمة سور بغداد لكن جند بير بوداق امطروها بالنبال، فاضطرت إلى الانسحاب[2] مكتفية بتطويق بغداد من جميع جهاتها لتضييق الحصار عليها[3].

ويبدو ان جهانشاه لم يتسرع في اقتحام المدينة، على الرغم من مضي سنة ونصف على الحصار، فالمصادر لا تذكر حدوث اية مناوشات عسكرية بينهما، الامر الذي يجعلنا نقول ان جهانشاه كان يعول كثيرا على نفاذ المؤن التي ستقود بير بوداق إلى الاستسلام، ومما يدعم هذا الرأي ان جهانشاه قد امر جنده ببناء أقبية لهم ليحموا فيها انفسهم من مناخ بغداد[4]، لأنه كان يدرك ان تعويله على نفاذ المؤن سيحتاج إلى وقت طويل. وان هذا التعويل سيمكنه من الاحتفاظ بكافة قواته دون خسارة بهدف تسخيرها لمهمة اكبر، الا وهي محاولة انهاء نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر.

وقد شعر بير بوداق بان مقاومته شارفت على الانهيار لا سيما بعد اعدامه مجموعة كبيرة من امرائه[5] الذين كانوا قد تآمروا عليه عندما ضربوا موعدا لجهانشاه لفتح ابواب المدينة لجنده[6]، لذلك وبدافع ضمان حياته عرض على جهانشاه عن طريق الامير عبد الرحمن بخاري ان يسلم المدينة مع كافة الخزائن والاشياء الثمينة لوالده مقابل ان يمنحه خيلا ودواب وجمالا، ويسمح له ولمائة فارس من خاصته بالخروج منها، فوافقه جهانشاه[7].

وعلى ضوء هذا الاتفاق فتحت ابواب المدينة، وتسلمها احد امراء جهانشاه، ودخلتها غلة كثير مما اطمع بير بوداق وجماعته الذين كان قد تقرر نفيهم إلى امارة ذولغارد، على معاودة التمرد ثانية، فقد قالوا في جلسة شرب "قد اكتفينا – من الغلة – فالآن نحاصر مرة اخرى"[8] فنقل هذا الكلام لجهانشاه احد ندماء بير بوداق، الامر الذي دفع جهانشاه على ارسال ابنه محمدي ميرزا مع الامير محمد تواجي مع ثلة من الجند، فدخل هؤلاء بغداد خلسة، وتمكنوا من

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص321.
(2) المصدر نفسه والصفحة.
(3) المصدر نفسه والصفحة. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص371.
(4) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص372.
(5) الغياثي: المصدر السابق، ص323. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص372
(6) الغياثي: المصدر السابق، ص322-323. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص170.
(7) الغياثي: المصدر السابق، ص323. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص372.
(8) الغياثي: المصدر السابق، ص324.

القاء القبض على بير بوداق وهو غافل، فضربه محمدي ميرزا بالسيف وارداه قتيلا وذلك نهار الاحد غرة ذي العقدة سنة 870 هـ / 1465م[1].

نصب جهانشاه على بغداد بعد دخولها، بير محمد تواجي، فظل هذا حاكما عليها حتى الاجتياح الآق قوينلوي للعراق سنة 872 هـ / 1467م[2] وهذا ما سنفصل الحديث عنه لاحقا.

ثانيا : آثار الصراع على السكان :

لقد ترتبت على الصراع الأسري القره قوينلوي آنف الذكر جملة آثار سلبية على السكان، لا سيما سكان المدن، يمكن اجمالها على الشكل الآتي:

1ـ القتل والنهب والتجويع:

سبب الصراع السياسي لحكام القره قوينلو في العراق مآسي كبيرة للسكان، لا سيما سكان المدن، الذين كانوا هدفا لاية حملة عسكرية قره قوينلوية، فبعد أي حصار او اقتحام لمدنهم كان يقضي الآف منهم نحبه، وكثيرا ما كانت عمليات القتل والاستباحة وما يرافقها من نهب تأتي بفعل قرار مسبق يتخذه الحاكم تجاه المدن التي تقتحم، لا بل احيانا كان الحاكم يفرض على كل جندي من عسكره بان يقتل عددا معلوما من السكان امعانا في الحاق الاذى بهم، ولهذا كان هؤلاء الحكام عرضة لهجوم الكثير من المؤرخين الذين وصفوهم بشتى النعوت السيئة، فالمقريزي عدهم "شر عصابة، سلطت على الناس بذنوبهم"[3]، وقال ابن تغرى بردى عن قره يوسف وذريته "هو كما قالوا وزيادة عليه وعلى ذريته اللعنة ... "فانه لم يعلم لا في طوائف التركمان ولا في اوباش عساكر جغتاي ولا في جهال التتار اوحش سريرة ولا اقبح طريقة ولا أسوء سيرة ولا أضعف دينا ولا أعدم مروءة ولا أقل نخوة ولا أبشع خبرا من هؤلاء الزنادقة الكفرة الفسقة اولاد قره يوسف..."، ولذلك فضل هذا المؤرخ "جور اولاد تيمور" على "عدل بني قره يوسف"[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص324–325. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص372–373. وعن مقتله، انظر كذلك: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ16، ص350. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص2. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص172.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص327، 331 379. ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص458–459.

(3) السلوك، جـ4، ق2، ص924. وانظر: علي: العراق والغزو القره قوينلو، ص41.

(4) النجوم الزاهرة، جـ14، ص100، جـ15، ص45–46. وانظر كذلك: الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، جـ2، ص399، جـ3، ص289، 297. الغياثي: المصدر السابق، ص300–301. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص2. الشوكاني: المصدر السابق، جـ2، ص57.

وكانت بغداد بوصفها مركز الولاية اكثر المدن العراقية تضررا على يد هؤلاء الغزاة، ففي اثناء حصار الشاه محمد لها سنة 813 هـ / 1410م حصد السيف خلقا كثيرا من أهلها[1]، وبعد دخوله فيها خامس محرم سنة 814 هـ / 1411م اجاز لعسكره نهبها ليوم كامل[2] وفي سنة 820 هـ / 1417م صادر سكانها بعد ان استولى على اوقافها[3].

وفي سنة 836 هـ / 1433م قام أسبان بعد طرد الشاه محمد منها بـ "سلب من بها جميع ما بأيديهم، بحيث لم يبق بها من الاسواق سوى حانوتين فقط[4]. وفي سنة 850 هـ / 1446م وقع جهانشاه بعد انتزاع بغداد من امراء أسبان "على كل خيمة من عسكره عشرة رؤوس، فقتلوا مقدار عشرة آلاف وأكثر، وقتل بسبب ذلك من الرعية خلق كثير، وهذه القتلة ما كانت أقل من قتلة تيمور[5]. كما نهبت المدينة ثلاثة ايام[6]. وفي أثناء حصار جهانشاه الثاني لبغداد سنة 869 هـ / 1464م عمت المجاعة سكانها، بعد ان نهب غلتها حاكمها بير بوداق لتموين جنده المحاصرين[7]، وقد وصف لنا السخاوي على لسان شاهد عيان ما أصابها بقوله "وغلت الاسعار بسبب الحصار حتى حكي لي بعض من كان في العسكر ان رأس الغنم بيع بما يوازي مائة دينار مصري، والرطل البغدادي بنحو خمسة عشر دينارا...، وأكلت لحوم البغال والحمر الأهلية ونحوها[8]، وكان عسكر بير بوداق قبل الحصار بأيام قد طال ريف بغداد فـ "نهبوا وأحرقوا وخربوا وساقوا الدواب والأنعام وعبروها الجانب الغربي من بغداد[9]. وبعد اقتحامها سنة 870 هـ / 1465م فعل بها جهانشاه "أفحش مما فعل – بسكانها – اول مرة[10] فنهب البلد وقتل خلقا كثيرا[11]، وعلى حد قول ابي بكر الطهراني فان عملية القتل طالت

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص245.

(2) المصدر نفسه، ص247.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص369.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص896، 991. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص267. مجهول: حوليات دمشقية، ص64.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص286.

(6) المصدر نفسه والصفحة.

(7) المصدر نفسه، ص321.

(8) الضوء اللامع، جـ3، ص2.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص320.

(10) المصدر نفسه، ص325.

(11) المصدر نفسه، ص291، 325. وانظر كذلك: ابن تغري بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص592.

معظم سكان بغداد بحيث "... غدا الذبح والنهب ديدن القوم وسط عويل النساء"[1]. ولم يشذ عن قاعدة القتل آخر حكام بغداد شاه منصور ابن زينل الذي قتل أناسا كثيرين دون ذنب خلال مدة حكمه القصيرة[2].

والواقع ان عمليات النهب والفتك بسكان بغداد لم تنحصر في ايام الحصار والاقتحام، بل كانت تقع احيانا في ظل ظروف طبيعية كما حدث عندما قام بير بوداق سنة 866 هـ / 1462م بمصادرة سكانها و "رمى عليهم الفا وثمانمائة تومان ووقع – بسبب ذلك – ذرب وعقوبة وتعذيب لا يعلمه الا الله"[3] وهناك من يذكر ان بير بوداق فعل ذلك بعد ان انتابه الضجر لفشله في الاحتفاظ بشيراز لذا صب جام غضبه على سكان بغداد[4].

واذا ما انتقلنا إلى باقي المدن العراقية، نجد ان هذه المدن قد اصابها ما أصاب بغداد، فقد تعرضت الحلة سنة 835 هـ / 1432م للمجاعة والموت بفعل حصار أسبان لها فـ"وقع الجوع فيهم حتى أكلوا الكلاب والسنانير وبلغ تغار[5] الحنطة اذ خبز ان ذاك باثني عشر الف دينار، ونفذت الدواب والحمير حتى كاد الناس يأكلون بعضهم بعضا"[6]. وبفعل الصراع بين الشاه محمد وأسبان على بغداد تعرض الكثير من المدن الواقعة شرقي دجلة وشمال بغداد لعمليات التخريب والنهب والقتل والقحط[7]. وعندما عزم أسبان على أخذ اربل سنة 839 هـ / 1436م عمد حاكم هذه المدينة ميرزا علي بن اخ قره يوسف إلى نهب المدينة وتخريبها واجبار اهلها على التحصن بالقلعة، فما كان من أسبان الذي عجز عن أخذها بعد حصار دام أكثر من سنة، الا ان دس السم في آبار القلعة فـ"وقع الموت فيهم وازرقت جلودهم ونتنت أفواههم"[8]،

---

(1) ديار بكرية، جـ2، ص373.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص334.

(3) المصدر نفسه، ص317.

(4) ميرخواند: روضة الصفا، جـ6، ص854، نقلا عن التاريخ الغياثي، الهامش التحقيقي السابع، ص317.

(5) التغار: يساوي حمل دابة وقد حدد عياره منذ بداية القرن الثامن الهجري بـ (100) من تبريزي. انظر: فالتر: المكاييل والاوزان الاسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، ص60.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص263. وانظر كذلك: مجهول: حوليات دمشقية، ص23.

(7) الغياثي: المصدر السابق، 253-254، 267-268.

(8) المصدر نفسه، ص268-269.

وشهدت مدن واسط والحلة والنجف وكربلاء والمدائن وبعقوبة ومهرود القتل والنهب والتجويع بفعل الهجمات والهجمات المضادة للمشعشعين والقره قوينلو[1].

2ـ تشريد السكان:

لم تقتصر الكارثة التي حلت بالعراق على يد حاكم القره قوينلو على عمليات القتل والنهب، بل صاحبتها في كثير من الاحيان عمليات تشريد جماعية للسكان على نحو منظم او غير منظم، وقد أسهب بعض المؤرخين في وصف الحالة التي آلت اليها بعض المدن العراقية بفعل هذا التشريد الذي حدث اثر الصراع بين الشاه محمد وأسبان، فالمقريزي يذكر بخلو أحد جانبي بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك..."[2]، كما انه ينقل لنا على لسان شاهد عيان الحالة التي آلت اليها بغداد سنة 837 هـ / 1434م فيقول ان أسبان فعل افعالا شنيعة فظيعة منها انه "لما اخذ بغداد من أخيه شاه محمد بن قره يوسف أمر بأخراج جميع من بيغداد من الناس بعيالاتهم واخذ كل ما لهم من جليل وحقير، فتشتتوا بنسائهم واولادهم في نواحي الدنيا، وصارت بغداد وليس بها سوى الف رجل من جند أصبهان، لا غير، وليس بها الا ثلاثة أفران تخبز الخبز فقط، ولم يبق بها سكان ولا اسواق[3]. وقد علل ابن تغرى بردى دوافع أسبان في تشريد سكان بغداد عنها كي "لا يبقى لأخيه اسكندر ولا غيره طمع فيها[4].

وفي عهد بير بوداق شهدت بغداد حركة هجرة اجنبية اليها كان القصد منها طمس معالمها العربية باحلال عناصر فارسية محل سكانها العرب، وحدث هذا عندما استقدم بير بوداق سنة 856 هـ / 1452م أكابر أصفهان واسكنهم بغداد، وتكررت الحالة سنة 866 هـ /

---

(1) المصدر نفسه، ص274، 308-311. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص397-399. كسروي: المرجع السابق، ص10-16.

(2) السلوك: جـ4، ق2، ص837، 899، 991.

(3) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص917-918. وقد ذكر هذه الرواية ايضا ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص44-45. والصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص289.

(4) النجوم الزاهرة، جـ15، ص45.

1461م ولكن على نطاق أوسع حيث جمع بير بوداق جماعة عظيمة من اهل شيراز وأسكنهم بغداد[1]، بقصد طمس معالمها العربية ومزاحمة سكانها الاصليين الذي اضطر الكثير منهم إلى الجلاء عنها مرغمين إلى تبريز سنة 869 هـ / 1464م، وفي سنة 873 هـ / 1467م تعرض ريف بغداد إلى اكبر عملية جلاء عندما عمد حسن الطويل بعد فشله اخذ بغداد إلى تهجير سكان قراها "فلم يترك نفسا واحدة رحلهم إلى بلاده ديار بكر، وأسكنهم في تلك الارض ومات منهم خلق كثير"[2].

وشهدت باقي المدن وأريافها عمليات تشريد جماعية، فقد اضطرت بفعل الصراع القره القوينلوي المشعشعي عشرين الف عائلة ان تترك مساكنها في جنوب العراق إلى واسط طلبا للأمان[3]، واضطر سكان معظم القرى الممتدة على نهر دجلة جنوب واسط وحتى البصرة على ترك مواطنهم بفعل حركة جيوش القره قوينلو والمشعشعين على مناطقهم سنة 844 هـ / 1440م و 845 هـ / 1441م و 847 هـ / 1443م[4]، وفي سنة 847 هـ / 1443م، أيضا أجلى أسبان جميع سكان الحويزة مرغمين إلى بغداد فمات في الطريق الكثير منهم جوعا وعطشا[5]. ويفعل هذا الصراع ايضا ترك سنة 857 هـ / 1453م جميع اهل واسط مدينتهم والتجأوا إلى البصرة[6]، وفي ذي العقدة سنة 857 هـ / 1453م وأثر انكسار عسكر القره قوينلو على يد المشعشعين عند النجف جفل اهل الحلة، فتركوا مدينتهم بحيث من "قدر على مركوب ركب

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص307، 317. وانظر: العاني: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان في العراق في عهد القره قوينلو، (بحث غير منشور)، ص7.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص380.

(3) المصدر نفسه، ص374.

(4) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص396–399. كسروي: المرجع السابق، ص10–16.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص275–276.

(6) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص18.

والباقي رجاله، الرجال والنساء والاطفال بحيث هلك منهم خلق كثير بعضهم من التزاحم على العبور من شط الحلة، وبعضهم في الطريق من التعب والجوع والعطش..."[1].

وإذا كانت مدن العراق الجنوبية والوسطى قد عانت ما عانته بسبب الصراع القره قوينلوي المشعشعي نجد ان مدن العراق الشمالية كانت معاناتها على يد القره قوينلو دون غيرهم، فالموصل أصبحت بعد انتزاع أسبان حكمها من الشاه محمد*... يابا، فانه سلب نعم اهلها وأمر بهم، فأخرجوا وتمزقوا في البلاد. واستولى عليها – البدو – فصارت الموصل منازل – البدو – بعد التمدن الذي بلغ الغاية في الترف ... وصار من اهل هذه البلاد إلى الشام ومصر خلائق لا تعد ولا تحصى[2].

وتذكر بعض المصادر المملوكية انه بفعل حدوث خلاف بين أسبان وحاكم هيت اضطر الحاكم مع (600) شخص من اتباعه، وجمع غفير من اهل المدينة إلى الجلاء عنها فارين من أسبان، فلقيهم عرب البادية فاستلبوهم وقتلوا وأسروا اعدادا كبيرة منهم[3].

3ـ انتشار الأمراض والأوبئة:

لاشك ان هناك ارتباطا وثيقا بين المستوى الاقتصادي وانتشار الامراض والأوبئة، فكلما كان ثمة رخاء اقتصادي قلت او انعدمت الامراض والأوبئة، والعكس صحيح، ولما كان العراق في هذه الحقبة قد أصابه تخلف اقتصادي كبير بفعل الفوضى السياسية، وما رافق ذلك من كوارث طبيعية[4]، فان من المنطق ان تنتشر فيه الامراض والأوبئة التي حصدت آلافا

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص308–309.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص918. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص45.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص866. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص231–232. مجهول: حوليات دمشقية، ص26.

(4) عن الكوارث الطبيعية التي أصابت العراق كالزلازل والفيضانات والآفات الزراعية بسبب الجراد وسنوات حدوثها، انظر: ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص470. العمري: منية الأدباء، ص173. غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، دار منشورات المصري، بغداد، 1968م، ص318.

مؤلفة من سكانه بين فترة وأخرى، ولعل أسوء هذه الامراض والأوبئة الفتاكة تمثلت بالطاعون او كما يسمى في أوربا بالموت الأسود[1].

سنة 819 هـ / 1416م داهم هذا المرض العراق[2]، وخلت بعض مدنه كبغداد من سكانها[3]، وفي سنة 828 هـ / 1425م وقع الطاعون في الموصل والجزيرة[4]، وفي سنة 834 هـ / 1431م عم هذا المرض بلاد المشرق حتى ان الموصل فني غالب أهلها[5]، وفي سنة 835 هـ / 1432م ونتيجة للحرب التي وقعت بين اسكندر بن قره يوسف وشاهرخ التيموري فشا هذا المرض في تبريز وامتد إلى بغداد ثم إلى ديار بكر[6]، وفي سنة 838 هـ / 1475م أصيبت به شهر زور واربل وكركوك[7]. وعاود انتشاره في سنة 840 هـ / 1437م ليشمل جميع بلاد ديار بكر[8]، ونتيجة للفيضانات الكبرى التي اجتاحت البصرة سنة 840 هـ / 1437م فتكت بأهلها امراض عدة[9]، اذ كان يموت في اليوم الواحد اكثر من ثلاثمائة نفس[10]. وفي سنة 841 هـ / 1438م وقع وباء عام في العراق وان حاكمها أسبان وعسكره تركها متنقلا حول اطرافها[11]،

---

(1) أشتور: المرجع السابق، ص357.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص42. آل ياسين، الشيخ محمد حسن: لمحات من تاريخ الكاظمية، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م، ص17.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص363. العمري: غاية المرام، ص318.

(4) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص72.

(5) مجهول: حوليات دمشقية، ص6.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص864. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص470، 481. مجهول: حوليات دمشقية، ص13. أشتور: المرجع السابق، ص357.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص1013. العمري: منية الأدباء، ص173.

(8) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص387.

(9) أشتور: المرجع السابق، ص357.

(10) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص98.

(11) الغياثي: المصدر السابق، ص270.

ولم يعد اليها بعد ان فرغ الموت منها[1]. وان حديثة لم يبقى فيها الا سبع أنفس حتى ان حاكمها رحل عنها ولكن المرض لم يتركه فمات في الطريق[2]، وكذلك اصاب الطاعون عانة فـ اجلاها واخلاها بحيث لم يتأخر بها احد[3]. ثم شاع ليشمل ازقاق التركمان وبيوت العربان بنواحي الفرات حتى صار الفريق من العرب او الزوق من التركمان ليس به انسان، ودوابهم مهملة لا راعي لها[4].

وعاد المرض ثانية بعد بضع سنوات ليحصد حوالي عشرين الف عائلة من أطراف واسط[5]. ثم مالبث ان انحصر ليعاود ظهوره في سنة 860 هـ / 1456م ليصيب الموصل[6]، وسنة 874 هـ / 1469م ليصيب بغداد وتكريت وشهر زور واربل والموصل، الا ان قوة تأثيره كانت في بغداد اكثر فقد كان يموت في اليوم الواحد من سكانها زهاء (1500) شخص[7].

والواقع ان هذا المرض الذي وصف اعراضه ابن تغرى بردى[8] لم يكن المرض الوحيد الذي كان يفتك بالسكان، بل كانت هناك امراض اخرى، الا انها أقل تأثيرا منه، ومنها مرض الجدري، وهناك من أشار إلى طرق انتشاره بأساليب علاجه[9]، وممن أصيب به في هذا العهد العالم الفقيه العراقي احمد بن رمضان بن عبد الله الشهاب المولود سنة 808 هـ / 1405م[10].

---

(1) المصدر نفسه والصفحة.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص407.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص1035. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص407.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص274.

(6) العمري: منية الأدباء، ص173.

(7) المصدر نفسه، ص318. أشتور: المرجع السابق، ص357.

(8) انظر: النجوم الزاهرة، جـ10، ص298.

(9) اسماعيل: احمد جودت: تاريخ جودت، ترجمة عن التركية: عبد القادر أفندي، مطبعة جريدة بيروت، 1308 هـ م1، ص260-261.

(10) السخاوي: الضوء اللامع، جـ1، ص302-303.

ومرض القولنج الذي كان حاكم بغداد أسبان مصابا به وتوفي بفعله سنة 848 هـ 1445م[1]. وهذا المرض معد مؤلم يعصر معه خروج الثقل والريح[2]. ومرض حمى الدق التدرن الرئوي او السل والمصاب به تضعف بنيته تدريجيا بفعل الحمى التي تدوم طويلا، ومرض الاستسقاء والمصاب به ينتفخ بطنه ويتمدد، واذا ضرب بخفه سمع منه صوت شبيه بصوت الطبل، وكان هذا المرض يفتك بالسكان[3]، شأنه شأن مرض الكوليرا الذي كان كذلك منتشرا بين السكان، اما الملاريا فيبدو انه كان منتشرا في العراق لكثرة الاهوار والمستنقعات حيث البعوض في هذه المناطق وبوساطته ينتشر المرض[4].

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص279.

(2) الخوارزمي: محمد بن احمد بن يوسف: مفاتيح العلوم، دار النهضة العربية، ص133. البستاني، بطرس: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م، ص763.

(3) علي، علي شاكر: الأوبئة والأمراض في الموصل خلال القرن الخامس عشر الميلادي، بحث مقدم إلى ندوة اطباء الموصل في التاريخ العربي الاسلامي والتي عقدت بتاريخ 5-6 / ايار / 1990م، ص6.

)4 (Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 91.

الفصل الرابع

علاقات القره قوينلو السياسية

أولا : العلاقات السياسية مع الامارات المحلية :

1- مع امارة آل فضل.

2- مع امارة المشعشعين.

ثانيا : العلاقات السياسية الخارجية مع القوى المجاورة للعراق :

1- مع الامارة الآق قوينلوية.

2- مع الدولة المملوكية.

3- مع الامارة الجلائرية.

الفصل الرابع
علاقات القره قوينلو السياسية

أولا: العلاقات السياسية مع الامارات المحلية:

1ـ مع امارة آل فضل:

آل فضل أكبر بطون قبيلة آل ربيعة الطائية القحطانية[1]، كانت منازلهم في حوران من اعمل دمشق[2]. برز دورهم السياسي منذ الربع الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، اثر تولي ربيعة بن حازم بن علي الطائي زعامة الامارة الطائية في بلاد الشام[3]. ومن ربيعة اشتهر مرا بن ربيعة، وفضل بن ربيعة. وبسبب مزاحمة آل مرا لبيت آل فضل على الموارد المحدودة في منطقة استيطانهم، اضطر آل فضل إلى الانتقال من حوران إلى اطراف حمص وحماة[4]، ومنها وسعوا مناطق نفوذهم لتمتد من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة، آخذين على شرقي الفرات وأطراف العراق، حتى ينتهي حدهم قبلة بشرق إلى الوشم، آخذين يسارا إلى البصرة[5].

ومن هذا الامتداد الجغرافي الذي يتحكم بطرق المواصلات التي تربط العراق ببلاد الشام بدأ آل فضل في مقاومة المغول، فقد كانوا قوة الصد الاولى للمماليك امام غارات المغول المتكررة على بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، كما أنهم اشتركوا مع الجيش المملوكي في العمليات التي استهدفت تحرير العراق[6].

واذا كان هذا الدور قد تغيب في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بسبب اتفاقية الصلح بين المغول والمماليك سنة 723 هـ / 1323م وما أعقبها من علاقات حسنة بين المماليك والجلائريين، فانه تجدد في نهاية هذا القرن، اثر تفاقم الصراع بين التيموريين – الذين غزوا العراق سنة 795 هـ / 1392م – والجلائريين والقره قوينلو ودخول المماليك طرفا فيه.

---

(1) ابن خلدون: المصدر السابق، جـ5، ص436. القلقشندي: قلائد الجمان، ص73، 76. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ2، ص226.

(2) ابن تغرى بردى: المصدر نفسه والصفحة.

(3) الحيارى، مصطفى: الامارة الطائية في بلاد الشام، عمان، 1977م، ص61.

(4) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ2، ص226. الحيارى: المرجع السابق، ص62.

(5) القلقشندي: قلائد الجمان، ص76.

(6) الحيارى: المرجع السابق، ص90–91. محمد: العراق في السياسة المملوكية، ص42–43، 85.

وإذا كان آل فضل قد التزموا جانب الجلائريين[1] حلفاء المماليك في هذا الصراع واشتركوا معهم في استرداد بغداد وطرد التيموريين منها سنة 796 هـ / 1313م[2]، فان موقفهم من القره قوينلو لم يتحدد الا بعد انقلاب قره يوسف على حليفه السلطان احمد الجلائري وانتزاع بغداد منه سنة 806 هـ / 1403م الامر الذي دفع آل فضل حلفاء السلطان احمد الجلائري إلى عدم الترحيب بقره يوسف حين هرب من بغداد اليهم بعد انكساره على يد التيموريين سنة 806 هـ / 1403م وتعرضوا له ونهبوا ممتلكاته[3] فما كان من قره يوسف الذي التجأ إلى دمشق، الا ان وافق على الاشتراك مع شيخ المحمودي نائب دمشق – الذي كان قد تمرد على السلطان المملوكي – في الهجوم عليهم سنة 807 هـ / 1404م[4].

توالى الصراع بين القره قوينلو وآل فضل بعد هذه الأحداث، اذ ما لبث قره يوسف بعد ان ثبت ابنه الشاه محمد اقدامه في بغداد سنة 814 هـ / 1411م ان قاد حملة عسكرية كسر بها عسكر امير آل فضل عجل بن نعير وانتزع منه حكم مدينتي عانة[5] وهيت[6].

ولكن آل فضل لم يستسلموا لهذه الخسارة، فقد عوضوها بالسيطرة على حديثة[7]، كما ان اميرهم عذرا بن علي بن نعير مد نفوذه على الحلة، وحصل ذلك اثر خلاف وقع بين عرب ربيعة هناك بسبب خلو المدينة "من حاكم سلطاني وذي شوكة يمنع[8]". وكان تاريخ دخولهم

---

(1) كانت العلاقة بين آل فضل والجلائريين قد تحسنت منذ ان فرض الشيخ حسن الجلائري امر اعراب العراق إلى اميرهم حيار بن مهنا. انظر: العاني: المرجع السابق، ص103.

(2) يذكر ابن الفرات ضمن حوادث سنة 796 هـ ان ابن نعير وصل القاهرة واخبر السلطان المملوكي بان والده الذي كان أميرا لآل فضل قد استرد بغداد من التيموريين. انظر: تاريخ ابن الفرات، جـ9، ق2، ص378. ولما كان باقي المصادر لا يشير إلى هذه الحادثة لذلك يبدو ان ما ذكره ابن الفرات لا يخرج عن نطاق اشتراك نعير مع السلطان احمد الجلائري في استرداد بغداد في هذه السنة، ومما يدعم هذا الرأي ان المقريزي يشير إلى اسهام العربان مع عسكر السلطان احمد في استرداد بغداد، وربما قصد بالعربان آل فضل لان طريق عودته من القاهرة إلى بغداد كانت عبر أراضيهم. انظر: السلوك، جـ3، ق2، ص817.

(3) المقريزي: المصدر نفسه، جـ3، ق2، ص1118. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص301.

(4) المقريزي: المصدر نفسه، جـ3، ق2، ص1173. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص324.

(5) المقريزي: المصدر نفسه، جـ1، ق1، ص181.

(6) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 93.

(7) المقريزي: المصدر نفسه، جـ1، ق1، ص181. سعيد، فرحان احمد: آل ربيعة الطائيون، ط1، الدائر العربية للموسوعات، 1983م، ص159.

(8) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص138.

هو ما حدث فعلا فقد هاجم الحويزة وقض على حامية أسبان فيها[1]، كما كتب إلى غانم بن يحيى حاكم البصرة يحثه على محاربة أسبان من جهته بينما يقوم هو بالاجهاز عليه من جهة أخرى، ولكن أسبان كشف أمر هذه المكاتبة بعد ان كان قد وصل قرية الزكية القريبة من البصرة[2]، فعدل عن خطته في مهاجمة البصرة وقفل عائدا إلى بغداد عن طريق الزكية – مشهد علي 'النجف' بغداد. ويصف الغياثي هذا الطريق بانه صعب وطويل تقل فيه المواد الغذائية والمياه، فوقع بسبب ذلك في عسكر أسبان الجوع والعطش ومات خلق كثير من مهجري الحويزة الذين كانوا معه[3]. ويبدو ان الهدف الذي دفعه إلى اتخاذ هذا الطريق دون غيره من الطرق التي تربط البصرة ببغداد[4] هو التمويه على المشعشعين كي لا يتعرض لغارة مفاجئة منهم، لان هذا الطريق قلما تطرقه القوافل او حركة الجيوش لصعوبته.

ولم يترك المشعشعون أسبان دون تكبيده بعض الخسائر على الرغم من انه نجح في الوصول إلى بغداد في جمادى الآخرة سنة 848 هـ / 1444م[5]، فالمعلومات تشير ان محمد بن فلاح هاجم قوارب التموين التابعة لأسبان، واستولى عليها بعد ان قتل القائمين على حمايتها، كما تتبع من تخلف من عسكر أسبان واجهز عليهم، ولم يكتف بذلك فحسب بل حاصر الحامية القره قوينلوية في قلعة بندوان لمدة ثلاثة أيام، لكنه لم يتمكن من فتحها، فتركها وتوجه نحو مضارب بعض القبائل العربية حول واسط، فدانت له بالولاء قبائل عباده وبنو ليث وبنو خطيط وبنو سعد وبنو أسد[6].

وبعد هذه الاحداث ساد الهدوء جبهة الصراع لانشغال امراء القره قوينلو في الصراع على حكومة بغداد عقب وفاة أسبان سنة 848 هـ / 1444م، وانشغال محمد بن فلاح في تثبيت اقدامه في وسط وجنوب العراق، فدانت له البصرة والرماحية وجهات الجحر والغراف بالولاء

---

(1) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص16.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص276، والهامش التحقيقي الثاني من الصفحة نفسها.

(3) التاريخ الغياثي، ص276.

(4) عن الطرق التي تربط بغداد بالبصرة، انظر: مبحث طرق المواصلات.

(5) اعتمدنا في تحديد الشهر الذي وصل فيه أسبان إلى بغداد على سنة وفاته التي حدثت في ذي العقدة سنة 848 هـ والغياثي يذكر ان أسبان توفي بعد ستة شهور من وصوله اليها، وبما ان وفاته قد حدثت في ذي القعدة فهذا يعني ان وصوله كان في شهر جمادى الآخرة قبل ستة شهور من وفاته. عن تاريخ وفاة أسبان، انظر: التاريخ الغياثي، ص276–277. والهامش التحقيقي التاسع، ص276.

(6) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص16. زبيدي: المرجع السابق، ص12.

فضلا عن توسعاته في منطقة الاحواز[1]، وبعد ان ترسخت اقدامه في هذه المناطق تجرأ محمد بن فلاح من جديد على الهجوم على مناطق نفوذ القره قوينلو في العراق مستغلا فرصة انشغال بير بوداق حاكم بغداد بتثبيت نفوذه في شيراز، فأرسل ابنه المولى عليا على رأس قوة مشعشعية كبيرة إلى واسط فحاصرها بعد ان قطع نخلها، فحلت المجاعة باهلها الامر الذي اضطر حاكمها القره قوينلوي على اخلائها بعد خربها، فاستولى عليها المولى علي وعين عليها حاكما يقال له دراج[2]. ومن واسط هاجم مدينة النجف واستولى على كنوز مشهد الامام علي (ﷺ)[3]، ومنها هاجم مدينة الحلة فانتزعها من حكم القره قوينلوي وذلك سنة 857 هـ 1454م بعد ان كبد العسكر القره قوينلوي الذي كان يقوده دوه بيك وبسطام بيك اللذان هربا إلى بغداد[4]. وبعد ثمانية عشر يوما من الاقامة في الحلة التي نهبت هاجم المولى علي النجف ثانية يوم الاحد 23 ذي القعدة ومدينة كربلاء كذلك فنهب كنوز مشهديها الغرى والحائري بعد ان قتل المقيمين عليهما[5].

وقد اثارت المكاسب التي حققها المولى علي مخاوف بير بوداق الذي كان موجودا في شيراز من ان تسقط بغداد بيد المشعشعين، لذلك ارسل من شيراز قوة من عسكره بقيادة الامير سيدي علي لحماية بغداد، فوصلت القوة في 3 ربيع الأول سنة 858 هـ / 1454م وأعقبها بقوة أخرى وصلت بغداد في 2 جمادى الاولى سنة 859 هـ / 1455م ومنها توجهت قوة بقيادة سيدي علي إلى الحلة فدخلها يوم السبت 18 شعبان سنة 859 هـ / 1455م وعمر قلعتها وسوقها اللذين كان المولى علي قد خربهما[6].

ولم ترهب تعزيزات بير بوداق العسكرية المولى علي الذي قادته جرأته على مهاجمة اطراف بغداد وذلك في 20 جمادى الثانية سنة 860 هـ / 1456م، فنهب وقتل وسبى الذرارى في مهرود وطريق خراسان وبعقوبة والمدائن، فتصدى له عسكر بغداد بقيادة عمر سورغان الذي تمكن المولى علي من قتله وتشتيت عسكره[7].

---

(1) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. الحلو: المرجع السابق، ص159-160.

(2) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص18.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص308. كسروي: المرجع السابق، ص18.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص309.

(5) المصدر نفسه، ص309-310.

(6) المصدر نفسه، ص310-311.

(7) المصدر نفسه، ص311.

أغرت هذه النجاحات المولى علي على ما يبدو بدخول بغداد الا ان تلقيه خبر قدوم عسكر ضخم ارسله جهانشاه بقيادة الامير علي شكر للتصدي له حال دون تحقيق هدفه هذا فانسحب إلى الحويزة[1].

ويلاحظ ان هجمات المشعشعين هذه لم تكن بقصد الاستقرار في المدن التي دخلوها باستثناء واسط التي عينوا حاكما عليها، وانما هدفهم منها كان حركات القره قوينلو من موارد تلك المدن لاضعافهم ومن ثم الاجهاز على قواتهم لان ثورات تلك المدن كانت مسخرة للقره قوينلو، كما ان عدم استقرارهم يرجع ايضا إلى عدم رغبتهم في تشتيت قواتهم لحماية تلك المدن، لانهم كانوا بحاجة إلى قوات كبيرة جاهزة ليس لمواجهة القره قوينلو فحسب بل التيموريين الذين كانت لهم اطماع في الاحواز ولا سيما الحويزة التي كان المشعشعين قد انتزعوها منهم كما سبقت الاشارة إلى ذلك. ومع ذلك نجد ان معظم مدن وسط العراق بقيت خارج النفوذ القره قوينلوي باستثناء الحلة، وهذا يعني من الناحية النظرية بقاء هذه المناطق ضمن دائرة النفوذ المشعشعي. اما مدن جنوب العراق فجميعها دخلت النفوذ المشعشعي بما فيها البصرة.

وجد المولى علي ان الجهد العسكري الذي بذله في العراق لم يضعف كثيرا حكومة بير بوداق التي كانت قد اتخذت من شيراز مقرا لها بدلا من بغداد، لذا أدرك على ما يبدو ان استهداف شيراز والقضاء على قوة بير بوداق فيها سيمهد له السبيل لتحرير العراق، فاستغل فرصة انشغال بير بوداق في صراعه مع ابن عمه الوند فاستهدف شيراز سنة 860 هـ/ 1455م فاستولى على بهبهان[2] وكردستان واكثر توابع شيراز، لكنه لم يتمكن من مواصلة تقدمه نحو شيراز لاصابته بسهم احد الموالين لبير بوداق فلزم الفراش[3]. فارتبك عسكره الذي دخل في معركة مع عسكر بير بوداق بالقرب من بهبهان انتهت بهزيمة المشعشعين الذي لاذوا بالفرار إلى الحويزة وقبض على المولى علي وقطع رأسه وأرسل إلى جهانشاه وذلك سنة 861 هـ/ 1456م[4].

حاول بير بوداق استثمار هذا النصر في انهاء النفوذ المشعشعي في العراق، فأرسل قوة من عسكره بقيادة الامير ناصر بن فرج العبادي الذي انضمت اليه قوات بغداد، فتوجه بها إلى

---

(1) المصدر نفسه والصفحة. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399.

(2) بهبهان: مدينة حديثة أنشئت في النصف الأخير من القرن الثامن الهجري على انقاض مدينة اوجان الواقعة جنوب نهر طاب في اقليم عربستان. لسترنج: المرجع السابق، ص305-306.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص312-313. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. كسروي: المرجع السابق، ص19.

(4) الغياثي: المرجع السابق، ص313-314.

واسط لانتزاعها من المشعشعين، فتصدى له محمد بن فلاح وأباد تلك القوة أواخر سنة 861 هـ / 1456م[1].

توفي محمد بن فلاح سنة 866 هـ / 1461م فخلفه على الامارة ابنه الامير محسن[2] الذي توسع نفوذه ليشمل اطراف بغداد[3]. فأخاف توسعه جهانشاه الذي أرسل في اعقاب انتزاعه بغداد وقتله بير بوداق سنة 870 هـ / 1465م جيشا كبيرا لتقويض النفوذ المشعشعي في العراق واحتلال البصرة[4]. والمصادر لا تسعفنا بمعلومات عن نتائج هذه الحملة، ولكن يبدو انها اخفقت في تحقيق اهدافها بدليل ان المشعشعين استولوا على الحلة بعد حملة جهانشاه مباشرة فبقيت تحت نفوذهم حتى الاحتلال الآق قوينلوي للعراق سنة 874 هـ / 1469م[5].

وبذلك يكون المشعشعين كأقرانهم آل فضل قد اسهموا بدور كبير في تحجيم النفوذ القره قوينلوي في العراق وجعله قاصرا على بعض مدنه، لا سيما بغداد والمدن التي تقع إلى الشمال منها شرقي نهر دجلة.

ثانيا: العلاقات السياسية الخارجية مع القوى المجاورة للعراق:

1ـ مع الامارة الآق قوينلوية:

الآق قوينلو ((ذو الغنم الأبيض)) طائفة من التركمان سميت بالبايندرية لانتسابها إلى بايندر احد أحفاد اوغوز البطل الاسطوري للاتراك كما سبقت الاشارة إلى ذلك في الفصل الأول، دفعها الغزو المغولي إلى الهجرة من تركستان نحو أذربيجان في نفس الوقت الذي اندفع فيه القره قوينلو[6] استقرت أخيرا في ديار بكر العليا[7]، وكانت بداية نشاطهم السياسي على عهد زعيمهم علاء الدين طور علي بيك الذي قدم خدماته للايلخان المغولي غازان

---

(1) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، جـ8، ص280، ص280. الحلو: المرجع السابق، ص160، 166.

(3) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص175.

(4) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص592.

(5) الغياثي: المرجع السابق، ص331-332.

(6) عن أصلهم وهجرتهم، انظر: الفصل الأول، ص22، 25، 26. وانظر كذلك: القرماني: المصدر السابق، ص336.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص372.

اضطربت احوال القره قوينلو بموت قره يوسف سنة 823 هـ / 1420م، واحتلال التيموريين لتبريز[1]، وقره عثمان لماردين وسنجار[2]، فألقى هذا التطور ظلاله على اسكندر خليفة قره يوسف على الزعامة فوجد ان انقاذ امارته يقتضي التصدي لعدو والده قره عثمان وشاهرخ وانتزاع ما استحوذ عليه من مناطق نفوذه، ولتحقيق ذلك تحرك من كركوك التي كان موجودا فيها عند وفاة والده باتجاه الموصل ومنها توجه لملاقاة قره عثمان بعد ان التحق معه ابن عمه زينل بيك حاكم الموصل وميرزا علي حاكم اربل والأمير شمس الدين الذي اصطحب معه ثلاثة آلاف مقاتل كردي، وعند قرية الخاتونية القريبة من سنجار دارت رحى معركة عنيفة بينهما انتهت بهزيمة قره عثمان الذي فر جريحا من ساحة القتال، بعد ان فقد عددا كبيرا من جنده قتلى بينهم عدد من أمرائه[3].

تجرع قره عثمان مرارة الهزيمة منسحبا إلى آمد، لكنه لم يطل المقام فيها، فقد استدعاه شاهرخ ليشاركه في قتال اسكندر، فكان لجهوده دور كبير في هزيمة اسكندر عند اليشكرد قرب تبريز في شهر رجب سنة 824 هـ / 1421م فنال لقاء ذلك تعويضا من شاهرخ بحكم تبريز فأناب عليها ابنه الأكبر علي بيك[4]. ولكن اسكندر قاد من جديد قواته التي كان قد استجمعها[5] من كركوك قاصدا تبريز بعد انسحاب شاهرخ من أذربيجان فما كان من علي بيك الا ان ترك تبريز هاربا إلى ديار بكر لتيقنه من عدم قدرته على مقاومة اسكندر[6].

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 116.

(1) خوافي: المصدر السابق، جـ3، ص242. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص248. الغياثي: المصدر السابق، ص256. خواندمير: المصدر السابق، م3، ص607-608.

(2) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 118-119.

(3)A. n. e, 1, cilt, ss, 118-119.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص610.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 120, 124.

(5) كان اسكندر قد اتخذ كركوك كمركز لتجمع قواته بعد هزيمته في اليشكرد، عن ذلك انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص138. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص64.

(6)Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 124.

اما اسكندر فقد أمعن بعد دخوله تبريز في قتل جميع أمراء القره قوينلو الـذين كـانوا قـد اعلنوا تبعيتهم لشاهرخ بعد هزيمته في اليشكرد فكان قتله لهم عملا غير مسوغ لأنه حـرم نفسه من قوتهم التي كان بالامكان تسخيرها ضد اعدائه[1].

اتسم موقف اسكندر بالضعف بعد هذا الاجراء وزاد الأمـر سـوءا تـردي علاقته مع اخوته، فالشاه محمد حاكم بغداد قد دفعته نزعته الاستقلالية إلى قطـع علاقتـه معـه[2]، كـما ان أسبان الذي قاتل إلى جانب اسكندر في اليشكرد[3] تمرد عليه فيما بعد رغبة بالزعامة[4] التي كان جهانشاه وأبو سعيد يطمحان اليها ايضا، لذلك التحقا بشاهرخ الذي كان قـد وعـدهما بحكـم أذربيجان بعد طرد اسكندر منها[5].

ولهذا اصبح اسكندر في موقف لا يحسد عليه، على الرغم من ان بعـض المـؤرخين قـد وصفوه بالشجاع[6]، وربما جاء هذا الوصف من اقتداره عـلى ادارة الـصراع مـع التيمـوريين

---

(1) يذكر صاحب تاريخ قطب شاه وفاروق سومر ان عمليات القتل قد طالت اعدادا كبيرة من الامراء الذين اعدهم قسما منهم في اربل، كما قتل حليفه القديم الامير شمس الدين حاكم بدليس الذي كان قد اضطر إلى اعلان ولائه لشاهرخ بعد اجتياز هذا لأذربيجان، وقد فصل البدليسي الكلام على حادثة مقتل الامير شمس الدين. عن هذه المعلومات، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

Kara Koyunlular, 1, cilt, ss, 126-127.

والشرفنامه، جـ1، ص394-395.

(2)Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 130.

ويشير صاحب تاريخ قطب شاه إلى امتناع شاه محمد عن تقديم اية مساعدة لاسكندر ضد اعدائـه، عـن ذلك، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

(3) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص610.

(4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 130.

(5) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص710. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151-152. مينورسـكي: تاريخ تبريز، ترجمه إلى الفارسية: عبد العلي كارنك، تهران، 1337، ص38.

(6) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ2، ص374. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

الفصل السادس

الإدارة والجيش

أولا: الإدارة:

1- التقسيمات الإدارية

2- طرق الإدارة وأساليبها

3- الجهاز الحكومي

ثانيا: الجيش

والآق قوينلو وحلفائهما[1] استغرق زهاء ثمانية عشر عاما حقق في السنوات الاولى منها انتصارات مهمة لا سيما في المدة التي دامت بين (825 – 830 هـ / 1423 – 1427م) وفيها استعاد جميع المناطق التي كان التيموريون والآق قوينلو قد انتزعوها منه في أذربيجان وشرق الأناضول[2] ولكن اعداءه الذين لم تكن تنقصهم القوة ما لبثوا ان الحقوا به هزيمة قاسية في سنة 832 هـ / 1429م التي استرد فيها شاهرخ تبريز باعانة قره عثمان[3].

ويلاحظ ان قره عثمان لم يحقق مكاسب اقليمية تذكر من تحالفه مع التيموريين ضد اسكندر على الرغم من مشاركته معهم في العمليات العسكرية التي استهدفت اسكندر في سنوات 833 هـ / 1430م[4] و 834 هـ / 1431م[5] و 838 هـ / 1435م و 839 هـ / 1436م[6]، فقد بقي شرق الأناضول الذي كان يطمح قره عثمان إلى ضمه لامارته تابعا للقره قوينلو[7]، ويعزى ذلك إلى ان التيموريين كانوا بعد كل انتصار يحققونه على اسكندر يسحبون قواتهم من شرق الأناضول إلى مناطق نفوذهم السابقة دون ان يبقوا قوات مساندة لقره عثمان الذي كانت توكل اليه مهمة الدفاع عن المناطق المنتزعة من اسكندر[8]، فكان هذا سرعان ما يسترجعها بقوته الذاتية او بمساعدة من المماليك، فقد كانوا يشكلون ورقة ضغط سياسي وعسكري على الآق قوينلو منطلقين من ان أي خلل في توازن القوى المحيطة ببلادهم الشمالية الشرقية يشكل عنصر تهديد لبلادهم. وعلى هذا الأساس يمكن ان نفسر الحملات الثلاث التي

---

(1) من حلفاء التيموريين والآق قوينلو الذين قاتلوا اسكندر الامير شرف الدين حاكم شريفان والامير عز الدين شير حاكم كردستان، وكان هذا قد قاتل اسكندر سنة 832 هـ بجيش قوامه (20.000) مقاتل. وللتفاصيل عن صراع اسكندر مع هذه القوى، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 63.

(2) منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص152. الرازي: المرجع السابق، ص674-675.

Savory: op. cit, p. 41. Uzuncarsili: Anadolu, s, 183.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص811. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص196-698. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249. مينورسكي: تاريخ تبريز، ص38.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص836-837. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص348.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص461.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص946، 956، 960. الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، جـ3، ص329.

(7) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 124, 126. Savory: op. cit, p. 41.

(8)Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 124.

وجهها المماليك إلى مراكز نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر وشرق الأناضول في سنوات 832 هـ / 1429م و 836 هـ / 1433 و 839 هـ / 1436م[1] مع اعداد اربع حملات اخرى بين سنتي 833 هـ / 1430م – 835 هـ / 1432م لكنها لم تنفذ[2]، كل ذلك لتحجيم المكاسب التي حققها قره عثمان على حساب اسكندر، فقد كان قره عثمان يضطر إلى سحب قواته من أذربيجان وشرق الأناضول إلى ديار بكر لمواجهة المماليك، وهذا ما كان يسهل لاسكندر استعادة مناطق نفوذه السابقة بسهولة.

وقد تحسنت العلاقة بين اسكندر وشقيقه أسبان حاكم بغداد، بعد ادراك أسبان ان مطامع قره عثمان لا تقتصر على مناطق نفوذ اسكندر فحسب، بل تتجه انظاره نحو مناطق نفوذه في شمال العراق، لا سيما بعد الدعم العسكري الذي قدمه قره عثمان لحركة التمرد التي قادها توشمال زينل[3] حاكم الموصل ضد أسبان سنة 838 هـ / 1345م فقد أرسل قره عثمان لتوشمال ابنه محمود مع مائتي فارس، ثم عزز هذه القوة بقوة أخرى بلغت الف فارس بقيادة ابنه الآخر محمد بيك الذي وصل الموصل واقام بها مدة[4]. ولكن توشمال انقلب على هذه القوات على ما يبدو وجلاها عن الموصل خوفا من ان تستحوذ عليها.

وفيما يتعلق بأسبان نجد انه قد شارك اسكندر في التصدي لشاهرخ سنة 838 هـ / 1435م ولكن هذه المشاركة لم تحقق نتائج ايجابية على صعيد الصراع القره قوينلوي التيموري اذ اندحرت قواتهما امام شاهرخ[5]. ولكن نتائجها من ناحية اخرى كانت وخيمة على الآق قوينلو دفع قره عثمان حياته ثمنا لها، وحدث ذلك عندما أمر شاهرخ قره عثمان بالتصدي لقوات اسكندر وأسبان المندحرة في تبريز والمنسحبة إلى العراق عن طريق شرق الأناضول،

---

(1) للتفاصيل عن هذه الحملات، انظر: ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ3، ص271-272.

(2) عن اعداد هذه الحملات وسبب الغائها، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص381، 850، 853، 867. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص458-459، 473. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص345، 354-355، 357-359، 368.

(3) توشمال زينل: هكذا وردت التسمية لدى الغياثي: التاريخ الغياثي، ص269. والمقريزي يذكره باسم زينال، انظر: السلوك، جـ4، ق2، ص945. والصيرفي يذكره باسم ديال، انظر: مزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص317.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص945-946. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص548. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص317.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص962. مجهول: حوليات دمشقية، ص55. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص336.

وقرب مدينة أرض روم حدثت المواجهة العسكرية، وانتهت بمقتل قره عثمان على يد اسكندر في صفر سنة 839 هـ / 1435م وارسل اسكندر رأس قره عثمان إلى القاهرة للدلالة على تمكنه من عدوه التقليدي، وليشفى غل السلطان المملوكي الذي كان قره عثمان على عداء معه[1].

ومع تولي جهانشاه زعامة القره قوينلو في أذربيجان بعد طرد اسكندر من تبريز سنة 839 هـ / 1436م[2]، وترسخ هذه الزعامة بعد ان أطيح برأس اسكندر الذي كان طريدا على يد ابنه شاه قباذ بتدبير من جهانشاه وشاهرخ في سنة 841 هـ / 1438م[3] بدأت صفحة جديدة من العلاقات بين جهانشاه والسلطان حمزة بن قره عثمان الحاكم الآق قوينلوي الجديد (839 – 848 هـ / 1436 – 1448م) اتسمت بالودية لتبعية الاثنين لشاهرخ، وقد عارض أسبان حاكم بغداد هذا التحسن فلم يقر بزعامة أخيه جهانشاه[4]، وللدلالة على هذه المعارضة شن غارة على اطراف ماردين التابعة للآق قوينلو، فتصدى له السلطان حمزة في 5 ذي الحجة سنة 840 هـ / 1436م وألحق به الهزيمة واستولى على اثقاله وأسر رجاله ونساء عسكره في الوقت الذي نجا فيه أسبان بنفسه هاربا إلى سنجار ومنها إلى الموصل[5].

مكث أسبان سنة في بغداد يتجهز على حد قول الغياثي لأخذ ثاره من الآق قوينلو[6]، وبعد ان أكمل استعداداته توجه إلى حدود ماردين، فصادف جماعة من الآق قوينلو يقال لهم: دبانلو، يرعون مواشيهم، فقتلهم جميعا ونهب مواشيهم ونساءهم ورجع إلى بغداد عن طريق اربل[7]، ولكنه لم يكتف بهذا العمل بل وجه في حدود سنة 848 هـ / 1444م ابن اخيه الوند للتعرض لمناطق نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر، فضلا عن مدينة أرزنجان التابعة لجهانشاه،

---

(1) المقريزي، المصدر السابق، جـ4، ق2، ص956، 963، 984. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص329. عاشق باشا زاده: تواريخ آل عثمان، استنبول، 1332هـ ص246-247. الظاهري: غرس الدين خليل بن شاهين: كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية، باريس، 1894م، ص137.

(2) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص626.

(3) المصدر نفسه، م3، ص627. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 64.

(4)Romer: op. cit, Vol. 6. p. 163.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص1010. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص385. الغياثي: المصدر السابق، ص271-272.

(6) التاريخ الغياثي، ص273.

(7) المصدر نفسه والصفحة.

ولكن جهانشاه تصدى له، فاضطر إلى الانسحاب إلى ديار بكر[1]، وهناك من يذكر ان ديار بكر في ذلك الوقت كانت تحت تصرف الوند[2].

وقد شهدت المنطقة بعد هذا التاريخ انعطافا جديدا غير من مسار العلاقات بين جهانشاه والآق قوينلو، وتمثل بتمكن جهانشاه من احتلال بغداد سنة 850 هـ / 1446م عقب وفاة أسبان سنة 848 هـ / 1444م وبذلك امتدت سلطته على جميع مناطق نفوذ القره قوينلو والأهم من ذلك وفاة شاهرخ التيموري سنة 850 هـ / 1446م وهذه الوفاة حررت جهانشاه من التبعية للتيموريين وأفسحت له المجال للاستحواذ على املاكهم مستغلا حالة الصراع التي نشبت بين اولاد شاهرخ واحفاده على السلطة[3] فتمكن جهانشاه من انتزاع بلاد فارس وكرمان[4]، ومنها وجه انظاره صوب الآق قوينلو حلفاء الامس وتمكن من الاستحواذ على بعض مناطق نفوذهم شرقي الأناضول[5]، كما انه دعم تمرد الشيخ حسن على ابن اخيه جهانكير بن علي الذي كان قد تولى زعامة الآق قوينلو بعد وفاة السلطان حمزة سنة 848 هـ / 1444م ولكن هذا الدعم لم يأت بنتيجة ايجابية لتمكن حسن بن علي المشهور بالطويل أخي جهانكير من دحر الشيخ حسن وقتله سنة 855 هـ / 1451م[6].

ومع هذا الفشل فقد خدم الظرف السياسي الداخلي للآق قوينلو جهانشاه بنشوب صراع بين الاخوين على الزعامة أخذت كفته تميل لصالح حسن الطويل[7]، فاستغل جهانشاه حالة الضعف التي أصابت جهانكير فلم يكتف بقبول عرض جهانكير بتزويج بنته من ابنه محمدي لقاء مساعدته[8] فحسب بل طالبه باعلان تبعيته له لا سيما بعد ان حقق جهانشاه مكاسب عسكرية أثر انتزاعه ماردين دون قلعتها ومحاصرته آمد سنة 856 هـ / 1452م[9].

---

(1)I. A/ Ak Koyunlular, Maddesi, 2, cilt, 272.

(2) غفاري: تاريخ جهان أرا، ص249.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(3) عن صراع اولاد واحفاد شاهرخ على السلطة، انظر: فامبري: المرجع السابق، ص269-273.

(4)Uzuncarsili: Anadolu, s, 183. Savory: op. cit, pp. 45-46.

(5) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص95، 103.

(6)Hinz: A. g. e, s, 24. Romer: op. cit, Vol. 6. p. 169.

(7)Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(8) منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص156-157. علي: دولة الآق قوينلو، ص5.

(9) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص99، 127. المنهل الصافي، جـ3، ص509. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص81.

اضطر جهانكير للرضوخ لمطالب جهانشاه[1] لان جميع مناطق نفوذه السابقة كانت قد انتزعت منه من قبل حسن الطويل وجهانشاه[2]، ولقاء هذه التبعية منحه جهانشاه حكم ماردين[3]. أما آمد فانها سقطت بيد حسن الطويل[4] بعد ان اضطر جهانشاه إلى فك الحصار عنها والانسحاب منها سنة 856 هـ / 1452م لمواجهة تحركات بابور بن باي سنقر بن شاهرخ نحو بلاده[5].

ويهدف استرجاع ما استولى عليه حسن الطويل من مناطق نفوذه السابقة، دعا جهانكير جهانشاه إلى ان يمده بعسكر، فوجد جهانشاه في هذه الدعوة فرصة يمكن ان تحقق له طموحه في التوسع في ديار بكر وتحجيم نفوذ حسن الطويل الذي تجاوز طموحه حدود الزعامة على الآق قوينلو إلى التوسع على حساب القره قوينلو لا سيما بعد ضمه حصن كيفا التابعة لجهانشاه[6].

وعلى هذا الأساس ارسل جهانشاه جيشا كبيرا بقيادة الأمير رستم ترخان وعلي شكر اللذين دخلا في معركة مع حسن الطويل اسفرت عن هزيمتهما وأسر عدد من امراء جهانشاه سنة 862 هـ / 1457م[7]، وهناك من يذكر ان سبب الهزيمة يرجع إلى انحياز جهانكير إلى جانب اخيه حسن الطويل عندما وقعت المعركة[8]. ولكن منجم باشي لا يؤيد ذلك فهو يشير إلى ان حسن الطويل بعد كسره عسكر جهانشاه ذهب إلى ماردين وحاصر جهانكير فيها، فخرجت والدته وطلبت له العفو من ابنها حسن الطويل، فاستجاب لها وحدث الصلح بين الشقيقين واتفق فيه علي ان تكون ماردين لجهانكير وباقي الامارة والعساكر لحسن الطويل[9].

فتر الصراع بين القره قوينلو والآق قوينلو، فلم تسجل لنا المصادر التي في حوزتنا أية مجابهة حتى معركة موش سنة 872 هـ / 1468م ويمكن ان نعزو هذا الفتور إلى التحول في

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص376.

(2) ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ3، ص509. الغياثي: المصدر السابق، ص376.

Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص376.

(4)Hinz: A. g. e, s, 24-25.

(5) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ2، ص127. السخاوي: التبر، ص384.

(6)I.A / Ak Koyunlular, Madisi, 2, cilt, s, 272.

(7) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ16، ص108. الغياثي: المصدر السابق، ص377.

(8) الغياثي: المصدر نفسه، ص377.

(9) صحائف الاخبار، م3، ص159. وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق، هامش المحقق رقم (7)، ص377.

(ستراتيجية) الطرفين التوسعية، ذلك ان جهانشاه وجه جهده العسكري نحو الشرق والجنوب الشرقي من امارته وبالتحديد نحو خراسان ومناطق نفوذ التيموريين في ايران، ونتج عن هذا التوجه احتلاله هراة عاصمة التيموريين سنة 862 هـ / 1458م[1]، الا ان تمرد ولديه حسن علي وبير بوداق اضطره إلى الانسحاب[2]، لينشغل باقي السنوات في تثبيت اركان حكمه في أذربيجان وايران والعراق. أما حسن الطويل فان اهتماماته العسكرية اتجهت غربا من اجل الوصول إلى البحر المتوسط، لذلك تحالف مع البنادقة ومع امامة طرابزون المسيحية وصاهر اخا حاكمها داؤد سنة 863 هـ / 1459م[3] كما حسن علاقته مع المماليك[4] المناهضين للعثمانيين[5]، فسهلت له تحالفاته هذه تحقيق مكاسب اقليمية واسعة في آسيا الصغرى حتى وصلت توسعاته إلى مدينة قونية[6] في جنوب غرب الأناضول سنة 869 هـ / 1465م ولم يتمكن العثمانيون وقف تلك التوسعات الا ان جهانشاه أفسد استمراره في التوسع بتوجيه قواته نحو امارة الآق قوينلو بعد ان كان قد فرغ من تمرد ابنه بير بوداق حاكم بغداد سنة 870 هـ / 1466م. وهذا ما سنفصل الحديث عنه لاحقا في كلامنا عن معركة موش.

---

(1) عن توسعات جهانشاه واحتلاله هرأة، انظر:

Savory: op. cit, pp. 47-48.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص289-291 والهامش التحقيقي التاسع، ص289. وانظر كذلك: منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص152.

(3) الجواهري: المرجع السابق، ص31. مينورسكي: مادة اوزن حسن: دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، م3، ص141.

Romer: op. cit, Vol. 6, p. 169.

(4) حدث هذا التحسن أثر ارسال حسن الطويل بعثة إلى القاهرة اواخر سنة 863 هـ ومعها مفاتيح ست قلاع كان قد سيطر عليها من بلاد الكرج. السخاوي: الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق: احمد الحسو، وهي اطروحة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م، ص110. كما اعلن نفسه بانه من مماليك السلطان. انظر: ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص486-487.

(5) ازداد تخوف المماليك من العثمانيين اثر تنامي قوة هؤلاء بعد تمكنهم من فتح القسطنطينية سنة 857 هـ عن فتح القسطنطينية، انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ16، ص70.

(6) وللتفاصيل عن توسعات حسن الطويل والمدن التي سيطر عليها بما فيها قونية، انظر: ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص486-487. مينورسكي، مادة اوزن حسن: دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية)، م3، ص141. الزهيري: العلاقات السياسية المملوكية، ص186.

2_ مع الدولة المملوكية:

سبقت الاشارة إلى ان العلاقات القره قوينلوية التيمورية الآق قوينلوية اتصفت بالعدائية بحكم تعارض المصالح والأهداف. كما ان العلاقات القره قوينلوية الجلائرية كانت غير مستقرة بسبب اطماع كل طرف من الطرفين باملاك الآخر على الرغم من تعاونهما في مواجهة الغزو التيموري. لذا كان القره قوينلو بحاجة إلى قوة سياسية أخرى في المنطقة يحتمون بها امام تحركات القوى المذكورة، ويستعينون بها في التوسع. وقد كانت دولة المماليك الثانية – المعروفة بدولة المماليك الجراسكة نسبة إلى السلطان برقوق الجركسي – والتي بدأت باعتلاء برقوق العرش في رمضان سنة 784 هـ / 1382م[1] القوة السياسية التي وجد القره قوينلو فيها القدرة على تحقيق اهدافهم المشار اليها آنفا.

وفي المقابل كان المماليك بحاجة إلى قوة سياسية في المنطقة الشمالية الشرقية من بلادهم يمكن الاعتماد عليها لمواجهة احتمال غزو تيمورلنك لبلاد الشام. ولما كان الآق قوينلو بحكم تحالفهم المبكر مع التيموريين لا يمكن الاعتماد عليهم، فضلا عن رغباتهم في التوسع في جهات ديار بكر الجنوبية الغربية، واحتمال تهديد لمناطق المماليك في هذه الديار كان امر اقامة المماليك علاقات مع القره قوينلو اعداء التيموريين والآق قوينلو أمرا طبيعيا من قبلهم لاسيما ان هذه العلاقات لن تقتصر اهميتها لدى المماليك على الجانب السياسي والعسكري بل تمتد إلى الجانب الاقتصادي، لأن الرقعة الجغرافية لامارة القره قوينلو – سواء في حدودها الضيقة التي كانت مقتصرة عند بداية تشكيل الامارة على المنطقة الممتدة من بحيرة وان إلى الموصل، او في حدودها المتسعة التي شملت كلا من العراق واقليم بلاد الجبل وأذربيجان وفارس وكرمان إلى سواحل خليج عمان وتخوم بلاد الروم والشام – تعد منطقة حيوية لتجارة بلاد الشام.

وفي ضوء هذه الصورة تشكلت العلاقات القره قوينلوية المملوكية التي ابتدأت بارسال قره محمد سفارة إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق سنة 785 هـ / 1383م يعلن فيها دخوله في طاعته بجعل الخطبة والسكة باسمه فرحب السلطان بذلك[2].

ولاشك ان اعلان قره محمد تبعيته المبكرة للمماليك كان بهدف التحصن بهذه القوى امام الزحف التيموري المحتل لبلاده[3]. وقد أوضحت السفارة الثانية التي ارسلت إلى القاهرة في

---

(1) للتفاصيل عن قيام الدولة المملوكية الثانية باستيلاء برقوق على السلطنة، انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص346–348. طرخان، ابراهيم علي: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م، ص1–7.

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص115. حسين: المرجع السابق، ص219.

(3) عن بدايات الزحف التيموري لبلاد ايران، انظر: حسين: المرجع نفسه، ص68–71.

شوال سنة 787 هـ / 1385م وعلى رأسها مصر خواجه عم قره محمد الهدف نفسه، فقد اكد السفير تبعية قومه للمماليك ملتمسا من السلطان المملوكي قبول انتمائهم إلى دولته، ومبادرته بعبور الشام[1] في حال مداهمة التيموريين لهم فأجابه السلطان إلى ذلك[2].

والواقع ان توافق المصالح بين المماليك والقره قوينلو في التصدي للتيموريين هو الذي دفع السلطان المملوكي الظاهر برقوق إلى عقد مجلس شورى حضره الخليفة والقضاة والأمراء، عرض فيه رغبته بارسال حملة عسكرية لحماية حدوده الشمالية الشرقية[3]، واسناد قره محمد الذي كانت قواته قد تراجعت إلى ملطية بعد ما تكبدت هزائم على يد التيموريين سنة 789 هـ / 1387م[4].

ومع ان الحملة المملوكية التي كانت قد أعدت لذلك قد توقفت ببلاد الشام لانتفاء الحاجة اليها[5]، باستعادة القره قوينلو لمناطق نفوذهم السابقة واحتلالهم تبريز سنة 790 هـ / 1388م[6] فان قره محمد اكد من جديد تبعيته للمماليك فارسل سفارة إلى القاهرة في ذي القعدة سنة 790 هـ / 1388م يطلب فيها من السلطان الظاهر التقليد بحكم تبريز نائبا عنه، فاستجاب له السلطان وكتب له بالشكر والثناء[7]. ويبدو ان الطلب القره قوينلوي الاخير كان بهدف الحصول على دعم مملوكي لمواجهة التحرك العسكري الجلائري لاستعادة تبريز[8] لأن تبريز كانت جلائرية قبل الاحتلال التيموري لها.

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص536.

(2) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص301.

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ11، ص247. ابن اياس: المصدر السابق، جـ1، ص267.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص563. ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص335. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ11، ص247. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ1، ص154.

(5) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ11، ص247. ابن اياس: المصدر السابق، جت1، ص267.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص107.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص585. ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص349–350. العيني: تاريخ البدر، ورقة 128.

(8) عن التحركات الجلائرية لاستعادة تبريز، انظر:

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qtub Shahs, p. 55.

ومع ان قره محمد قد اجهض التحركات العسكرية الجلائرية[1]، الا ان حاجته للمماليك بقيت قائمة، لاسيما بعد حركة التمرد التي قادها قره حسن ضد زعامته للقره قوينلو[2]، لذلك أرسل سنة 791 هـ / 1388م سفارة إلى القاهرة يعلن فيها:

أولا: وقوفه إلى جانب السلطان الظاهر برقوق ضد تمرد النائب المملوكي يلبغا الناصري[3].

ثانيا: اطلاع السلطان على الموقف الذي وصل اليه الصراع مع قره حسن.

ثالثا: الرغبة في الحصول على مساندة السلطان له في القضاء على تمرد قره حسن، وعلى ما يبدو فان السلطان الظاهر برقوق كان على استعداد لتقديم المساندة لقره محمد بسبب تجاوز قره حسن حدود بلاده الشمالية الشرقية ودخوله بلاد الشام[4]، واحتمال تحالفه مع يلبغا الناصري ضده، ولكن تسارع الاحداث ومقتل قره محمد على يد قره حسن في سنة 791 هـ / 1388م وانسحاب قره حسن من بلاد الشام، ووقوع المصالحة بينه وبين قره يوسف الزعيم القره قوينلوي الجديد[5] ادى إلى انتفاء الحاجة إلى تقديم المساندة.

وقد واصل قره يوسف سياسة سلفه قره محمد في تعزيز علاقته مع المماليك بتسليمه أطلمش التيموري للمماليك، وكان قد قبض عليه في أثناء غارة قره قوينلوية على الرها سنة 798 هـ / 1396م[6] وأرسله أسيرا مع سفارة إلى القاهرة في 18 صفر سنة 798 هـ / 1396م فاعتقل هناك[7].

قابل السلطان الظاهر هذا الفعل بأن منح قره يوسف تقليدا بحكم الرها[8]، كما قدم له تسهيلات عسكرية بالسماح له بدخول بلاد الشام لينطلق منها في عملية طرد التيموريين الذين

---

(1) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 52.

(2) عن حركة التمرد هذه انظر: مبحث الصراع الأسري على الزعامة ضمن الفصل الأول.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص598. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ1، ص191.

(4) الرازي: المرجع السابق، م3، ص674.

Uzuncarsili: Anadolu, s, 180.

(5) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 53. I. A / Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 296.

(6) ابن اياس: المصدر السابق، جـ1، ص306.

(7) ابن الفرات: المصدر السابق، م9، جـ2، ص430. المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص851.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص965.

كانوا قد احتلوا الموصل سنة 799 هـ / 1397م[1]، وبفعل هذه التسهيلات استعاد قره يوسف الموصل سنة 800 هـ / 1399م[2].

ولكن العلاقات القره قوينلوية المملوكية قد تأزمت مع بداية عهد السلطان المملوكي الجديد الناصر فرج (801 – 815 هـ / 1399 – 1412م) على الرغم من ان هذا السلطان قد جدد نيابة الرها لقره يوسف[3]، لكنه لم يتصرف بما ينسجم والتحالف ما بين الطرفين من تحالف برفضه دخول قره يوسف مع السلطان احمد الجلائري بلاده اثر هروبهما من تيمورلنك، وتصديه لهما بشخص نائبه على حلب عند الساجور قرب حلب في 24 شوال سنة 802 هـ / 1399م فدارت هناك معركة انتهت بهزيمة عسكر حلب ومقتل النائب المملوكي فيها مع عدد من الامراء[4]. وانسحاب قره يوسف والسلطان احمد من الساجور ودخولهما بلاد السلطان العثماني بايزيد يلدرم[5].

ويلاحظ ان سياسة الناصر فرج تجاه قره يوسف وحليفه السلطان احمد الجلائري قد حرمت المماليك الاستفادة من قوتهما لاسيما قوة قره يوسف العسكرية التي قدرت في بعض المصادر بـ (20.000) مقاتل[6]، وهي قوة كان بالامكان الاستفادة منها في التصدي للقوات التيمورية التي غزت بلاد الشام وأحلت الكارثة فيها سنة 803 هـ / 1401م[7].

وبعد فوات الأوان عدل الناصر في موقفه من قره يوسف وكتب له في ذي الحجة سنة 804 هـ / 1401م بانه سيمنحه تقليدا بأي مكان يأوى اليه وأرسل اليه الهدايا والى اخوته وحاشيته[8]. ولكن الانتصار الساحق الذي حققه تيمور على السلطان العثماني بايزيد يلدرم سنة 805 هـ / 1402م وتغير لهجة تيمور بعد هذا الانتصار من الدعوة إلى السلم واصلاح ذات البين بهدف تحيد الناصر فرج عن نصرة العثمانيين إلى الوعد والوعيد في حالة اقامته

(1) ابن حجر: انباء الغمر، جـ1، ص523.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص28.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص965.

(4) المصدر نفسه، جـ3، ق2، ص1013–1014، 1021. ابن حجر: انباء الغمر، جـ2، ص108–109. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص215–216. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص60–61.

(5) الصيرفي: المصدر نفسه، جـ2، ص61.

Kafes Oglu: A. g. e, s, 883.

(6) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص60–61.

(7) عن الغزو التيموري لبلاد الشام، انظر: حسين: المرجع السابق، ص269–309.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص1088.

تحالفا مع قره يوسف[1]، كل ذلك دفع الناصر فرج إلى التراجع عن موقفه تجاه قره يوسف فأصدر مرسوما لنائبه في دمشق في جمادى الآخرى سنة 806 هـ / 1404م بالقاء القبض على قره يوسف الذي كان قد التجأ إلى دمشق هاربا من بغداد[2]، وأعقبه بمرسوم آخر بقتله وارسال رأسه إلى تيمور استجابة لطلب تيمور نفسه[3]. ولكن شاءت الظروف الا يستجيب نائب دمشق شيخ المحمودي لهذا المرسوم لتمرده على السلطان وتحالفه مع قره يوسف[4].

وقد ساد الجمود العلاقات القره قوينلوية المملوكية بعد فشل تمرد الشيخ المحمودي وعودة قره يوسف إلى بلاده سنة 807 هـ / 1405م[5] ولا يوجد هناك ما يشير إلى حدوث أي اتصال او تقارب بينهما حتى سنة 818 هـ / 1415م على الرغم من ان الظرف السياسي اصبح مؤاتيا للتقارب لاسيما بعد تقلد شيخ المحمودي سلطنة المماليك سنة 815 هـ / 1412م[6].

ولعل الأسباب التي أخرت التقارب تمثلت أولا بقبول قره يوسف وفادة عدد من الأمراء المعارضين لسلطنة شيخ المحمودي[7] الذي تلقب بالسلطان المؤيد شيخ المحمودي[8]. وثانيا بتوقيع قره يوسف اتفاقية صلح مع شاهرخ في ذي الحجة سنة 818 هـ / 1415م وهي اتفاقية لم يرحب بها السلطان المملوكي[9] خوفا من ان تسخر ضد بلاده.

---

(1) حسين: المرجع السابق، ص326–327، 332.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص1118–1120. ابن حجر: انباء الغمر، جـ2، ص264. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص302. المنهل الصافي، جـ4، ص317.

(3) Howorth: op. cit, Vol. 3, p. 674. I. A. / Koyunlular Madisi, 6, cilt, s, 298.

(4) عن تمرد شيخ المحمودي وتحالفه مع قره يوسف، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص1143–1144، 1148، 1153–1154، 1159، 1162–1165. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ12، ص314، 316، 319، 321.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ3، ق2، ص1164–1165، 1173. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص230.

(6) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص1.

(7) من هؤلاء الامراء: جانبك الحمزاوي ويشبك وعنهما، ينظر: ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ4، ص222–223. النجوم الزاهرة، جـ14، ص64.

(8) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص1.

(9) المصدر نفسه، جـ14، ص25.

وقد بادر قره يوسف اثر انهيار اتفاقية الصلح[1] واحتلال شاهرخ مدينتي قزوين والسلطانية القره قوينلويتين[2] إلى الاتصال بالمماليك لاعادة التحالف معهم، ويبدو ان المماليك كانوا على استعداد لاعادة هذا التحالف لتأكيد نفوذهم على القره قوينلو ولهذا رحب السلطان المملوكي بمبعوثي قره يوسف الذين وصلوا القاهرة سنة 818 هـ / 1415م[3] وسنة 819 هـ / 1416م[4]، فأرسل مع دكز قاصد السفارة الثانية رسولا عنه يحمل جوابا وهدية لقره يوسف[5]. كما رحب في جمادى الاولى سنة 820 هـ / 1417م بقاصد الشاه محمد حاكم بغداد وبير عمر نائب قره يوسف على أرزنجان القاضي حميد الدين الذي أنعم عليه بما يليق به[6]، ثم شاب العلاقة بعد هذا التحسن توتر كاد يؤدي إلى مواجهة عسكرية بين الطرفين، وذلك اثر دخول قره يوسف بلاد الشام مطاردا قره عثمان ومسببا تخريبا في عينتاب والبيرة وهلعا في الشام وذلك سنة 821 هـ / 1418م[7].

ومع ان قره يوسف اعتذر عن فعلته وأكد لنائب حلب بقاء محبته للسلطان[8]، الا ان السلطان المؤيد بدا يتحسب لقره يوسف الذي اصبح يشكل عامل خلل في توازن القوى، لتنامي قوته وامتداد نفوذه ليشمل أذربيجان وشرق الأناضول والعراق وغرب ايران ومحاولته انهاء نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر وتجرئه على اجتياز أراضي الدولة المملوكية متناسيا ما كان بينهما من علاقات تحالف.

وللأسباب المشار اليها انفا بدا السلطان المملوكي يؤلب الرأي العام تمهيدا لتوجيه ضربة عسكرية لقره يوسف، فعقد مجلس شورى يوم الثلاثاء 26 شعبان سنة 821 هـ / 1418م ضم

---

(1) انهارت اتفاقية الصلح بعد شهر من توقيعها بسبب مطالبة شاهرخ قره يوسف لاعلان تبعيته له، وفي حال الرفض هدده باحتلال تبريز، ينظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص300.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) المصدر نفسه، جـ14، ق1، ص329، 367.

(4) المصدر نفسه، جـ14، ق1، ص368. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص46.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص409. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص100، 130.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص410، 413. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص53. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص391.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص458-459، 463. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص168، 170.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص461، 463. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص170، 170. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص424.

الخليفة وكبار القضاة الذين اصدروا فتواهم بجواز قتال قره يوسف لانه يستحل الدماء، ويسبي النساء ويخرب الديار[1].

وقد أثارت هذه الفتوى قره يوسف الذي هدد في كتاب ارسله للسلطان المملوكي سنة 823 هـ / 1420م بالمسير إلى بلاد الشام في حال عدم اعادته الجواهر التي سبق للسلطان المؤيد ان اخذها منه اثناء فترة اقامته في دمشق عندما كان المؤيد نفسه نائبا لها سنة 806 هـ / 1403م[2].

وامعانا في رفض هذا الطلب واصرارا على المواجهة دعا المؤيد إلى تحرير العراق من نفوذ القره قوينلو[3]، وأخذ في تأليب الرأي العام ثانية على قره يوسف وعلى ابنه الشاه محمد حاكم بغداد في الوقت نفسه بعد ان افتى مشايخ العلم بكفرهما وجواز قتالهما[4].

وعلى ضوء هاتين الفتويين رسم السلطان للأمراء بالتهيؤ للسفر، وحملت اليهم النفقات، فوقع الشروع في تجهيز امور السفر[5] لانهاء النفوذ القره قوينلوي للعراق. ولكن تدهور الحالة الصحية للمؤيد لاصابته بمرض المفاصل[6]، ووصول قاصد من قره يوسف يطلب الصلح ويذكر السلطان بماضي سيده معه[7]، مما أدى إلى الغاء الحملة.

ويبدو ان المؤيد لم يكن جادا في اقصاء القره قوينلو عن العراق على الرغم من ان الظرف السياسي كان مؤاتيا لنجاح حملته لان قره يوسف كان غير قادر على التصدي لها لانشغاله بامر المجابهة مع عساكر شاهرخ المتجهة لاحتلال تبريز[8]، كما ان الشاه محمد لم يكن لديه من القوات ما يجعله قادرا على التصدي للجيش المملوكي[9].

وقد شهدت العلاقات القره قوينلوية المملوكية تحسنا كبيرا بعد وفاة قطبي الزعامة قره يوسف سنة 823 هـ / 1420م والسلطان المؤيد سنة 824 هـ / 1421م. وجاء هذا التحسن

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص459–460. وانظر ما اشيع عن مثالب قره يوسف بهدف اثارة الرأي العام في كتاب: انباء الغمر، جـ3، ص168–169، 223.

(2) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص524–525. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص214.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص214.

(4) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص535–536. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص99-100.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص535–536. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص99–100.

(6) ابن تغرى بردى: المصدر نفسه، جـ14، ص102، 106.

(7) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 104.

(8) عن اشغال قره يوسف بحملة شاهرخ سنة 823 هـ انظر: خواندمير: المصدر السابق، م3، ص607-608.

(9) عن قلة قوات الشاه محمد، انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص248.

بعد حاجة اسكندر خليفة قره يوسف إلى مساندة المماليك له لايقاف حالة التداعي التي أصابت امارته بعد الهزائم التي حاقت بجيشه على يد شاهرخ وقره عثمان الآق قوينلوي في سنوات 824 هـ / 1421م[1] و 823 هـ / 1425م[2] و 833 هـ / 1429م[3] و 834 هـ / 1430م[4]. وحاجة السلطان المملوكي الاشرف برسباي إلى قوة اسكندر لمواجهة تهديد شاهرخ له باحتلال بلاد الشام لرفضه الكسوة التي أرسلها للكعبة المشرفة سنة 836 هـ / 1432م[5] وتكرار هذا التهديد سنة 839 هـ / 1435م عندما رفض اقامة الخطبة له وضرب السكة باسمه[6].

وللأسباب المذكورة تواصل تبادل السفارات بين الطرفين فكان اسكندر من خلال قصاده يطلع الأشرف برسباي على الوضع السياسي والعسكري لامارته والمواقف المستجدة مع شاهرخ واعدائه الآخرين، والأشرف برسباي يثني عليه لمقاومته لشاهرخ وأحيانا يدعمه ماليا، ويعده بالمسير للقتال إلى جانبه ضد شاهرخ[7].

ولعل من المناسب ان نذكر السنوات التي أرسل فيها اسكندر سفاراته إلى الأشرف برسباي وعددها سبع سفارات، ثلاث أرسلت سنة 825 هـ / 1422م[8]، والرابعة سنة 833 هـ / 1429م[9]، والخامسة سنة 836 هـ / 1432م[10]، والسادسة والسابعة سنة 839 هـ / 1435م[11] كما أرسل أسبان حاكم بغداد سفارة للأشرف برسباي سنة 839 هـ / 1435م يذكر فيها انه وشقيقه اسكندر يقاتلان شاهرخ[12].

---

(1) منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص151. مينورسكي: تاريخ تبريز: ص38.

(2) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص696-698. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص836. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص348.

(4) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص461. مينورسكي: تاريخ تبريز، ص38.

(5) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص368.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص961، 969. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص73. طرخان: المرجع السابق، ص92.

(7) عن دعمه ماليا والوعد بالدعم العسكري، ينظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص71.

(8) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص618. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص525.

(9) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص823.

(10) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص897.

(11) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص963، 974. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة: جـ15، ص70-71.

(12) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص962. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص336.

ولا شك ان الأشرف برسباي كان من مصلحته الجد في تعاونه مع اسكندر، لأن هذا التعاون سيعطي للمماليك القدرة على مواجهة التطور السياسي الجديد المتمثل باعلان كل من السلطان العثماني مراد الثاني وزعماء امارة بني قرمان وذي الغادر، تبعيتهم لشاهرخ سنة 839 هـ / 1435م[1]، فما ان توالت هزائم اسكندر على يد شاهرخ وحلفائه في سنوات 839 – 841 هـ / 1435 – 1436م[2] حتى هب برسباي لنجدته بقوة مملوكية ارسلت سنة 841 هـ / 1436م إلى قلعة الانجاق[3] التي كان محاصرا فيها، وما ان وصلت هذه القوة أرزنجان في طريقها إلى اسكندر حتى وصولها خبر وفاة الأشرف برسباي، فاضطرت للرجوع إلى الشام[4]، ولقي اسكندر اثر ذلك حتفه[5].

ومع تولي جهانشاه الحكم توقفت العلاقات القره قوينلوية مع المماليك بطبيعة علاقة شاهرخ معهم، بحكم تبعية جهانشاه له، وما ان تحسنت العلاقات التيمورية المملوكية سنة 847 هـ / 1443م[6] حتى اعلن جهانشاه عن رغبته في اقامة علاقة ودية مع المماليك، جاء ذلك بسفارتين أرسلهما إلى القاهرة في سنتي 847 هـ / 1443م[7] و 848 هـ / 1444م[8].

وقد تركت هاتان السفارتان أثرا طيبا في تعزيز العلاقات السياسية بين الطرفين في السنوات التالية حتى وصلت إلى مستوى جيد من التنسيق في اتخاذ المواقف الايجابية المتبادلة تجاه الأخطار التي كانت تهدد مصالحهما في المنطقة، ونرى ذلك من خلال:

أولا: ارسال جهانشاه سفارة إلى القاهرة مع هدية سنة 855 هـ / 1451م، غرضها ابلاغ السلطان المملوكي جقمق بأن سبب دخوله ديار بكر كان لتأديب جهانكير الآق

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: جـ15، ص63-64. مجهول: حوليات دمشقية، ص145.

(2) عن هزائم اسكندر في هذه السنوات، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص955-957، 960، 991، 1025.

(3) الانجاق: ويسميها المقريزي بقلعة يلنجا، انظر: السلوك، جـ4، ق2، ص1025، والتسمية الصحيحة الانجاق وقد سبق تعريفها.

(4) عاشق باشا زاده: المصدر السابق، ص247.

(5) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص627. غفاري: تاريخ جهان ارا، ص249.

(6) ترجع اسباب التحسن إلى موافقة السلطان المملوكي جقمق على نيل شاهرخ شرف اكساء الكعبة، عن ذلك، انظر: طرخان: المرجع السابق، ص93.

(7) السخاوي: التبر المسبوك، ص67.

(8) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ1، ص10.

قوينلوي لخروجه عن طاعة السلطان وسوء سيرته، وقد لقي قصاد هذه السفارة الترحيب الحار وقررت لهم نفقة يومية مقدارها عشرة آلاف درهم، كما قبل السلطان طلبا لجهانشاه ان يكون ابن اخيه الذي كان من ضمن القصاد من جملة مماليك السلطان[1].

ثانيا: مقابلة السلطان المملوكي هذا الفعل الايجابي بان اتفق مع حاكم امارة ذي الغادر بعدم افساح المجال لجهانكير باستغلال اراضي امارته وبلاد الشام ضد جهانشاه[2]. فأرسل سفارة إلى جهانشاه على رأسها قائم التاجر الذي صاحب قصاد جهانشاه في رحلة العودة، ومعه هدية ثمينة قيمتها خمسة عشر الف دينار تقديرا لمواقفه المذكورة[3].

ثالثا: في المقابل أرسل الأمير رستم مقدم عساكر جهانشاه إلى السلطان جقمق سفارة سنة 855 هـ / 1451م يعلمه فيها بان قواته قبضت في ديار بكر على الأمير يبغوت بن صفر خجا المؤيدي نائب حماة الذي كان قد تمرد على السلطان، وهو ينتظر ما يقدره السلطان بحق يبغوت، فكتب له السلطان جوابا بالشكر والثناء مع طلب يبغوت منه، فأستجاب رستم لطلبه[4].

رابعا: ارسال جهانشاه سفارة إلى القاهرة في ذي الحجة سنة 856 هـ / 1452م هدفها اعلام السلطان بتمكنه من هزيمة بابور التيموري، وبضعف عساكر التيموريين لوقوع الوباء في خيولهم[5]. وسبقت هذه السفارة سفارة ارسلها بير بوداق بن جهانشاه في محرم سنة 856 هـ / 1452م تضمنت كتابا مع هدية للسلطان[6].

ومع بداية سنة 857 هـ / 1453م حدثت متغيرات سياسية أثرت سلبا على العلاقات القره قوينلوية المملوكية، وتمثل ذلك بتنامي قوة العثمانيين في أعقاب اسقاطهم الدولة البيزنطية بفتحهم القسطنطينية سنة 857 هـ 1453م وتوجههم شرقا لاستكمال السيادة على آسيا الصغرى، فأثار ذلك حفيظة المماليك الذي كان لهم نفوذ في هذه المنطقة، وحفيظة الآق قوينلو الساعين بالتوسع غربا، فحدث تقارب بين الآق قوينلو والمماليك[7] عندما أعلن حسن الطويل

---

(1) المصدر نفسه، جـ1، ص103. السخاوي: التبر المسبوك، ص345.

(2) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص95. السخاوي: التبر المسبوك، ص323.

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص433. السخاوي: التبر المسبوك، ص345. الذيل التام، ص51.

(4) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص431-433.

(5) المصدر نفسه، جـ15، ص449.

(6) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص122-123. السخاوي: الذيل التام، ص59.

(7) الزهيري: العلاقات السياسية المملوكية، ص182.

تبعيته للسلطان المملوكي الأشرف اينال[1] بهدف صد العثمانيين، الامر الذي أثار جهانشاه، وبهدف زعزعة هذا التقارب، أرسل جهانشاه سفارة إلى القاهرة في ذي القعدة سنة 860 هـ / 1455م يطلب فيها من السلطان المملوكي الأشرف اينال (857 – 865 هـ / 1453 – 1460م) تعزيز وضعه ضد حسن الطويل، ولكن طلبه رفض، كما رفض عتبه على السلطان لعدم مكاتبته[2]. ويبدو ان المماليك برفضهم طلب جهانشاه ارادوا تضييق دوره في المنطقة بعد ان اظهر اطماعا في ديار بكر التي كان للمماليك نفوذ فيها، ومما يعزز ذلك عدم اخفاء الأشرف اينال سروره عندما ورده في 18 رجب سنة 861 هـ / 1457م خبر انتصار حسن الطويل على جهانشاه[3]، واستقباله الحار في 11 شوال سنة 861 هـ / 1457م لقصاد سفارة آق قوينلوية كانت تحمل اسلحة غنمها حسن الطويل من جهانشاه[4].

ومع ان جهانشاه قد حاول عن طريق ابنه بير بوداق حاكم بغداد ازالة التوتر مع الأشرف اينال الذي استقبل قاصد بير بوداق سنة 861 هـ / 1457م بترحاب وأنعم عليه، وزوده بكتاب يليق بمرسله[5]، فان المصادر لا تشير إلى حدوث أي تحسن في العلاقات خلال السنوات التالية حتى انهيار دولة القره قوينلو بمقتل جهانشاه سنة 872 هـ / 1467م.

3ـ مع الامارة الجلائرية في شوشتر:

قبل الحديث عن العلاقات القره قوينلوية الجلائرية لابد من ان نشير إلى ان هناك من الدراسات الحديثة ما عد نهاية الامارة الجلائرية بمقتل السلطان احمد سنة 813 هـ / 1410م واحتلال الشاه محمد بغداد سنة 814 هـ / 1411م[6] والوقائع التاريخية لا تؤيد هذا الرأي، لان دوندي خاتون التي سبقت الاشارة إلى دورها في مقاومة حملة الشاه محمد سنة 813 – 814 هـ / 1410 – 1411م قد تمكنت من جمع قسم من كيان الامارة الجلائرية المتقطعة الأوصال السائرة في طريقها إلى الانهيار تحت ادارة واحدة من جديد متخذة من شوشتر مركزا لها، وقد قدر لهذا الكيان ان يحيا حتى سنة 835 هـ / 1431م[7].

---

(1) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص486–487.

(2) المصدر نفسه، جـ2، ص279–280. ابن الياس: المصدر السابق، جـ2، ص56.

(3) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ16، ص108. السخاوي: الذيل التام، ص93.

(4) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ2، ص302.

(5) المصدر نفسه، جـ2، ص305.

(6) بياني: المرجع السابق، ص107. لين بول: المرجع السابق، ص523.

Brown: op. cit, Vol, 3, p. 173.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص206، 484–485. الغياثي: المصدر السابق، ص136–137، 142–144.

وكانت أول خطوة اتخذتها دوندي في شوشتر ان اعلنت تبعيتها لشاهرخ[1] بهدف سد الطريق على التيموريين لمهاجمة شوشتر، كما قامت بتنصيب ابن زوجها السلطان محمود بن شاه شريكا لها في الحكم بهدف التغطية على حكمها الفعلي للجلائريين[2].

وجاء اول رد فعل قره قوينلوي على اعادة احياء الامارة الجلائرية في شوشتر من الشاه محمد حاكم بغداد الذي قام بمحاصرة شوشتر سنة 818 هـ / 1415م بهدف القضاء على الحكم الجلائري فيها، ولكن دوندي تصدت له وأفشلت حملته[3].

وبعد ان أرست دوندي دعائم سلطتها في شوشتر بقتلها السلطان محمود سنة 819 هـ / 1416م[4] الذي كان على ما يبدو قد خطط لازاحتها عن الحكم، فانقلب كيده عليه، بدأت تستهدف مناطق العراق الجنوبية والوسطى مستغلة عدم وجود سلطة قوية في هذه المناطق، فتمكنت من انتزاع البصرة من مانع امير العرب سنة 820 هـ / 1417م[5] بعد ان كان مانع قد انتزعها من حكم السلطان احمد الجلائري[6]، كما تمكنت من مد نفوذها على الحويزة والجزائر وواسط دون ان تعترضها أية قوة[7]، لأن الشاه محمد هو الذي أعطى اعداءه الذين طمعوا بملكه لتسريحه عسكره وانشغاله بالملذات[8]، ومنهم السلطان اويس بن شاه ولد – الذي كان قد حل محل دوندي في الحكم بعد وفاتها سنة 822 هـ / 1416م –[9] لحصار بغداد في العشره الاوسط من محرم سنة 824 هـ / 1421م[10]، وثمة روايتان عن نتائج الحصار الاولى

---

(1) اوق: المرجع السابق، ص136.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص42–43.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص317. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص73.

(4) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص206. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص242. السخاوي: الضوء اللامع، جـ12، ص16. ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص155. نطنزي: المصدر السابق، ص169–170.

(5) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص206. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص43. ويذكر الصيرفي ان أويسا هو الذي ملك البصرة سنة 820 هـ وهذا لا يناقض ما ذكرناه في المتن لان أويسا كان على ما يبدو قائدا لحملة والدته دوندلي على البصرة، انظر: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص399.

(6) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص43.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص206. السخاوي: الضوء اللامع، جـ12، ص16. ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص155.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

(9) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص206. السخاوي: الضوء اللامع، جـ12، ص16.

(10) الغياثي: المصدر السابق، ص138.

جاء بها الغياثي لتأكيد انسحاب اويس من حصاره لبغداد اثر تلقيه خبر اسكندر من تبريز لقتاله، ولكنه عاد بعد عدة اشهر ليستهدف بغداد ثانية، فتصدى له جهانشاه، وتمكن من قتله يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة 824 هـ / 1421م[1]، وتشير الرواية الثانية ومصدرها ابن حجر إلى ان أويس تمكن انتزاع بغداد من حكم الشاه محمد، وحكمها سبعة سنين حتى استرجعها منه الشاه محمد بعد حروب قتل في نهايتها السلطان أويس سنة 830 هـ / 1426م[2].

ويبدو لنا ان الرواية الأولى هي الأقرب إلى الواقع لأن مصدرها الغياثي وهو مؤرخ عراقي مطلع ومعاصر لتلك الاحداث مقابل، ابن حجر الذي كان بعيدا عنها لأنه من مؤرخي الدولة المملوكية فما ينقله من معلومات عن العراق لا يصل في مستوى دقته إلى دقة معلومات الغياثي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فمن المؤرخين الفرس من يدعم ما جاء به الغياثي ومنهم الغفاري الذي أكد مقتل السلطان أويس على يد جهانشاه[3]، وهذا هو ما يؤكده ايضا المؤرخ التركي فاروق سومر[4]، والمؤرخه الفارسية شيرين بياني اللذين يحدد تاريخ وفاة أويس سنة 824 هـ / 1421م[5].

وقد ترك السلطان محمد خليفة السلطان أويس على حكم شوشتر بعد ان استهدفها ميرزا ابراهيم التيموري صاحب شيراز، وتنقل بين واسط والجزائر ليستقر في الحلة التي دخلها يوم الاثنين رابع شهر رجب سنة 826 هـ / 1432م بعد ان طرد منها الامير درسون صاحب ديوان الشاه محمد الذي سبق له ان احتل الحلة[6].

وبعد ان ثبت السلطان محمد أقدامه في الحلة، قاد جيشه نحو بغداد وحاصرها من الجانب الغربي، لكنه لم يتمكن من دخولها، فاضطر إلى الانسحاب منها إلى الحلة، ليتوفى فيها بعد سنة وبالتحديد في يوم الاربعاء تاسع شهر شعبان سنة 827 هـ / 1423م[7]. وكان قبل

---

(1) المصدر نفسه، ص138، 140.

(2) انباء الغمر، جـ3، ص206، 388.

(3) انظر: التاريخ الغياثي، الهامش التحقيقي الثاني، ص140. نقلا عن تاريخ جهارارا للغفاري.

(4) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 130-131.

(5) تاريخ آل جلاير، ص111. وانظر كذلك: زامباور: المرجع السابق، ص377. مينورسكي، مادة أويس الثاني: دائرة المعارف الاسلامية، (الترجمة العربية)، م3، ص166.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص141-142. خوافي: المصدر السابق، جـ3، ص252. الحلي: المرجع السابق، ق1، ص102.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص142.

وفاته قد عهد بالحكم من بعده إلى السلطان حسين بن علاء الدولة بن السلطان احمد[1]، فتقوى هذا بالانتماء إلى شاهرخ وتمكن من بسط نفوذه على الموصل واربل وتكريت فضلا عن البصرة وواسط[2].

وقد وجد أسبان في توسعات السلطان حسين تقويضا لهدفه في حكم ولاية بغداد لذلك أجل صراعه مع أخيه الشاه محمد، واتجه بقواته إلى الحلة، فتصدى له السلطان حسين عند المسيب ودارت معركة لاذ فيها أسبان هربا إلى الموصل[3] – ويبدو ان هذه المعركة قد وقعت سنة 833 هـ / 1429م ويذكر ابن تغرى بردى ان أسبان تمكن من احتلال الموصل في هذا التاريخ[4] – ولكن امراء السلطان حسين كاتبوا أسبان يدعونه لاحتلال الحلة نكاية بسلطانهم لأنه اعتدى على نسائهم، فاستجاب أسبان لهذه الدعوة وجمع عسكره وحاصر الحلة دون ان تعترضه القوة التي كان السلطان حسين قد أرسلها لقتاله ومن الطريف الذي يذكر ان أمراء هذه القوة قد خاطبوا أسبان بالقول: "نحن قادرون على اهلاك – عسكرك – ... لكن قلوبنا نافره عن سلطاننا اعبروا آمنين"[5]. وبعد حصار دام ستة شهور منذ الثاني من شعبان سنة 834 هـ / 1430م[6] تمكن أسبان من دخول المدينة في السابع والعشرين من محرم سنة 835 هـ / 1432م بعد ان استجاب السلطان حسين لدعوة امرائه في تسليم المدينة التي اضفاها الجوع بسبب الحصار لقاء الوعد الذي منحه أسبان له بضمان حياته. ولكن أسبان لم يف بوعده، فقد قتل السلطان حسين غيلة في 3 ربيع الأول سنة 835 هـ / 1430م[7] وبمقتله سقطت الامارة الجلائرية نهائيا على يد أسبان القره قوينلوي.

---

(1) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص484. الغياثي: المصدر السابق، ص142–143.

(2) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص484–485.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص262.

(4) النجوم الزاهرة، جـ14، ص348.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص262–263.

(6) المصدر نفسه، ص263. ويؤكد ابن حجر وابن تغرى بردى ان سنة 834 هـ هي التي وقع فيها الحصار دون ان يذكر الشهر، انظر: انباء الغمر، جـ3، ص485. النجوم الزاهرة، جت15، ص173.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص263–264. والمصارد المملوكية تحدد تاريخ قتل السلطان حسين في الثالث من صفر سنة 835 هـ انظر: ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص485. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص242. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص160.

الفصل الخامس

العراق في عهد الآق قوينلو ((ذو الغنم الأبيض))

أولا : معركة موش ومقتل جهانشاه

ثانيا : احتلال الآق قوينلو للعراق

ثالثا : حكومة بغداد الآق قوينلوية

الفصل الخامس
العراق في عهد الآق قوينلو ((ذو الغنم الأبيض))

أولاً : معركة موش ومقتل جهانشاه :

دأب جهانشاه منذ أن تخلص من تبعيته لشاهرخ سنة 850 هـ/ 1446م[1] على تحقيق أهدافه التوسعية بإقامة دولة مترامية الأطراف على غرار الدولتين الايلخانية والتيمورية، فسخر، جميع إمكانياته لتحقيق هذا الهدف الذي قاده لاحتلال هراة سنة 862هـ / 1458م[2]، وإذا كان قد فشل في الاحتفاظ بهذه المدينة فإنه نجح في الاستحواذ على مناطق نفوذ التيموريين في بلاد إيران حتى حدود خراسان[3]، كما نجح في ضم جورجيا بما فيها عاصمتها تفليس[4]، وأرمينيا[5]، ولم يبق من القوى القادرة على تحديده غير الآق قوينلو في ديار بكر والعثمانيين في بلاد الأناضول[6] والمماليك في بلاد الشام ومصر، وإذا كانت علاقاته مع العثمانيين قد تحسنت بسبب توافق مصالحهم في معاداة حسن الطويل الآق قوينلوي[7]، فإنه فشل في كسب المماليك إلى جانبه ضد حسن الطويل المتحالف مع المماليك ضد العثمانيين[8]. لكن هذا الفشل لم يمنعه من العمل على تحقيق مراميه التوسعية في ديار بكر ولاسيما بعد أن أصبحت الفرصة مؤاتية له على أثر تأزم العلاقة بين المماليك والآق قوينلو سنة 870 هـ / 1465م بسبب مهاجمة

---

(1) يشير صاحب تاريخ قطب شاه إلى أن جهانشاه حكم (35) سنة بقي في (13) سنة منها تابعاً لشاهرخ الذي توفي سنة 850هـ/ 1446م وقضى السنوات الأخرى مستقلاً، انظر:
Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

(2) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2 ص 356. الغياثي: المصدر السابق، ص 289.

(3) Barthold, V.V: Four Studies on the History of Central Asia " Tr. By v. ind T. Minorsky, Leiden E. J. Brill, 1962 ", Vol, 3, p. 13.

(4) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shags, p. 66. Savory: op. cit, p. 49 Typka, Jan: History of Iranian Literature, " Dordrecht- Holland " , p. 487.

(5) Minorsky: Jihan-Shah Qara Qoyunlu and his Poetry., pp. 279, 294. Romer: op. cit, Vol.6, p. 167.

(6) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p.66.

(7) Hinz: A.g.e, s, 44.

(8) انظر: مبحث العلاقات القره قوينلوية المملوكية.

حسن الطويل[1] والابلستين[2] التابعتين[3] للمماليك[4] لذلك تحركت قطعاته العسكرية التي قدرت بنحو خمسين ألف مقاتل[5] من تبريز باتجاه مناطق نفوذ الآق قوينلو في ديار بكر، وذلك في 10 شوال سنة 871هـ/ 1466م[6].

أدرك حسن الطويل أن مواجهة جهانشاه في هذا الظرف السياسي المتأزم مع المماليك والعثمانيين فيه الكثير من المخاطر على إمارته. وفي محاولة منه لثني جهانشاه عن تقدمه باتجاه ديار بكر دعاه للتصالح بسفارتين أرسلهما إليه لهذا الغرض، ولكن جهانشاه كان مصراً على المواجهة[7].

وبحلول نهاية شهر ربيع الأول سنة 872هـ/ 1466م كانت قوات جهانشاه قد اكتسحت سهول الاناضول الشرقية بما فيها مدينة موش[8] دون أن تواجه أية مقاومة تذكر[9]، ولكنها لم تستطع إكمال تقدمها لحلول فصل الشتاء[10]، فاستقرت في سهول جابكور[1]، بيد أن حسن

---

(1) خرتبرت: وتعرف أيضاً بحصن زياد وتقع في أقصى ديار بكر بينها وبين ملطية مسيرة يومين. انظر: ياقوت: المصدر السابق، م2، ص 355.

(2) ابلستين: وتسمى أيضاً بالبستان، وتقع شرقي قيصرية وهي مدينة متوسطة الحجم. لسترنج: المرجع السابق، ص 175، 178–179.

(3) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، جـ3، ص 500، 507–508. ابن اياس: صفحات لم تنشر، ص 145، 157.

Romer: op.cit, vol. 6, p. 172.

(4) كان أمراء ذي لغادر يحكمون هاتين المدينتين باسم المماليك، فما أن سيطر عليهما حسن الطويل حتى تأزم موقفه مع المماليك وهذا ما أشار إليه ابن تغري بردي بقوله "كل أحد يحقق (أي يتوقع) وقوع العداوة بين السلطان وحسن بيك" ولاسيما بعد أن أمر السلطان نائب حلب بالتوجه إلى أعالي الفرات لاسترداد المدينتين. حوادث الدهور، جـ3، ص 508.

(5) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 175.

(6) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 407، 416– 419.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 66.

(7) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 412، 414–415. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86.

(8) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 173.

(9) Minorsky: The Middle East in Western Politics, p. 443.

(10) الغفاري: تاريخ نكارستان، ص 426.

Romer: op.cit, Vol. 6, p. 173.

الطويل كان يراقب التحركات العسكرية لجهانشاه عن كثب بوساطة جواسيسه الذين بثهم في المنطقة، وعلى ضوء المعلومات التي وردته منهم فوجيء بحدوث تطور عسكري مهم لصالحه تمثل بانسحاب معظم القطعات العسكرية القره قوينلوية إلى مشتاها بأوامر من جهانشاه، ولم يبق مع جهانشاه إلا "مقدار ألف نفر من الأمراء النفاعة، ... ، ... وشرذمة قليلة من العسكر"[2]، وقد حدث الانسحاب بسبب كثرة الثلوج، وصعوبة المسالك الجبلية، ولكون الدليل الذي قادهم في التقدم قد سلك بهم طريقاً رديئاً[3]. فوجد حسن الطويل في هذا التطور فرصة لانزال الهزيمة بجهانشاه، فأرسل مبعوثاً عنه لجهانشاه- تمهيداً لمكيدة قد أعدها له - يحثه فيها على الصلح، فاستقبل جهانشاه مبعوث حسن الطويل ووافق على ماجاء به[4]، وبذلك يكون حسن الطويل قد هيأ لنياته العسكرية وأزال الشكوك التي كانت رائجة عنه ومنها ما قاله لجهانشاه خدربيك- أحد أمرائه - محذراً إياه من هجوم قوات حسن الطويل[5].

وفي هذه الأثناء كان حسن الطويل قد قطع مسافة سبعة أيام من معسكره في خوى إلى منطقة جابكجور، واستقر في مكان لا يبعد سوى ساعتين أو ثلاث ساعات عن معسكر جهانشاه[6]. وتصف المصادر، الغفلة التي كانت تلف قوات جهانشاه، لاعتقادهم بسريان الصلح القائم بينهم وبين حسن الطويل في حين كان الطويل على أهبة الاستعداد والتحضير للهجوم على معسكر جهانشاه، ففي ليلة الهجوم كان جهانشاه وأمرائه في خدرتام، وملذات أنستهم التحوط من أية اعتداءات خارجية[7] حتى قيل أن أحد جواسيس حسن الطويل قد تمكن من الوصول إلى خيمة جهانشاه دون أن يعترضه أحد[8]، الأمر الذي شجع أميره حسن الطويل على الانقضاض على قوات جهانشاه وذلك فجر 12 ربيع الثاني سنة 872هـ/

---

(1) Ibid., p. 173. Hinz: A.g.e, s, 43.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 294-295. وانظر كذلك: البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص103.
Romer: op.cit, Vol. 6. p. 173. Hinz: A.g.e, s, 43.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 294.

(4) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 66. Hinz: A. g. e, s, 42.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 410.

(6)Hinz: A.g.e, ss, 42-43.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 295. الغفاري: تاريخ نكارستان، ص 426-427. تاريخ جهان ارا، ص250.
Romer: op.citl, p. 173. Hinz: A.g.e, ss, 43-44.

(8) Hinz: A. N. e, s, 43.

1466م[1] بجيش قوامه (12000) فارس[2]، وعن هذا الهجوم يذكر والتر هينز بالاعتماد على رسالة أرسلها حسن الطويل إلى السلطان العثماني محمد الفاتح في أعقاب مقتل جهانشاه أن جهانشاه على الرغم من أنه تصدى لقواته لمدة ثلاثة أيام تمكن فيها من قتل عدد كبير من جنده وأمرائه، إلا أنه أضطر في النهاية للهرب إلى منطقة تدعى كيفي ليلاقي فيها حتفه[3] على يد رجل من فرسان حسن الطويل يدعى اسكندر استلب منه ملابسه الثمينة وشارة الحكم وفرسه[4].

وقد قتل في هذه المواجهة عدد كبير من عسكر جهانشاه منهم ولي عهده محمدي وأمير ديوانه رسم دبه رسال، كما وقع في الأسر عدد كبير من الأمراء منهم ابنه الأمير يوسف الذي سمل حسن الطويل عينيه[5]، أما رأس جهانشاه فقد أرسل إلى القاهرة[6] للدلالة على تمكن حسن الطويل من عدوه.

---

(1) Romer: op.cit, Vol . 6. p. 173.

(2) اختلفت التقديرات في عدد قوات حسن الطويل المهاجمة، فأبو بكر الطهراني يقدرها بـ (12000) فارس، ديار بكرية، جـ2، ص 409. وهينز يذكر أن (3000) مقاتل كان بأمرة خليل بن حسن الطويل و(5000) مقاتل بأمرة الأمير قاسم بروانجه كانت ثمة قوات أخرى لم يحدد عددها كانت بأمرة حسن الطويل.

Uzun Hasan, s, 43.

أما الغفاري وصاحب تاريخ قطب شاه فيحددان العدد بـ (6000) مقاتل. انظر: تاريخ جهان ارا، ص250. تاريخ نكارستان، ص 427.

Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 67.

وأخيراً خواندمير قدرها بـ (2000) مقاتل. تاريخ حبيب السير، م4، ص 86.

(3) Uzan Hasan, ss, 42-44.

وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابقن ص 295، 297. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86. الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 103.

(4) خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 86-87. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 103.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 429. الغياثي: المصدر السابقن ص 297. خواندمير: المصدر السابق، م 4، ص 86-87. الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250. منجم باشي: المصدر السابق، م 3، ص 153. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 103.

Hinz: A.g.e, s, 44. I.A/ Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, s, 303.

(6) أخطأ البدليسي عندما ذكر أن حسن الطويل أرسل رأس جهانشاه إلى أبي سعيد التيموري حاكم خراسان. انظر: شر فنامه، جـ2، ص 103. والصحيح ما ذكره ابن تغري بردي والسخاوي من أن رأس جهانشاه

وهكذا كان مقتل جهانشاه بمثابة بداية النهاية السريعة لإمارة القره قوينلو التي انهارت نهائياً سنة 874هـ/ 1469م، وهذا هو ما سنفصل الحديث عنه لاحقاً.

ثانياً: احتلال الآق قوينلو للعراق:

أثار مقتل جهانشاه المفاجيء حالة من الإنقسام والصراع لدى الاسرة الحاكمة القره قوينلوية حول اختيار من يخلفه على سدة الحكم، ففي الوقت الذي تسابق الأمراء الناجون من معركة موش إلى قلعة ماكو، حيث أطلقوا سراح حسن علي الذي كان مسجوناً فيه بأمر من والده جهانشاه ونصبوه زعيماً على القره قوينلو[1]، نجد أن بيكم خاتون زوجة جهانشاه وبنات اسكندر اللواتي كن موجودات في تبريز قدمن مرشحاً آخر هو حسين علي بن اسكندر ابن قره يوسف[2]، وأمام وجود مشرحين للزعامة كان لابد أن يحتدم الصراع، وهذا هو ما حدث فعلاً ذلك أن المرشحين تناسيا تربص حسن الطويل بهما، فدخلا في مواجهات عنيفة اضعفتهما كثيراً[3]، فاستغل ذلك حسن الطويل وحرّك قسماً من قطعاته العسكرية التي كانت بأمرة خلي أغا التواجي[4]، لاحتلال العراق[5]، بعد أن كان قد مهد لذلك برسائل لحكام بعض المدن العراقية يرغبهم فيها بالدخول في طاعته، فاستجاب له حكام بعض قلاع الأكراد، كما

أرسل إلى القاهرة وعلق على باب زويله سنة 872. النجوم الزاهرة، جـ16، ص 384. حوادث الدهور، جـ3، ص 662، 663. الضوء اللامع جـ3، ص 80. وأكد الغياثي ما جاء في المصادر المملوكية فقد أشار إلى أنه شاهد الرأس في حلب يوم السبت 7 جمادي الأولى سنة 872 هـ على يد قصاب حسن الطويل وهم في طريقهم إلى القاهرة. التاريخ الغياثي، ص 299.

(1) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 438. الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250.
E.I./ II, S. V., Kara Koyunlular, Vol. 4, p. 588. I.A: Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, s, 303.

(2) الغفاري: تاريخ جهان ارا، ص 250.
I.A: Kara Koyunlular, Maade si, 6, cilt, 303.

(3) عن تفاصيل هذه المواجهة، انظر: الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 250. مينورسكي: تاريخ تبريز، ص 43.

(4) خليل اغا التواجي: يرد ذكره بهذا الأسم وأحياناً باسم كور خليل بيك عن هذه التسميات، انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 334، والهامش التحقيقي التاسع، وص 387–388.

(5) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 457، 537.

استجاب له شاه علي حاجيلو القره قوينلوي حاكم سنجار[1]، في حين لم يرفض حاكم بغداد بير محمد التواجي هذا الطلب فقط، بل دعا أبا سعيد التيموري حاكم خراسان إلى أن يتسلم بغداد[2]، ولكن أبا سعيد لم يحرك ساكناً لانشغاله بأمر دعوة حسن علي التحالف معه للتصدي لحسن الطويل[3].

وقد تمكن خليل أغا من أن يحكم سيطرته على مدن العراق الشمالية الكبرى الموصل، أربل، سنجار، فضلاً عن قلعة فولاذ[4]، وبعد أن نظم الحكم في هذه المدن بتعيين حكام عليها، منهم شاه علي حاجيلو الذي اسند إليه حكم أربل بينما أبقى الموصل تحت حكمه المباشر[5]، شرع في العمل على استكمال احتلال باقي مناطق شمال العراق، فأرسل الشهزاده محمد بيك ومعه الأمير سعاد يارمع (2000) مقاتل إلى جهات العراق الشمالية الغربية، فتمكنت هذه القوة بعد عمليات نهب وقتل من أن تفرض سيطرتها على هذه المناطق[6]، كما قام هو ومعه الشهزاده مقصود بيك بن حسن الطويل بمحاولة إخضاع قلعة خفتيان التي تعرضت توابعها لعمليات النهب، ولكن تصدى حاكمها الأمير رستم أوران أفشل محاولته لاحتلالها[7]. أما العمادية وتوابعها، وقد كانت تحكم من قبل إمارة بهدينان وحاكمها السلطان حسن، فيبدو أن القوات الآق قوينلوية لم تتعرض لها حتى سنة 875هـ/ 1470م، وفي هذه السنة هناك من يذكر أن الأمير سليمان بك بيزن أوغلى قاد قوات حسن الطويل على العمادية لاحتلالها، فتوغل في الإمارة واحتل قلعتي العقر والشوش، ثم حاصر العمادية مدة ثلاثة أشهر، لكن جهوده باءت بالفشل وانقلب عليه الأمر، فقد هاجمته قوة مؤلفة من عشائر الزيبارية والبروارية والنهلائية

---

(1) المصدر نفسه، جـ2، ص 457، 467. وأشار الغياثي إلى أن سبب استجابة شاه علي لدعوة حسن الطويل ترجع إلى تذمره من حسن علي بسبب أفعاله المشينة، وحدد تاريخ دخوله في تبعية الطويل بـ 4 صفر سنة 873هـ . التاريخ الغياثي، ص 330.

(2) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 457- 458. علي: دولة الآق قوينلو، ص 7.

(3) اسفرازي، معين الدين محمد زمجي: روضات الجنات في أوصاف مدينة هراة، تصحيح وحواشي: سيد محمد كاظم إمام، انتشارات دانشكاه تهران، جـ2، ص 282.

Minorsky: The Qara Aoyunlu and the Qutb Shahs, p. 69.

(4) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 457.

(5) المصدر نفسه، جـ2، ص 457، 537.

(6) المصدر نفسه، جـ2، ص 458.

(7) المصدر نفسه، جـ2، ص 537. وخفيتان تقع شمال اربل.

الكردية ليلاً، وتمكنت من قتل أكثر من ألف جندي من جنوده، الأمر الذي حمله على الانسحاب[1].

ويلاحظ أنه في الوقت الذي كان الأمير خليل أغا التواجي يقوم بمحاولته في استكمال احتلاله لشمال العراق، كان حسن علي بن جهانشاه قد أحكم سيطرته على بلاد أذربيجان بما فيه العاصمة تبريز باستثناء قلعة النجق (الأنجاق) التي كان قد التجأ إليها أعوان ابن عمه المقتول حسين علي[2]، ومنهم بيكم خاتون[3]، ومن تبريز بدأ حسن علي يعمل على بسط نفوذه على باقي الولايات التي سبق أن كانت خاضعة لحكم والده جهانشاه[4] ومنها بغداد، وبهدف استمالة حاكمها بير محمد التواجي إلى جانبه وتعزيز صمود المدينة ضد أية محاولة آق قوينلوية لاحتلالها، أرسل لبير محمد التواجي خزانة من المال كان قد استولى عليها في أثناء دخوله تبريز[5].

ويشير أبو بكر الطهراني إلى أن خطط حسن الطويل العسكرية كانت تستهدف أولاً احتلال أذربيجان ولاسيما تبريز بوصفها معقل السلطة القرة قوينلوية قبل بغداد، لكن تلقيه طلب استغاثة من قضاة واعيان بغداد بانقاذهم من جور الحاكم القره قوينلوي، هو الذي دفعه إلى تغيير خطته والتوجه نحو بغداد[6] التي حاصرها في 20 رجب سنة 872هـ / 1468م ودام الحصار (55) يوماً[7] لم يفلح فيها في دخولها لقوة الاستحكامات التي أقامها حاكمها بير محمد[8]، فاضطر يوم الجمعة 15 رمضان سنة 872هـ/ 1468م إلى الإنسحاب منها بعد أن هجر

---

(1) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص 104. فريج: المرجع السابق، ص 138. العباسي، محفوظ: العباسيون بعد احتلال بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990، ص 64.

(2) الواقع أن حسن علي صفى تقريباً معارضيه من أبناء اسرته وهذا هو ما أشار إليه الغياثي باقتضاب، انظر: التاريخ الغياثي، ص 328. وممن قتلهم شقيقه أبا القاسم وبنات اسكندر مع شقيقهن حسين علي، والأمير حمزة شقيق زوجة أبيه، ولم يبق من معارضيه سوى بيكم خاتون. وعن تفاصيل ذلك، انظر: أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2ن ص 434. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 328.

(4) الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 251.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 327.

(6) ديار بكرية، جـ2، ص 458.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 331. وحدد أبو بكر الطهراني مدة الحصار بأربعين يوماً، انظر ديار بكرية، جـ2، ص 458-459.

(8) أبو بكر الطهراني: المصدر نفسه، جـ2، ص 458.

سكان القرى المحيطة بها إلى ديار بكر[1] بهدف إضاعافها، وتوجه بقواته إلى أذربيجان بعد تلقيه طلباً من بيكم خاتون بانقاذها من حسن علي لقاء تسليمها له بعض خزائن جهانشاه التي بحوزتها مع قلعة النجق (الانجاق) التي كانت محتمية بها[2].

لم يستقر المقام طويلاً ببير محمد التواجي في حكم بغداد بعد فك حسن الطويل الحصار عنها إذ ما لبث أن توفي[3] مريضاً يوم الاثنين ثاني رجب سنة 873هـ/ 1469م بعد أن كان قد أمضى في حكم بغداد ستين وثمانية شهور[4]، وكان قبل وفاته قد أوصى بالحكم من بعده للأمير حسن علي بن زينل الباراني[5] الذي باشر الحكم يوم وفاة بير محمد[6]. وخلال مدة حكم حسن علي بن زينل القصيرة لبغداد التي لم تدم سوى تسعة شهور لوفاته سنة 874هـ/ 1469م[7] لم تتعرض بغداد إلى أية محاولة آق قوينلوية لاحتلالها لأن معظم قواتهم كانت قد حشدت استعداداً للمواجهة الكبرى مع حسن علي بن جهانشاه.

وبخصوص هذه المواجهة، هناك من يشير إلى أن حسن علي قد حشد جيشاً يفوق في العدد جيش حسن الطويل[8]، وانفق عليه مالاً عظيماً[9]، وعلى الرغم من هذا التفوق العددي، وعلى الرغم من ضخامة هذا الجيش إلاّ أن أمراء القره قوينلو كانوا ينظرون إلى قائدهم حسن علي باستخفاف[10] نظراً لحماقته ولوثة عقله، وضعف شخصيته، وتصرفاته

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 329، 331، 380.

(2) المصدر نفسه، ص 380.

(3) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 338.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 331.

(5) حسن علي بن زينل: يلقبه أبو بكر الطهراني بالباراني ولكنه يذكره باسم حسين علي بدل حسن علي وأضاف بأنه أصبح حاكماً على بغداد خلفاً لبير محمد، انظر: ديار بكرية، جـ2، ص 538.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 332.

(7) المصدر نفسه، ص 333.

(8) عن ضخامة جيش حسن علي، انظر: الغياثي: المصدر نفسه، ص 329. خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 87. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 154.

Uzuncarsili: Anadolu, s, 185.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 329. خواندمير: المصدر السابقن م4، ص 87.

(10) I.A/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 304.

المشينة[1]. وفي المواجهة التي حدثت بينهما سنة 873هـ/ 1468م عند منطقة خوى خسر حسن علي المعركة وهرب إلى أبي سعيد التيموري حاكم خراسان[2] يستحثه على المساعدة لطرد حسن الطويل من أذربيجان لقاء إعلان تبعيته له[3]. وقد استجاب أبو سعيد لهذه الدعوة، وقاد قواته من خراسان باتجاه أذربيجان، وفي المواجهة مع حسن الطويل دارت الدائرة على أبي سعيد الذي قتل في أسر حسن الطويل سنة 873هـ/ 1468م[4]، أما حسن علي فكاد يقع في الأسر، ففضل الانتحار على الأسر[5]، وذلك في شوال سنة 873هـ/ 1469م[6].

بانهيار الحكم القره قوينلوي في اذربيجان وإيران[7] لم يبق للقره قوينلو مناطق نفوذ سوى بغداد، ويبدو أن بغداد كانت قد تخلت عنهم أيضاً، فحاكمها الجديد شاه منصور بن زينل الذي وصفه الغياثي بأنه كان ظالماً غشوماً جاهلاً قد ذهب ضحية نزواته أكابر العسكر والناس الابرياء، وكان لا همّ له سوى الفسق بالنساء[8]. وأمام حاكم بهذه الشاكلة لا ينتظر ابداء أية مقاومة ضد القوات الآق قوينلوية التي تحركت بقيادة خليل أغا ومقصود بيك من الموصل باتجاه بغداد لاحتلالها. وما إن وصلت هذه القوات التون كبري حتى أرسل خليل أغا رسولاً إلى شاه منصور يقول له "ما تقول فقد جئناك قال : ما أقول ! أقول أن البلد بلد حسن

---

(1) ابو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 460. الغياثي: المصدر السابقن ص 327-328، 330. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 153.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 330، 380-381. الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 251.
I.A/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 304.

(3) يذكر افرازي أن حسن علي بعد اندحاره على يد حسن الطويل تعهد لأبي سعيد بأن يمنحه حكم أذربيجان والعراق وبلاد الجبل وفارس مع كنوز بلاده، فضلاً عن الخطبة والسكة باسمه في حال مساعدته في طرد حسن الطويل من بلاده. انظر : روضات الجنات، جـ2، ص 282.

(4) للتفاصيل عن هذه المواجهة ومقتل أبي سعيد، انظر: خواندمير: المصدر السابق، م4ن ص 88-89. اسفرازي: المصدر السابق، جـ2، ص 283-289. خامبري: المرجع السابق، ص 276.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 330-331، 381. الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 251.
I.A/ Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 305.

(6) الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 251.

(7) بعد أن اندحر أبو سعيد سيطر حسن الطويل على جميع بلاد إيران، انظر:
Savory: op.cit, p. 52.

(8) التاريخ الغياثي: ص 334.

بيك تعالوا تسلموه". وقد أبدى استسلامه الكامل لهم بخروجه لاستقبالهم عند قرية دوخلة[1]، وأقام لهم فيها مأدبة إفطار، فكان تصرفه هذا موضع إنكار من قبل أفراد عسكره الذين تركوه وانضموا إلى معسكر خليل أغا نكاية به وانقاذاً لأزواجهم[2].

ودخل العسكر الآق قوينلوي بغداد ومعهم شاه منصور- الذي سلبوا منه كل شيء – حتى أنهم قد "أخذوا الفرس الذي تحته ...، وأعطوه اكديشاً ما يتحرك من موضعه وأركبوه ..." ، ولم يتعرضوا لأهالي بغداد بأذى أو نهب، وبعد مرور سبعة أو ثمانية أيام على احتلالهم بغداد جرت محاكمة شاه منصور بتهمة قتل عدداً كبيراً من الرعية في أثناء فترة حكمه، فأدانه القضاة بحضور خليل أغا وحكم عليه وعلى أخيه برام بيك بالموت ونفذ فيهما الحكم، وطرحوا جثتيهما في الميدان وذلك في يوم الاثنين 14 جمادي الآخرة سنة 874هـ / 1469م كما قتلوا في اليوم نفسه اثنين من أعوانه هما درويش ذو النون وعبدالله الأسود، وبمقتل شاه منصور الذي حكم بغداد شهرين واثني عشر يوماً انقرض الحكم القره قوينلوي نهائياً في العراق[3].

ثالثاً: حكومة بغداد الآق قوينلوية:

بعد أن أحكم حسن الطويل سيطرته على جميع الولايات التي كانت تابعة للقره قوينلو، نقل عاصمته من آمد إلى تبريز، وأصبح العراق ولاية تدار من هذه العاصمة كما كان في عهد القره قوينلو[4].

ويبدو أن ولاية العراق في هذه الحقبة لم تستأثر كثيراً باهتمام الآق قوينلو، لذلك فالمعلومات عنها قليلة، وهذا ما يؤكده الغياثي، وهو مؤرخ معاصر بقوله "ما اتصل إلينا شيء من تواريخهم إلاّ القليل"[5]. والقليل مرتبك احياناً لا يتعدى في كثير منه ذكر أسماء حكام بعض المدن كبغداد والحلة، وحوادث تتعلق بالمشعشعين، أما باقي المدن العراقية فالمعلومات عنها تنقطع ما عدا الموصل التي سيرد ذكر لها في نهاية عهد الآق قوينلو.

وتشير المعلومات عن حكومة بغداد إلى أن حسن الطويل بعد ان تلقى خبر احتلال قواته بغداد، أصدر قراراً من شيراز التي كان موجوداً فيها بتعيين ابنه مقصود بيك حاكماً عليها على أن يشاركه كل من خليل أغا التواجي الملقب بكور خليل، وقور خمس بيك بن محمد

---

(1) دوخله: من قرى قضاء الخالص وقد اندرست الآن.

(2) المصدر السابق، ص 334-335.

(3) المصدر السابق، ص 335-336.

(4) Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 174, 176. Savory:op..cit, p. 52.

(5) التاريخ الغياثي، ص 337.

بيك[1]. وما لبث خليل أغا أن توفي بعد سنة وبالتحديد ليلة الجمعة سادس شهر جمادي الآخرة سنة 875 هـ / 1469م فحل محله خليل بيك اخو قور خمس والاثنان ابنا عم حسن الطويل[2].

ويلاحظ خلال مدة حكم هؤلاء الأمراء أن أوضاع العراق بشكل عام وبغداد بشكل خاص كانت مستقرة نوعاً ما، وذلك جزء من استقرار للحالة العامة لمعظم الولايات التابعة لحسن الطويل[3] الذي كان قد كرس الكثير من وقته لحل المشكلات الداخلية لإمارته وعلى حد قول الغياثي فإنه "لم يغادر من أمور العدل شيئاً يقدر عليه إلاّ فعله"[4]، ولعل قانونه الذي عرف بأسمه في الشكاوى والتخاصم وتقليله نسبة الضرائب التي ستطرق إليها لاحقاً كان سبباً لهذا الاستقرار الذي لم تعكره سوى حادثه واحدة تمثلت بالتمرد الذي قاده ابنه أوغرلو محمد عليه سنة 879هـ/ 1474م[5] وتأييد ولده الآخر مقصود بيك حاكم بغداد لهذا التمرد عندما سهّل لشقيقه اوغرلو- الذي كان لاجئاً عند السلطان العثماني محمد الفاتح- مهمة الزحف على بغداد[6]. ولكن خليل بيك تصدى له، ولم يمكنه من بغداد، فاضطر اوغرلو للهرب إلى اقليم بلاد الجبل حيث قتل هناك بأمر من حسن الطويل سنة 880هـ م1475م[7]، أما مقصود بيك فقد عزل عن الحكم وسفّر إلى بلاد فارس ليكون تحت رقابة شقيقه الآخر السلطان خليل[8].

---

(1) أبو بكر الطهراني: المصدر السابق، جـ2، ص 539. الغياثي: المصدر السابق، ص 387. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 239.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 388. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 241.

(3) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 182.

(4) التاريخ الغياثي، ص 392.

(5) يشير الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي إلى أن العلاقة بين أوغرلو وأبيه لم تكن طيبة منذ سنة 874هـ لاعتقاد اوغرلو بأن والده لم ينصفه باقطاعه ولاية أصفهان، لذلك توجه إلى السلطان العثماني محمد الفاتح، وفي سنة 879هـ استلم تقريراً مزوراً عن وفاة والده ودعي ليتبوأ العرش مكانه فاحتل شيراز، ولكن والده قبض عليه. انظر: التاريخ الغياثي، الهامش التحقيقي السادس، ص 388.

(6) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 249. وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق، ص 388.
Romer: op.cit, Vol. 6, p. 180.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 388-389. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 249. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 249. وحدد البدليسي مقتله بسنة 879هـ الشرفنامه، جـ2، ص 107 في حين ذكر الغفاري بأنه قتل سنة 881هـ تاريخ جهان آرا، ص 253.

(8) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 241.

ويلاحظ أن دوافع خليل بيك من تصديه لا وغرلو لم تكن إلاّ بقصد الإنفراد بحكومة بغداد، لذلك غضب عليه حسن الطويل وعزله عن الحكم وعين بدلاً عنه شاه علي الذي باشر الحكم يوم الجمعة 6 رمضان سنة 879هـ/ 1475م أما الأمير المعزول فقد عيّن حاكماً على الحلة[1]، وكان هذا التعيين مصيدة له، إذ ما أن استقر في الحلة، حتى أرسل حسن الطويل جماعة للقبض عليه، ولكن خليل بيك تمكن من الهرب في اللحظات الاخيرة إلى القائم وذلك في 7 جمادي الأولى سنة 880هـ / 1475م ومنها إلى المشعشع فحل محله في حكم الحلة الأمير حمزة[2].

وقد مكث شاه علي سنتين وعشرة شهور حاكماً على بغداد، ثم عزل عنها وحل محله إبراهيم الوزير الذي باشر الحكم أوائل رجب سنة 882هـ/ 1477م فلم يستقر في الحكم سوى شهر وبضعة أيام ليعزل لمصلحة أمير آخر هو الشيخ حسن الذي تسلم مهامه يوم الأثنين 17 شعبان سنة 882هـ/ 1477م[3]، وفي عهده حدثت تطورات سياسية كان لها أثر على الحالة الأمنية لولايته تمثلت بوفاة حسن الطويل بتاريخ 27 رمضان سنة 882هـ/ 1477م[4] ووقوع خلافات بين أولاده الخمسة على السلطنة[5]، فاستغل المولى محسن بن محمد المشعشع الذي كانت إمارته قد اتسعت كثيراً[6] هذا التطور فأرسل نائبه على الرماحية إلى أطراف الحلة بحجة

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 389.

(2) المصدر نفسه، ص 389-390. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 250.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 390.

(4) المصدر السابق، ص 391. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 107. وحدد السخاوي وابن العماد وفاته بشهر رجب أو جمادي الآخرة سنة 882هـ . الضوء اللامع، جـ3، ص 112-113. شذرات الذهب، جـ7ن ص 334.

(5) Kafes Oglu: A.g. e, s, 884.

(6) شملت هذه الإمارة في عهد المولى محسن اكثر توابع شيراز وعبادان والدوق والسواحل الشرقية للخليج العربي حتى بندر عباس وجميع البنادر (المواني‍ء) إلى حدود فارس، ثم كوه قيلوية ودهشت ورامهرمز وامتدت شمالاً فشملت شوشتر والبختارية ولورستان وبيات وبشكتموه وكرمنشاه وسيمرا (الصميرة) وبهبهان. انظر: نورس، علاء موسى كاظم، ورؤوف، عماد عبد السلام: إمارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد للنشر، بغداد ، 1982، ص 23.

تعقب عدد من أتباعه الفارين منه، ووصل هذا إلى ناحية قناقيا قرب الحلة، فنهب وقتل جماعة من آل جحيش وآل جوذر التي تقع مضاربهم في هذه المنطقة ثم قفل راجعاً إلى بلدته[1].

ويبدو أن عدم تصدي الشيخ حسن للمشعشعين أثار غضب سلطان الآق قوينلوي خليل بن حسن الطويل فعزله، وعين بدلاً عنه كلابي بن أمير بك الشهير بتوقات بايندر، فوصل هذا بغداد في 23 ربيع الأول سنة 883هـ / 1478م [2] وفي عهد هذا الحاكم عاود المشعشعون تحرشاتهم بمناطق نفوذ الآق قوينلو في العراق لاسيما أطراف بغداد التي تعرضت يوم الأربعاء 19 جمادي الآخرة سنة 883هـ / 1478م إلى غارة مشعشعية قادها المولى محسن الذي تمكن من دخولها والخالص متزلاً النهب والقتل والأسر فيها لمدة ثمانية أيام ارتحل بعدها عائداً إلى الرماحية[3].

ويبدو أن غارات المشعشعين جاءت بهدف اختبار مدى قوة حاكم بغداد الذي لم يتخذ من الاجراءات في التصدي لهم غي قتل حاجي ناصر القتباني وأولاده بحجة تعاونهم مع المشعشعين[4].

عزل كلابي عن حكومة بغداد يوم 15 ذي الحجة سنة 883هـ / 1479م[5] ويبدو أن أسباب عزله على يد السلطان يعقوب الذي كان قد اعتلى عرش السلطنة[6] في شهر جمادي الأولى سنة 883هـ/ 1479م [7] كان بسبب إخفاقه في التصدي للمشعشعين.

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 394. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 285-295. اشتور: المرجع السابق، ص 350.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 390 وهامش المحقق رقم (3)، ص 395. وانظر: البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص 416.

Reid, James, J: Tribalism and Society in Islamic Iran 1500-1629 " Malibu, California, 1982 ", p. 101.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 394. اشتور: المرجع السابق، ص 350-351.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 395.

(5) المصدر نفسه والصفحة.

(6) جاءت تولية السلطان يعقوب بعد مقتل أخيه السلطان خليل، الذي لم يدم حكمه سوى ثمانية شهور قبل أن يقتله أحد جنود السلطان يعقوب في يوم الأربعاء 14 ربيع الثاني سنة 883هـ . انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 392-393 والهامش التحقيقي الأول، من ص 393. والغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 253-254. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 108.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 393.

وفي غضون ذلك كان المماليك يراقبون عن كثب التطورات الحاصلة في العراق فوجدوا أن التدهور الناجم عن كثرة التغيرات الحاصلة على حكومة بغداد ونجاح غارات المشعشعين، واختلاف عسكر الآق قوينلو على السلطان يعقوب فرصة مؤاتية على ما بدا لهم للسيطرة على العراق، فأعدوا حملة عسكرية كبيرة بقيادة الدويدار الكبير الأمير يشبك[1]. الذي قاد الحملة المشار إليها باتجاه الرها سنة 885هـ/ 1480م كهدف أولي ينطلق منه للسيطرة على العراق[2].

ولكن هذه الحملة اصطدمت عند مشارف الرها بتحشدات آق قوينلوية قوية أسفرت عن هزيمة ماحقة للجيش المملوكي[3]، وهي على حد وصف ابن أياس لها "كانت مصية عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها لعسكر مصر .... بحيث إن حوافر الخيل كانت لا تطأ إلاّ على جثث القتلى من العسكر"[4].

وإذا كان المماليك بهذه الهزيمة قد غضوا الطرف عن السيطرة على العراق فان المشعشعين استمروا في سعيهم لتحقيق هذا الهدف، فلم تنقطع غاراتهم على مناطق نفوذ الآق قوينلو فيه وأدت هذه الغارات إلى اضطراب أوضاعه سياسياً واقتصادياً، ولمعالجة ذلك أرسل السلطان يعقوب جيشاً كبيراً تمكن من كسر شوكتهم، وذلك سنة 889هـ/ 1484م[5].

---

(1) يذكر ابن أياس أن الأمير يشبك تعرض لإغراءات بهدف السيطرة على العراق منها ما قال له أحد الأعاجم المطلعين على أحوال العراق من أن مملكة الآق قوينلو "سائبة وأن العسكر مختلف على ابنه يعقوب ومتى حاربتهم لا يقدروا على محاربتك ويسلموك مملكة العراق قاطبة". فاستجاب الأمير يشبك لهذا الإغراء. وقد بلغ تعداد الحملة عشرة آلاف مقاتل ونفقاتها أكثر من مائة ألف دينار. تاريخ ابن أياس، جـ2، ص 195، 198. وانظر: السخاوي: الذيل التام، ص 266.

(2) ابن أياس: المصدر السابق، جـ2، ص 195، 198.

(3) للإطلاع بشكل مفصل على هذه المعركة، انظر: ابن أياس: المصدر نفسه، جـ2، ص 198-199. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 109. والصيرفي ذكرها باختصار، انظر: أنباء الدهر بأنباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1970م، ص 507-508. طرخان: المرجع السابق، ص 138-139. الجواهري: المرجع السابق، ص 39-42.

(4) ابن أياس: المصدر السابق، جـ2، ص 199.

(5) القرماني: المصدر السابق، ص 337. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 268. اشتور: المرجع السابق، ص 351. ويشير الشوشتري إلى أن المشعشعين لم يتعرضوا لبغداد بعد حملة السلطان يعقوب عليهم حتى سنة 914هـ وفي هذه السنة تعرضت بغداد لإحدى غاراتهم، ولكن حاكم بغداد الصفوي تصدى لها، وقتل السيد محمد ابن المولى محسن. انظر: مجالس المؤمنين، جـ2، ص401.

توفي السلطان يعقوب سنة 896هـ/ 1490م[1]، وبوفاته اضطربت أحوال الآق قوينلو، بسبب صراع الأبناء على السلطة[2]، وكان لحاكم بغداد شاه علي برناك دور فيها بدعم ابقاء العراق تحت زعامة محمود بيك بن اوغرلو محمد، وكان محمود هذا قد عارض سلطة بايسنقر بن يعقوب[3].

ويلاحظ أن محمود بيك ما أن وطد سلطته في العراق حتى أخذ يستهدف مناطق نفوذ بايسنقر ومنها ناحية دركزين وبروجرد[4]، ولكن الأمير صوفي خليل قائد عسكر بايسنقر تصدى له وتمكن من قتله وقتل شاه علي[5]. ولكن الأوضاع السياسية لم تستقر كثيراً لمصلحة بايسنقر، فقد أطلق بعض الأمراء الآق قوينلو سراح منافسه الآخر رستم بيك بن مقصود بن حسن الطويل الذي كان مسجوناً في قلعة النجق (الانجاق) ودعموه بجيش كبير تمكن به من دحر بايسنقر الذي التجأ إلى حاكم شيروان فرخ يسار أواخر شهر رجب سنة 897هـ/ 1491م. أما رستم بيك فإنه قصد تبريز وأعلن تسلطنه فيها وجاءته الوفود من العراق وفارس وباقي الولايات لتقديم الهدايا وفروض الطاعة[6].

واستمر رستم بيك سلطاناً على الآق قوينلو حتى مقتله سنة 902هـ/ 1496م على يد كوده أحمد بن اوغرلو محمد الذي حلّ محله في السلطنة[7]، ولكنه ما لبث أن قتل أيضاً على يد بعض أمرائه وذلك سنة 903هـ/ 1497م بعد حكم دام ستة شهور[1].

---

(1) ابن طولون، شمس الدين محمد: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1962، ق1، ص 137. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 114. ابن العماد: المصدر السابقن جـ7، 359.

(2) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص114. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. وعن تفاصيل هذا الصراع ، انظر: العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 280، 284-286.

(3) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 285- 286.

(4) دركزين وبروجرد: مدينتان تقعان في أقليم بلاد الجبل الأولى تقع شمال همدان والثانية جنوبها. لسترنج: المرجع السابق، ص 231، 235. وانظر: الخارطة قبالة ص239. المصدر نفسه.

(5) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 144. مرتضى أفندي: المصدر السابقن ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 285-286.

(6) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 114-115. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 287-288.

(7) روملو، حسن بيك: أحسن التواريخ، تصحيح: عبدالحسين نوائي فرمنكستان أدب وهنر، إيران، ص 27. البدليسي: المصدر السابق ،ص2، ص116.

وبمقتل كوده أحمد انقسمت إمارة الآق قوينلو إلى أجزاء عديدة يحكم كل جزء أمير مستقل، مراد بن يعقوب في شيروان، والوند بن يوسف في أذربيجان، وأخوه محمدي في يزد[2]. أم العراق فقد اشتدت المنافسة عليه بين مراد بن يعقوب ومحمدي اللذين دخلا في مواجهة عسكرية أسفرت نتيجتها عن مقتل محمدي واستيلاء مراد على العراق، وذلك سنة 905هـ/ 1497م [3] باستثناء الموصل التي استقل فيها حاكم ديار بكر أمير بيك بن الأمير كلابي بن توقمان حتى الاحتلال الصفوي لها[4].

---

(1) البدليسي: المصدر نفسه والصفحة. مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 178. لين بول: المرجع السابق، جـ2، ص 540.

Minorsky: The Aq-Qoyunlu and Land Reforms " B. S. O. A. S., vol. XVII, part 3, 1955, " p. 460.

(2) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 302-303. لين بول: المرجع السابق، جـ2، ص 540.

(3) مرتضى أفندي: المصدر السابق، ص 179. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 305.

(4) Reid: opcit, p. 101. Minorsky: Asoyurghal of Qasim B. Jahangir Aq-Qoyunlus " B. S. O. A. S., vol. IX, Part 4, 1939 " p. 936.

والبدليسي يسميه أمير خان بن كلابي بك بن أمير بك الشهير بتوقات بايندور، ويذكر أنه كان حاكماً لارزنجان على عهد حسن الطويل، وأصبح في أواخر عهد الآق قوينلو حاكماً لديار بكر. أنظر: الشرفنامه، جـ1، ص 461، جـ2، ص 127، ووردت التسمية عند حسين محمد القهواتي باسم عمر بيك، ولعله تحريف لأمير بيك. انظر: العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب بجامعة بغداد، 1975م، ص 41، والهامش الثاني. وتشير المعلومات إلى أن هذا الأمير قد أعلن إنضمامه إلى الشاه إسماعيل الصفوي. انظر: علي، علي شاكر: ولاية الموصل في القرن السادس عشر، دراسة في أوضاعها السياسية والإدارية والاقتصادية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل 1992، ص 37.

وخلال هذه الأحداث تعاظمت قوة الصفويين بزعامة إسماعيل الصفوي[1]، الذي لم يتأخر عن استغلال فرصة انشغال الآق قوينلو بمشكلاتهم وصراعاتهم الداخلية ليحل محلهم. فقاد جيشه سنة 905هـ/ 1499ز نحو شيروان فضمها لمملكته[2]، ثم تحرك نحو تبريز، وفي المواجهة مع الوند حاكم أذربيجان سنة 907هـ/ 1506م تمكن من إنزال هزيمة ساحقة به أعقبها احتلاله تبريز[3]. أما الوند فقد فرّ مذعوراً إلى بغداد ومنها إلى ديار بكر ليقتل هناك[4]، كما أن مراد قد تلقى أيضاً هزيمة قاسية على يد الصوفيين قرب همدان وذلك يوم السبت 24 ربيع الأول سنة 908هـ/ 1502م، فالتجأ إلى بغداد التي كان يحكمها نائباً عنه باريك بيك برناك[5].

وبهذه الانتصارات يكون الشاه اسماعيل قد أحكم سيطرته على جميع مناطق نفوذ الآق قوينلو في بلاد إيران، وأصبح العراق هدفاً حتمياً له.

---

(1) إسماعيل الأول الصفوي: مؤسس الدولة الصفوية في إيران ينحدر من أسرة من الدراويش استقرت باردبيل من أعمال أذربيجان منذ عهد الشيخ صفي الدين إسماعيل جبرائيل. وقد دعم حسن الطويل هذه العائلة على أثر طرد جهانشاه القره قوينلو أحد أبنائها المدعو جنيد فقبل لجوءه عنده وزوجه اخته التي ولد منها حيدر، فتزوج حيدر بنت حسن الطويل فولدت منه إسماعيل، فتمكن هذا بما امتلك من مكانة اجتماعية بوصفه رجل دين وصاحب حنكة سياسية من جمع أتباع كثيرين حوله مؤلفاً منهم جيشاً يسمى قزل باشي لأنهم كانوا يلبسون القلانس الحمراء وقادهم بعد أن حلت الفوضى بإمارة الآق قوينلو في أواخر عهدها في الإستيلاء على مناطق نفوذ هذه الإمارة في إيران والعراق، وللتفاصيل، انظر: البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 118–120. جمعة، بديع وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، جـ1، ص28–31. الشيبي، كامل مصطفى: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، ط1، مكتبة النهضة، بغداد، 1966م، ص 393–410. هيوار: مادة اسماعيل الأول: دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م2، ص 175.

(2) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص120. الشوكاني: المصدر السابقن جـ1، ص 271. لونكريك، ستيفن هيسلي: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط5، مكتبة اليقظة العربية بغداد، 1985م، ص 31.

(3) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 120. بروكلمان: المرجع السابق، ص 497. الشيبي: المرجع السابق، ص 409.

Dafes Oglu: Ak-Koyunlu devleti, s, 884.

(4) لونكرك: المرجع السابق ، 2 31.

Romer: op.cit, Vol. 6, p. 183.

(5) البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 121، 128. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3ن ص 308.

أخذ مراد يعقوب يتشبث بالمعونة من جميع الجهات، ولكنها لم تأته من أحد، فالمماليك الذين قصلهم لم يسعفوه[1] لأن أوضاعهم السياسية لم تساعدهم على تقديم العون له بسبب انشغالهم في موجهة الخطرين العثماني[2] والبرتغالي[3]، كما أن إمارة ذي لغادر التي كان أميرها علاء الدولة قد تحالف معه لم يستطع أن يسانده لأن الصفويين قد اكتسحوا بلاده[4]. وأمام هذا الإخفاق فضل الالتجاء إلى بلاط السلطان العثماني ليقيم هناك[5] تاركاً أمر بغداد وتقرير مصيرها لنائبه فيها الامير باريك، ولكن باريك لم يظهر ما يدل على وجود رغبة جادة في المقاومة على الرغم من عدم امتثاله لرغبة الشاه في مقابلته[6]، ولذلك فهو ما أن سمع بأن إسماعيل الصفوي قد أرسل حملة لاحتلال العراق بقيادة حسين بيك لاله حتى هرب تاركاً بغداد تواجه مصيراً قاسياً على يد الصفويين الذين احتلوها سنة 914هـ/ 1508م[7]. وبذلك طويت صفحة من صفحات الاحتلال الأجنبي للعراق لتبدأ صفحة أخرى أكثر دموية ومقتاً.

---

(1) ابن أياس: المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، القاهرة، 1961، جـ7، ص 773-774.

(2) الحمداني: طارق نافع: علاقات المماليك المصريين بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع ق 16م ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد الخامس، العدد 17، 1985، ص 156.

(3) دارج، احمد السيد: المماليك والفرنج في القرن 9هـ/ 15م، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص 127. فهيم: المرجع السابق، ص 13. قهواتي: العراق بين احتلالين، ص 42.

(4) القهواتي: العراق بين احتلالين، ص 39-41.

(5) لونكرك: المرجع السابق، ص 31.

Romer: opcit, Vol. 6, p. 183.

(6) كان الشاه إسماعيل قد أرسل قاصداً عنه إلى باريك، فقوبل القاصد بمظاهر الأحترام والتكريم وأعلن باريك للقاصد بأنه طائع منقاد للشاه وأرسل من طرفه رسولاً عنه ومعه هدايا وتحف لتأكيد طاعته ولكن الشاه إسماعيل الذي عامل الرسول بلطف رفض الهدايا وطلب أن يأتي باريك بنفسه طائعاً. وذلك هو ما أثار مخاوف باريك الأمر الذي دفعه على تحصين بغداد ثم مالبث أن ترك هذا الأمر هارباً إلى مدينة حلب. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 314-315. قهواتي: العراق بين احتلالين، ص 43-47. الجواهري: المرجع السابق، ص 55-56.

(7) ابن أياس: المختار من بدائع الزهور، جـ7، ص 774. البدليسي: المصدر السابق، جـ2، ص 128. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 315. لونكرك: المرجع السابق، ص 31. علي : دولة الآق قوينلو، 17.

الفصل السادس

الإدارة والجيش

أولا : الإدارة:

1- التقسيمات الإدارية

2- طرق الإدارة وأساليبها

3- الجهاز الحكومي

ثانيا : الجيش

الفصل السادس
الإدارة والجيش

أولاً: الإدارة:

1- التقسيمات الإدارية:

سبق أن أشرنا فيما تقدم إلى أن العراق كان في العهد الايلخاني يقع ضمن ثلاث ولايات هي: ولاية العراق العربي، وولاية ديار بكر، وولاية بلاد الجبل، وكان لكل ولاية حاكمها الخاص المرتبط بصورة مباشرة بالسلطان، أما الشؤون العامة فكانت تأخذ طابعاً مستقلاً خاصاً بها. وظلت هذه التقسيمات سارية في العهد الجلائري[1]، بيد ان القره قوينلو لم يأخذوا بهذه التقسيمات، فالمعلومات المتوفرة تشير إلى أن العراق في بداية عهدهم جرى توحيده بولاياته الثلاث تحت إدارة واحدة هي إدارة الشاه محمد الذي مدّ نفوذه إلى شمال العراق بما فيه شهرزور[2] ونصب ابنه شاه علي حاكماً على الموصل واربل[3]، وأعطى حكم كركوك وداقوق وهيت للمقربين إليه[4]. وفي أواخر عهد اسبان كانت صورة العراق الموحد أكثر وضوحاً، فقد امتدت مناطق نفوذ اسبان من سنجار وتل اعفر والموصل واربل شمالاً حتى الحويزة وأطراف البصرة جنوباً[5]. وبقيت هذه الحالة قائمة كذلك في عهد محمدي وبير بوادق أولاد جهانشاه[6].

ويبدو أن الوضع الإداري ظلّ على حاله في عهد الآق قوينلو، إذ لم يرد في المصادر ما يشير إلى حدوث أي تغيير إلاّ في المدة التي شهدت نهاية حكمهم بسبب الاضطراب السياسي وصراع الأمراء على السلطة، فانفصلت الموصل عن تبعيتها لبغداد وأصبحت مركزاً لولاية ديار بكر[7].

---

(1) عن بقاء التقسيمات الإدارية الايلخانية قائمة في العهد الجلائري، انظر: العاني: المرجع السابق، ص41.

(2) Minorsly: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 60.

(3) الخوافي: المصدر السابق، جـ3، ص 207.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 253. وبالنسبة لهيت، انظر: الخوافي: المصدر السابق، جـ3، ص207.

(5) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 271-276. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص 398-399.

(6) بسبب غارات آل فضل والمشعشعين لم تكن سلطة حكومة بغداد كاملة على المدن العارقية، فقد انتزع الكثير من المدن العراقية لاسيما الغربية والجنوبية من حكم هؤلاء. ولكن حيثما مدّ القره قوينلو نفوذهم كانوا يلحقون إدارة المدن ببغداد.

(7) Reid: op.cit, 101.

2ـ طرق الإدارة وأساليبها:

تشير المعلومات المتوفرة عن هذا الجانب إلى أن تعيين الحكام والموظفين في تلك المدة كان يتم بالشكل الآتي:

أ- يجري تعيين حاكم الولاية من قبل الحكومة المركزية في تبريز.

ب- ويجري تعيين حكام المدن والموظفين في الغالب من قبل حكومة الولاية، وقلّما كانت الحكومة المركزية تتدخل في هذه التعيينات باستثناء تعيين قره يوسف لابنه ابي القاسم حاكماً على تكريت سنة 814هـ/ 1411م [1] وتعيين جهانشاه لابن أخيه الوند حاكماً على الموصل سنة 850هـ/ 1446م [2]، وتعيين حسن الطويل الأمير حمزة حاكماً على الحلة سنة 880هـ/ 1475م[3].

ولم يختلف اسلوب الإدارة في ذلك العهد عنه في العهدين الايلخاني الجلائري، فقد بقي القره قوينلو والآق قوينلو يجمعون بين اقطاع الولاية وإدارتها وكانت تقع على حكامها من المقطعين مسؤولية تحصيل الموارد المالية لمصلحة الحكومة المركزية، بعد اقتطاع جزء منها لحكومة الولاية أو المقاطعة، كما تقع عليهم أيضاً مسؤولية ضبط الأمن وتهيئة الجند عند الحاجة[4]، ولنا في ذلك أمثلة، فقره يوسف قد اقطع الشاه محمد ولاية بغداد مدة عشرين سنة[5]، فعندما امتنع محمد عن تسديد ما بذمته من أموال لحكومة تبريز غزاه قره يوسف واستصفى أمواله سنة 823 هـ/ 1420 م[6]، وحدث للسبب نفسه غزو جهانشاه لبغداد في عهد بير بوادق سنة 869 هـ/ 1464م. وفي المقابل كان حاكم الولاية يقطع المدن التابعة له لابنائه وأعوانه والمقربين له، فقد كانت الدجيل اولكة إقطاعاً لميرزا علي ثم اصبحت لاسبان، وكركوك للوند[7]، كما كان باقي المدن العراقية تدار باسلوب الإقطاع[8].

---

(1) Sumer: A.g.e, 1, cilt, s, 85.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 305.

(3) المصدر نفسه، ص 390.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 300.

(5) Minorsky: The Qara Qoyunlu and Qutb Shahs, p. 60.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص 533. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص 98.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 250-251، 280.

(8) انظر: المصدر نفسه، ص 253، 262، 267، 269.

وقد استمر الآق قوينلو على هذا النظام الذي غلبت عليه تسمية السيورغال[1]، ولم يعد منح السيورغال مقتصراً على ابناء الأسرة الحاكمة وأمراء الجيش، بل شمل العلماء من رجال الدين، ومع أننا لا نمتلك معلومات عن تملك هؤلاء العلماء سيورغالات في العراق، فقد علمنا أن اردستان[2] كانت سيورغالاً لأفراد من هؤلاء العلماء، الذين كانت لهم سيورغالات كبيرة أيضاً في اصفهان[3].

3ـ الجهاز الحكومي:

لم يتخلص القره قوينلو من نظمهم العشائرية في إدارة الإمارة والولايات التابعة لها، فقد بقي الحكم في نظرهم إرثاً مشتركاً يتقاسمه أبناء العائلة الحاكمة ولا يجوز لأحد من غيرهم أن يشاركهم فيه[4]. وكان رئيس العشيرة الذي يسمى اولوباي هو الحاكم الفعلي للإمارة ويجري انتخابه عن طريق أفراد العشيرة الحاكمة[5]، فقره يوسف كان اولوباي القره قوينلو ولم يلقب نفسه بسلطان واكتفى بلقب نويان[6] اعظم[7]، في حين لقب ابنه بير بوادق بلقب سلطان سنة 810هـ/ 1407م [8] وكان دافعه إلى ذلك اسباغ الصفة الشرعية على حكم ابنه ليسوغ توسعه على حساب الجلائريين كما تقدم إيضاح ذلك في الفصل الثاني. ومع أن اسكندر لم يلقب نفسه بلقب سلطان[9]، مكتفياً بمنصب أولباي، فإن جهانشاه تلقب بهذا اللقب[10]، وكذلك تلقب حكام الآق قوينلو ابتداءاً من عهد السلطان حمزة بلقب سلطان[11]، انسجاماً مع روح العصر وشعرواً بالعظمة.

وكان الالوباي أو السلطان يقيم في مركز الإمارة تبريز، يساعده في حكم الولايات الشاهزادكية "أبناء الاولوباي أو السلطان" فجميع حكام العراق كانوا من أبناء قره يوسف

---

(1) عن السيورغال، انظر: الفصل الاقتصادي.

(2) اردستان: مدينة حصينة تقع في إقليم بلاد الجبل. لسترنج: المرجع السابق، ص 243.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 454.

(4) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض، ص 265.

(5) Uzuncarsili: Anadolu, s, 199.

(6) عن لقب النويان، انظر: مبحث الجيش.

(7) Uzuncarsili: Osmanle Devleti, ss, 286, 288, 290.

(8) خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 576. منجم باشي: المصدر السابق، م3، ص 150.

(9) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 288.

(10) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 280.

(11) الغياثي: المصدر السابق، ص 373، 375.

وأحفاده، وكان على هؤلاء الأبناء "الشاهزادكية" الرجوع إلى الاولوباي أو السلطان في كل أمر يتعلق بالحرب والسلم[1]، كما كان عليهم حضور مجلس القوريلتاي[2]، لتنصيب أحد الأمراء في السلطنة[3]، أو لمناقشة أمور الأمارة، كما تقع عليهم مسؤولية إمداد حكومة المركز في تبريز بالعسكر عند الحاجة، وقد كان في عهد القره قوينلو أو الآق قوينلو – على حد سواء – ديوان مركزي يشرف على جميع امورها ويوسف المشرف عليه، بأنه الصاحب، الأعظم[4]، أو الصدر[5]، وفي نهاية عهد الآق قوينلو أطلق عليه اسم الوزير الأعظم[6]. وتتبع هذا الديوان دواوين متخصصة هي:-

أولاً: ديوان الاستيفاء[7] : ومسؤولياته ضبط الصادرات والواردات والموازنة بينهما، ويسمى الذي يتولاه : مستوفي الممالك[8].

ثانياً: ديوان النيشان: ومسؤولياته كتابة الأوامر والفرامين[9]، ويسمى متوليه بروانجي أعلى، ويجب أن يكون على إطلاع واسع بالخط والإملاء وترتيب المعاني[10]، وصاحب هذا المنصب، يقابل كاتب الإنشاء عند الجلائريين[11].

ثالثاً: ديون التواجي: ويتخصص بقضايا الإدارة والتموين، فضلاً عن مسؤوليات أخرى، كما سنرى ذلك في مبحثنا عن الجيش.

رابعاً: ديوان الصدر: ويتخصص بالوظائف الدينية، كما سنرى ذلك لاحقاً.

---

(1) Uzuncarsili: Andolu, ss, 199-200.

(2) القوريلتاي: كلمة مغولية تعني المؤتمر العام الذي يحضره جميع الحكام والأمراء.

(3) يذكر فاروق سومر أن قره يوسف استدعى جميع حكام الولايات والأمراء لحضور قوريلتاي تنصيب بير بوداق سلطانا على القره قوينلو.

Kara Koyunlular, 1, cilt, ss, 89-90.

(4) Uzuncarsili: Anadolu, s, 200.

(5) Hinz: A. g. e, ss, 87-88.

(6) A. n. e., s, 87.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s, 200.

(8) A.n.e, s, 201. Hinz: A. g.e, s, 200.

(9) Uzuncarsili: Anadolu,s, 200.

(10) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 299.

(11) العاني: المرجع السابق، ص 100.

ويقابل هذا الموضع الإداري في المركز ترتيب مصغر مثله في الولايات، ففي العراق كان الشيخ درسون أمير ديوان الشاه محمد[1]، وكان الخواجه بير أحمد وزيراً لاسبان والمسؤول عن استيفاء الأموال[2]، كما كان علي كيوان وزيراً لبير بوادق[3]، وشاه علاء الدين وزيراً لحاكم بغداد الآق قوينلوي خليل بيك[4].

ومثلما كان للاولوباي أو السلطان نواب ينوبون عنه في حال غيابه عن مركز الإمارة تبريز[5]، كان لحكام الولايات من ينوب عنهم، فقد عهد اسبان لسعاد تيار نيابة بغداد في أثناء مدة غيابه في شمال العراق[6]، وعهد بير بوادق بهذه المهمة للأمير سيدي محمود في اثناء وجوده في شيراز[7]، ويشير فاتر هينز إلى أن منصب النائب، أو الوكيل من ضمن المناصب الإدارية التي كانت قائمة في عهد السلطان يعقوب الآق قوينلو[8]. ويذكر القلقشندي أن واجبات النائب ويسميه نائب الغيبة "ليس إلاّ لاخماد الثوائر وخلاص الحقوق"[9].

وكان سلاطين القره قوينلو والآق قوينلو يعمدون إلى جعل أولادهم صغار السن حكاماً على الولايات والمدن ليتعلموا ويمتلكوا خبرة الحكم يساعدهم في ذلك أمراء من ذوي الخبرة في الإدارة، وكان هؤلاء المساعدون يسمون لالا[10]، وتقع على اللالا تبعة حكم الولاية

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص 249. وكان للشاه منصور زينل حاكم بغداد ديوان لم يذكر الغياثي من تولاه. انظر: ص 335 من كتاب: التاريخ الغياثي.

(2) المصدر السابق، ص 268.

(3) المصدر نفسه، ص 308.

(4) المصدر نفسه، ص 390.

(5) تولى الأمير علي كوجك سنة 812هـ نيابة تبريز في أثناء مدة غياب قره يوسف عنها في شرق الأناضول، وقد تولى الشاه محمد هذا المنصب أيضاً نائباً عن والده على تبريز سنة 813هـ. انظر: خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 576-577.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 267.

(7) المصدر نفسه، ص 308.

(8) Uzun Hasan, s, 88.

(9) صبح الأعشى، جـ4، ص 17-18.

(10) لالا: كلمة فارسية تعني الخادم أو المربي. انظر: طلائي: المرجع السابق، ص 521. وهذا المصطلح يقابل مصطلح الاتابك الذي يتعهد بتربية أولاد السلاطين وتدبير شؤون المملكة. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 18، جـ6، ص 5. العاني: المرجع السابق، هامش 97، ص 123-124.

لأنه المسؤول الأول عن إدارتها[1] فقد عين الشاه محمد ابنه صغير السن شاه علي حاكماً على الموصل واربل سنة 814 هـ/ 1411م وجعل حسن أغا لالا عليه[2]. وفي سنة 850 هـ/ 1446م عيّن جهانشاه ابنه الصغير السن محمدي على ولاية بغداد، وجعل تدبير المملكة بيد الأمير عبدالله كبر فكان هو الحاكم والمتولي، وما كان لمحمدي غير الاسم[3]. وكان خليل بيك لالا للشاب مقصود بيك بن حسن الطويل حاكم بغداد[4].

وعلى غرار حكومة المركز كانت لحاكم الولاية مجموعة من الموظفين أيضاً، ومنهم:-

أولاً : المهردار: وتقع عليه مسؤولية ملازمة الحاكم في حله وترحاله، كما أنه المسؤول عن حياته الخاصة[5]، وممن تولى هذه المسؤولية الامير حسين شاه الذي كان مهرداراً لحاكم بغداد بير بوداق[6].

ثانياً : مير أخور: وهو المسؤول عن اصطبل الحاكم[7]، وله صلاحية إعطاء الخلع للأشخاص ممن هم دون منصبه[8]. ومن بين الذين تقلدوا هذا المنصب في عهد اسبان الأمير حسن[9].

ثالثاً : جاندار: وهو الذي يستأذن لدى دخول الأمراء للخدمة، ويدخل أمامهم إلى الديوان[10] ويقدم البريد[11]. ويؤكد أوزن جارشلي أن هذا المنصب كان قائماً في حكومة القره قوينلو ويضيف أن واجباته كانت تتداخل مع واجب المردة دار، أي الحاجب ومع واجب المصاحب أي النديم[12].

---

(1) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 291.

(2) الخواقي: المصدر السابق، جـ3، ص 207.

Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 89.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 288، 205.

(4) الغفاري: تاريخ جهان أرا، ص 253.

(5) Uzuncarsili: Omanli Devleti, s, 291.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 310.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 18-19.

(8) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 291.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 279.

(10) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 20-21.

(11) Uzuncarsili: Anadolu, s, 201.

(12) A. n. e, s, 201.

رابعاً : أمير كاوليه: ويقابله عند المماليك أمير الاستادارية[1]، وعند الجلائريين امير الباورجيه[2]. وواجباته الإشراف على مطبخ السلطان أو الحاكم وتقديم الطعام والشراب له[3]، وربما كلفوه ببعض المهام الخطيرة، فقد أرسل جهانشاه ثلاثة من كاوليته إلى بير بوداق لحثه على إنهاء تمرده عليه والخروج من شوشتر وذلك سنة 866هـ/ 1461م[4].

خامساً : ركابدار: أي صاحب الركاب[5]، ومروض الجياد، وقد تقلد هذا المنصب في عهد قره يوسف الأمير حجي كوجك[6].

سادساً : المهندار[7] : ووظيفته تلقي الرسل الواردين إلى دار الإمارة أو الولاية وإنزالهم في دار الضيافة والتحدث بأمرهم[8]، وكان يعقوب شاه بن اسطا علي الارزنجاني مهمنداراً لاسكندر ابن قره يوسف[9].

سابعاً : رقيب دارك وهو عين الحاكم على كل صغير وكبير[10].

ثامناً : الاناق: وواجبه تنظيم عملية الاتصال مع حكام المدن التابعين للولاية[11].

تاسعاً: الداروغه: أي الحاكم العسكري للمدينة وتتداخل سلطته مع سلطة الشحنة التي تقارب وظيفة مدير الشرطة في وقتنا الحاضر، وواجباته الأساسية القضاء على

---

(1) المصدر نفسه، جـ4، ص 13، 21-22.

(2) العاني: المرجع السابق، ص 78.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص 290، وهامش المحقق رقم (14) من الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 290، 317.

(5) المصدر نفسه، ص 335، وهامش المحقق رقم (2) من الصفحة نفسها .

(6) خواندمير. المصدر السابق، م3، ص 576.

(7) المهندار: بالفارسية معناها الضيف. طلائي: المرجع السابق، ص 552.

(8) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 22.

(9) السخاوي: الضوء اللامع، جـ10، ص 280-281.

(10) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 294.

(11) A. n. e, s, 294. Uzuncarsili: Anadolu, s, 201.

حوادث الفتن والعصيان وأعمال الشغب[1]، وممن تولى هذه المسؤولية الأمير بسطام الذي كان حاكماً للحلة وشحنة لها سنة 857هـ/ 1453م[2].

ويطلق على جميع هؤلاء الأمراء مصطلح أمراء النوكرية أي الملازمين لخدمة السلطان أو الحاكم، والغياثي يردد هذا المصطلح كثيراً في معرض حديثه عن أمراء القره قوينلو[3].

وكانت هناك وظائف مالية أقل مرتبة من الوظائف التي ذكرناها آنفاً، منها وظيفة توشمال، وواجبه الإشراف على عملية جمع الضرائب والرسوم وإرسالها إلى ديوان الاستيفاء[4]. ويبدو أن صاحب هذه الوظيفة هو نفسه التمغاجي[5] أو المحصل. وكان في بعقوبة تمغاجي اسمه إبراهيم أعدمه الشاه محمد لتآمره عليه[6]، وفي بغداد في عهد بير بوداق أستوفى التمغاجي فضيل من أهلها قسراً مالاً كثيراً فثاروا عليه وقتلوه[7]، وكذلك وظيفة مجيب الغلة التي كانت معروفة في عهد اسبان وتقع على متوليها مسؤولية توفير الغلة لاجل عليق خيل العسكر في أثناء مدة الحرب[8].

أما الوظائف الدينية التي كانت ترتبط بديوان الصدر فهي:-

أولاً : قضاء القضاة:

وموضوع هذه الوظيفة كما يشير القلقشندي التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها، والقيام بالأوامر الشرعية، والفصل بين الخصوم ونصب النواب للتحدث فيما عسر على قاضي القضاة مباشرته بنفسه، وهي أرفع الوظائف الدينية وأعلاها قدراً وأجلها رتبة[9].

وقد كان لولاية بغداد قاضي قضاة، وكذلك للموصل، ويبدو أن أرتباطهما كان بقاضي قضاة المملكة في مركز الإمارة في تبريز.

---

(1) عن الدراوغة والشحنة، انظر: طلائي: المرجع السابق، ص 369. العاني: المرجع السابق، ص 101، وهامش رقم (57)، ص 63.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص 309.

(3) انظر: التاريخ الغياثي، ص 140، 279-280، 310، 315، 322-323، 325.

(4)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 301.

(5) التماغجي: مشتق من التمغا، والتمغا كلمة مغولية تعني الضريبة والمشرف على تحصيلها يسمى تماغجي. عن ذلك، انظر: طلائي: المرجع السابق، ص 190.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص 250 الجدول.

(7) المصدر نفسه، ص 318.

(8) المصدر نفسه، ص 271-272.

(9) صبح الأعشى، جـ4، ص34-35.

ولم يكن لهؤلاء القضاة حرية الرأي فقد عُذب قاضي قضاة بغداد تاج الدين أحمد بن محمد بن أحمد الحنفي البغدادي (571-834هـ/ 1350-1430م) وجدع أنفه لتعرضه لفساد قره يوسف وأولاده[1]، وفي الموصل توفي علي يد اسبان للسبب نفسه جراء العقوبة القاضي محمد بن طاهر بن قاضي قضاة الموصل شمس الدين بن يونس الموصلي في سنة 833هـ/ 1429م[2].

وفي عهد الآق قوينلو، ونظراً لتقرب سلاطينهم من علماء الدين نال القضاة حرية الحركة وعهد للبعض منهم كقاضي قضاة المملكة وكان يدعى عيسى مهمة الاشتراك مع الوزير الديلمي في إصلاح النظام المالي للإمارة وذلك على عهد السلطان يعقوب[3]، ويبدو أن قضاة الولايات المرتبطين به قد شاركوه في هذه المهمة.

وكانت أصول جميع من تولى هذا المنصب في العراق محلية، وهذه دلالة على ان أمور الشرع الإسلامي بقيت بأيدي السكان المحليين، ففي الموصل انحصر هذا المنصب في عائلة ابن يونس الموصلي[4]، وممن تولوا منصب قاضي قضاة بغداد، فضلاً عن تاج الدين المذكور آنفاً القاضي علاء الدين علي بن شمس الدين محمد بن أبي الفتح الكتاني الحنبلي[5]، والقاضي مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الحنفي[6]، وعز الدين بن علي بن أبي العز البغدادي الحنبلي[7]. وفي الموصل تولى هذا المنصب، فضلاً عن شمس الدين بن يونس ابنه أبو الفضايل عبدالله بن يونس الشافعي وحفيده شهاب الدين بن أبي العباس أحمد بن أبي الفضايل عبدالله الذي كان قاضي قضاة الموصل سنة 845هـ / 1441م وأعقبه أبو القاسم مظهر بن أبي الفضايل[8]. ويلاحظ من مذاهب هؤلاء القضاة أن هذا المنصب لم ينحصر بمذهب واحد في ذلك العهد.

---

(1) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ 2، ص 111-112.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، جـ 7، ص 274.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 451.

(4) انظر: مجهول: اكسير الذهب في علم النسب، نسخة الخطاط يوسف ذنون المصورة عن نسخة أصلية بحوزة توفيق نعمان الفخري، الورقة 67-69.

(5) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ2، ص 245.

(6) المصدر نفسه، جـ2، ص 245-246.

(7) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ3، ص 173-174. السخاوي: الذيل على رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جودة هلال، الدار المصرية للتأليف والنشر، الهامش ص 115. العمري: غاية المرام، ص 257.

(8) مجهول: اكسير الذهب، الورقة 67-69.

ثانياً: القضاء:

ويأتي هذا المنصب في المرتبة الثانية بعد منصب قاضي القضاة، وهم عادة قضاة المدن والقرى ويتم تعيينهم من قبل قاضي قضاة الولاية، ويبدو أن بغداد كان فيها أكثر من قاض، وهذا هو ما يفهم من كلام الغياثي، فقد ذكر أن حاكم بغداد الآق قوينلوي استدعى قضاة بغداد لمحاكمة شاه منصور بن زينل فعقدوا مجلساً وأصدروا حكماً بقتله لجرائم ارتكبها بحق الرعية وذلك يوم الأثنين 14 جمادي الآخرى 874 هـ / 1469م[1]. ومن قضاة بغداد نظام محمود السديراني الشافعي[2]، وأحمد بن عبدالرحيم الشهير بالعراقي المتوفى سنة 826هـ/ 1422م [3]، وأحمد ابن وجيه[4]، ويوسف بن قوام الدين، وقد تولى الأخيران هذا المنصب في عهد الآق قوينلو[5]. أما قضاة باقي المدن العراقية فالمصادر لا تسعفنا بأسمائهم باستثناء قضاة الموصل واربل، فقد ذكر صاحب أكسير الذهب: أن ابن يونس الشافعي كان قاضياً للموصل وان ابنه أبا الفضايل عبدالله كان قاضياً لاربل. ومن أحفاد ابن يونس الذين تولوا هذا المنصب في الموصل أيضاً نصير الدين علي وعون الدين أحمد[6]. ويذكر الغزي أن علي بن أحمد الاربلي المتوفي سنة 903هـ/ 1497م كان أحمد العدول العراقيين[7].

ثالثاً: الإفتاء:

يتولى صاحبها إيجاد الحلول للمشاكل والقضايا المتجددة في ضوء الشريعة الإسلامية، وقد تولى هذا المنصب في إمارة الآق قوينلو إدريس بن حسام الدين البدليسي الذي كان مفتي لديار المملكة[8]. وفي بغداد وباقي المدن العراقية قام بعض علماء الدين لمهمة الإفتاء ومنهم أحمد بن محمد بن محمد الجلال أبي الطاهر بن شمس الدين المدني الحنفي الذي اتخذ من

(1) التاريخ الغياثي، ص 335-336.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، جـ 4، ص 154.

(3) العمري: غاية المرام، ص 256.

(4) ابن أياس: المصدر السابق، جـ2، ص 145.

(5) الغزي: المصدر السابق، جـ1، ص 319.

(6) اكسير الذهب، الورقة 67-69.

(7) الكواكب السائرة، جـ1، ص 267.

(8) المائي، أنور: الأكراد في بهدينان، مطبعة الحصان، الموصل، 1960، هامش ص 126.

المدرسة المستنصرية مكاناً لإفتائه[1]، وكان الشيخ أحمد بن فهد قد قام بهذه المهمة في الحلة أيضاً[2].

رابعاً: الحسبة:

وموضوعها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومراقبة المعايش والبضائع، والأخذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته[3]، وواجبات صاحبها تقابل اليوم ما تقوم به دوائر الشؤون الاجتماعية والصحية والبلدية. وكان المحتسب يعمل تحت سلطة القاضي[4]. وجاء في وثيقة آق قوينلوية تعود إلى عهد السلطان يعقوب إصدار قانوني المملكة أوامره للمحتسبين في جميع الولايات بضرورة تنفيذ عقوبات صارمة بحق شاربي الخمر[5].

خامساً: نقابة الأشراف:

وقد ظهرت هذه النقابة منذ القرن الثالث الهجري، والأشراف هم المتمون إلى أسرة الرسول- ﷺ - وانحصر اللقب بالعباسيين والعلويين[6] والنقيب هو زعيم إحدى الأسرتين العلوية "الطالبية" والعباسية "الهاشمية" وقد فقدت نقابة العباسيين أهميتها في العهد الايلخاني في حين اكتسبت نقابة العلويين احترام الحكام المغول[7].

ونقابة العلويين التي كان يطلق عليها في عهدي القره قوينلو والآق قوينلو اسم نقابة الأشراف وظيفة شريفة موضوعها كما يذكر القلقشندي "التحدث عن ولد علي بن أبي طالب - ﷺ - من فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - ... و الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المعتدي منهم ونحو ذلك"[8].

وقد كانت رئاسة هذه النقابة تنحصر في هذا العهد ببعض الأسر التي سبق وأن تول أبناؤها هذه المسؤولية في العهود السابقة كما هي الحال في نقابة الأشراف في الموصل التي كان متوليها في عهد تيمور نصير الدين عبيدالله أبا المحامد وبعد وفاته سنة 802هـ / 1399م انتقلت

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص 194، 198.

(2) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص 396.

(3) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 37.

(4) خصباك: المرجع السابق، ص 72.

(5) Minorsky: The Aq-Qoyunlu and Land Reforms, p. 451.

(6) أرندنك: مادة شريف، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية، م13، ص 272. رشاد: الموصل في عهد السيطرة المغولية، م2، ص 231.

(7) العاني: المرجع السباق، ص 111.

(8) صبح الأعشى، جـ4، ص 37-38.

رئاستها إلى ابنه عماد الدين أبي الفداء علي جعفر بن نصير الدين وأعقبه بعد وفاته سنة 810 هـ / 1407م ابنه النقيب أبو القاسم مرتض الدين الذي استمر عليها حتى وفاته سنة 842 هـ / 1438م لكونه لم يخلف ولداً فقد انتقلت زعامة النقابة إلى حفيد آخر من أسرة نصير الدين هو ركن الدين أبو محمد الحسن والذي أطلق عليه صاحب اكسير الذهب لقب نقيب النقباء. ويبدو أن حكام القره قوينلو قد ضايقوا ركن الدين هذا فترك زعامة النقابة وانتقل إلى حصن كيفا فحل محله أخوه نقيب النقباء نصير الدين أبو القاسم محمد الذي نال مكانة عظيمة عند الحاكم الآق قوينلوي حسن الطويل وقد تعاقب أولاد وأحفاد نصير الدين على هذا المنصب حتى نهاية عهد الآق قوينلو[1].

وعلى ما يبدو فإن بعض النقباء كان لهم دور في الأحداث السياسية في العراق في نهاية عهد الآق قوينلو لاسيما السيد محمد بن حسين بن ناصر الحسيني وهو من أكابر السادة والنقباء في العراق وقد تخوف منه آخر حكام بغداد الآق قوينلوي باريك لاعتقاده بأنه من المعارضين ضد الوجود الآق قوينلوي في العراق فاعتقله، فبقي في معتقله حتى الاحتلال الصفوي للعراق[2].

سادساً: إمارة الحج:

من المعروف أن موكب الحجيج كان يخرج من بغداد إلى الديار المقدسة في كل سنة، إذا لم يكن هناك خطر محتمل الوقوع. وقد جرت العادة أن يتولى الأشراف على هذا الموكب أمير مهمته حمايته وصيانة أمنه خلال السفر، وهو يتصدرهم في القيام بشعائر الحج في مكة وعرفات، ومن الشروط الواجب توفرها في الأمير الخبرة بمسالك الطريق ومنازل الأعراب ومكامن اللصوص، ويعمل بأمرته عدد من الرجال المسلحين[3]. وممن تولى هذه الوظيفة في عهد القره قوينلو شاب من التركمان يدعى الأمير جعفر الذي قاد قافلة حجاج بغداد

(1) اكسير الذهب، الورقة 66-70.

(2) القهواتي: العراق بين احتلالين، ص 45، والهامش الأول.

(3) هورفتز: مادة أمير الحج، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية)، م 2، ص 649. العاني: المرجع السابق، ص 114.

سنة 850 هـ / 1446م [1]. وفي سنة 877 هـ / 1472م قاد محمل[2] الحاج العراقي الأمير رستم وصحبته القاضي أحمد بن وجيه[3].

ثانيا: الجيش:

اعتمد القره قوينلو والآق قوينلو في تشكيلاتهم ونظمهم على ما ورثوه من نظم وتقاليد سلجوقية مع ملاحظة التأثيرات المغولية "الايلخانية الجلائرية" عليها[4]، فالتقسيمات القيادية كانت على الشكل الآتي: قيادة الجيش، وكانت بيد الاولوباي أو السلطان بوصفه الزعيم والمسؤول عن حماية الأمة "الالوس"[5]. وكان الاولوباي يحمل رتبة نويان[6]، أعظم[7]، وهو الذي يعلن الحرب والنفير العام، وله حق قيادة الجيش وتقرير الصلح والإنسحاب وتسريح الجيش[8]. يساعده في القيادة أمراء الالوس، وهم عادة من ابناء الشاهزادكية "ابناء الاولوباي أو السلطان" ومن المقربين إليه[9]. ويختار من امراء الالوس أمير الأمراء ويسمى كذلك باسم الأمير الأعظم[10] أو الأمير الكبير[11]، وكان يطلق على أمير الأمراء في العهد الايلخاني لقب

---

(1) السخاوي: التبر المسبوك، ص 148.

(2) المحمل: هو جمل محمل بأشياء وكسوة مخصصة لتغطية الكعبة. سليم، محمد رزق: عصر سلاطين المماليك، ط2، دار الحمامي للطباعة، 1965، جـ2، ص 139.

(3) ابن أياس: المصدر السابق، جـ2، ص 145-146.

(4)Uzuncarsili: Anadolu, s, 203.

(5)Uzuncarsili: Osmanli Dcvleti, s, 287.

(6) نويان: كلمة مغولية، والنوين هو الذي يطلق عليه أمير التومان أي أمير العشرة آلاف رجل وهي أعلى رتبة عسكرية عند المغول. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 423. عميد، حسن: فرهنك عميد، سازمان جاب وانتشارات جاويدان، ص 1076.

(7) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 290.

(8) عن إصدار هذه الأوامر انظر أمثلة عنها عند: الغياثي: المصدر السابق، ص 294.

Hinz: A. g. e, s, 42.

(9) انظر: Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 116-117.

في الحديث عن اسبان والأمير سعد الله.

(10) اتش، مادة آق قوينلو: دائرة المعارف، م1، ص 285.

Uzuncarsili: ANadolu, s, 207.

(11) Hinz, A, g. e, s, 42.



بكلاري بك[1]، وهو بمثابة نائب القائد العام للقوات المسلحة أو وزير الدفاع في زماننا، وكان يخاطب في عهد قره يوسف بلقب أمير قرمان[2] أي "الأمير البطل"، وما يميزه عن باقي الأمراء وجود نجمة ذهبية على قبضة سيفه[3]، وجميع أمراء الالوس كانوا برتبة النوين[4]. وتلي هذه الرتبة رتب أقل، ومع أن بعض المصادر تشير إلى أن الرتب كانت موجودة عند الأمراء ولكنها لم تعددها، فخواندمير يذكر أن علاقة بسطام جاكير أمير أمراء قره يوسف كانت جيدة مع قائده ومع الأمراء الأقل رتبة منه على اختلاف مراتبهم[5]، وكما كان الأمر عند الايلخانيين فثمة وجود لرتبة أمير آلاف، ثم أمير المائة ويليه أمير العشرة[6].

ومن الذي تقلدوا مناصب قيادية قره يوسف الذي كان اولوباي القره قوينلو برتبة نوبان أعظم[7] وما يقال عنه يقال عن سلاطين القره قوينلو والآق قوينلو الآخرين. وكان ابنه اسبان من أمراء الالوس، وكذلك الأمير سعدالله وهو من ابناء قبيلته[8]، وهناك أمراء الوس آخرون لم تذكر المصادر اسماءهم، لكن الغفاري يشير إلى أنهم كانوا حاضرين ليلة احتضار قره يوسف ووفاته، وذلك يوم الخميس سابع ذي القعدة سنة 823هـ/ 1420م[9]، وممن تقلد منصب أمير الأمراء في عهد قره يوسف غير بسطام جاكير الأمير بير عمر[10]، وكان بير علي بيك أمير الأمراء في عهد جهانشاه والحاكم المطلق[11]. وفي عهد الآق قوينلو كان قاسم بروانجه

---

(1) بكلاري بك: يشير القلقشندي إلى أن قيادة الجيش الايلخاني كانت بيد أمراء الألوس، وهم أربعة، أكبرهم بكلاري بك وهو أمير الأمراء وإليه يقطع أمر كل ذي سيف فهو آمر الجيوش والعساكر. صبح الأعشى، جـ4، ص 423- 424.

(2)Uzuncarsili: Osmanli Develti, s, 309.

(3)Uzuncarsili: Anadolu, s, 207.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ 4، ص 423.

(5) تاريخ حبيب السير، م3، ص 570.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص 423.

(7) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 290.

(8) Sumer: A. g. e, 1, cilt, ss, 116-117.

(9) تاريخ الغفاري، ص 248.

(10) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص 59.

(11) Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 69.

كبير أمراء حسن الطويل[1]، والأمير خليل موصلو قائد عسكر السلطان رستم والمتنفذ في شؤون مملكته[2].

أما جيش الولاية فكان يتولى قيادته حكام الولاية، ابناء الشاهزداكية، فأبناء قره يوسف الشاه محمد واسبان وابن جهانشاه بير بوداق تولوا قيادة جيش بغداد، وكذلك كان لدى حكام بغداد الآق قوينلو، ولكن المصادر لا تشير إلى أن هؤلاء الحكام كانوا يحملون رتباً عسكرية أم لا ، كما لم يصل إلينا شيء عن رتب أمرائهم غير شيوع تسمية النوكرية عليهم[3] دون التمييز بين رتبهم[4]، وكان للحاكم الحق في منح الأفراد الذين يقدمون الخدمات له لقب أمير كما هي حال محمود الحمال الذي منحه الشاه محمد لقب أمير مع سيف[5].

ومما يلحظ أن موظفي ديوان الولاية كانت عليهم مسؤوليات عسكرية، فضلاً عن وظائفهم الأصلية، فالأمير درسون صاحب ديوان الشاه محمد قاد عسكر بغداد لاحتلال الحلة سنة 825هـ/ 1421م[6] وبير بوداق حاكم بغداد قد عهد في أثناء وجوده في شيراز سنة 858هـ / 1454م بقيادة تشكيل من عسكره للأمير حسين شاه مهردار وأمره بالتوجه إلى بغداد[7].

وقد اعتمد جيش القره قوينلو والآق قوينلو في تشكيلاته العسكرية على صنفين رئيسيين هما الفرسان الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للجيش لحسن تدريبهم وخفة حركتهم وسرعة تنقلهم والصنف الثاني هم المشاة[8]، وقد استخدم القره قوينلو في بداية عهد الإمارة في تقسيم الجيش إلى مجموعات على نظام القوشون[9]، وتعني الفوج، وكان عدد أفراد القوشون الواحد في عهد قره محمد القره قوينلو الذي توفي سنة 791هـ/ 1388م ثلاثمائة رجل،

---

(1) Hinz: A. g. e, s, 42.

(2) Minorsky: The Aq- Qoyunlu and the Land Reforms, p. 457.

(3) النوكرية: مفردها نوكر وهي كلمة فارسية تعني: الرفيق. الخادم. المستخدم. العبد. عميد: المرجع السابق، ص 1076، التونجي: المرجع السابق، ص 579.

(4) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص 262، 280، 322-323، 325.

(5) المصدر نفسه ، ص 253، 266.

(6) المصدر نفسه، ص 139، 249.

(7) المصدر نفسه، ص 310.

(8) انظر: Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 60.

Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 181-182.

(9) القوشون: كلمة فارسية وتركية تعني الجيش، المجموعة العسكرية، الفوج، انظر: التونجي: المرجع السابق، ص 446. العاني: المرجع السابق، هامش (90)، ص 164.

وكل قوشون مقسم إلى ثلاثين مجموعة كل مجموعة تتألف من عشرة رجال(1)، ولكن عدد أفراد القوشون لم يكن ثابتاً كما كانت الحال عند التيموريين، فالعدد يرتفع وينخفض بحسب كثافة الجند وطبيعة الحرب(2)، وإذا كانت المصادر قد أعطت معلومات جيدة عن أعداد الجيش فهي لم تشر إلى عدد القوشونات التي كان يتألف منها، ففي بداية عهد قره يوسف كان عدد الجيش القره قوينلوي يتراوح بين (1000) إلى (20000) مقاتل(3) – والعدد يرتفع وينخفض بحسب طبيعة الظروف السياسية المحيطة به لملاحقة تيمورلنك له – وقد وصل العدد في نهاية عهد قره يوسف إلى (40000) مقاتل(4)، وقد تضخم هذا الجيش في عهد أولاده، فوصل في عهد جهانشاه إلى (150000) مقاتل(5)، وفي عهد حسن علي تراوح بين (180000) (6) إلى (200000) مقاتل(7). كما تضخم جيش الآق قوينلو كذلك فبلغ في عهد حسن الطويل زهاء (100000) رجل وهذا ما جاء على لسان شاهد عيان هو سفير دولة البندقية كاترنو زينو(8).

أما عن جيش بغداد فالمعلومات تشير إلى أن الشاه محمد سرّح جيشه ولم يحتفظ إلاّ بقوة صغيرة لحماية أسوار المدينة(9). وابن تغري بردي يذكر أن جيش اسبان كان ألف مقاتل(1). وأن

---

(1) العاني: المرجع نفسه، ص 152.

(2) بلغ عدد أفراد القوشون الواحد في جيش أبي بكر بن ميرانشاه التيموري في أثناء حربه مع قره يوسف سنة 809 هـ خمسمائة رجل. Sumer: A.g.e, 1, cilt, s, 71 في حين كان عند تيمور في منغولستان بحدود ألف رجل وفي ما وراء النهر بين خمسين ومائة رجل وكلتا المنطقتين من أملاك تيمور. العاني: المرجع السابق، ص 152. في حين كان الفوج في دولة المغول في الصين عشرة آلاف فارس. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 644.

(3) انظر: Minorsky: The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs, p. 57.

(4) انظر: الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ2، ص 183. ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص 445. السخاوي: الضوء اللامع، جـ 6، ص 216. الشوكاني: المصدر السابق، جـ2، ص 56-57.

(5) Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 310.

(6) خواندمير: المصدر السابق، م4، ص 87. الغفاري: تاريخ جهان أرا ص 250. منجم باشي: المصدر السابق، م 3، ص 154.

(7) الغياثي: المصدر السابق، ص 329.

(8) Romer: op.cit, Vol. 6, p. 181.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص 248.

وأن بير بوداق كان له جيش ضخم بدليل أن ولاية العراق وفارس كانت تخضع لحكمه وأن جهانشاه تخوف من هذا الجيش، ولوضع حد له غزا بغداد سنة 869هـ/ 1464م ولا توجد لدينا معلومات عن أعداد جيش حكام بغداد الآق قوينلويين.

وقد اتبع القره قوينلو والآق قوينلو الخطط التقليدية المعروفة لدى المسلمين في تقسيم وتعبئة الجيش إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة، فالذي يتقدم الجيش كان يطلق عليه بشدار قسمي(2)، والغياثي يسميه قراول(3)، وغالبية هذه القوة كان تتألف من العبيد(4). والبدليسي يطلق على قائد جيش المقدمة اسم قائد الطليعة(5)، وعادة ما يكون هذا القائد من أشجع القواد وأحياناً كان يتولى هذه القيادة كبير الأمراء كما حدث في معركة موش، فقد كان كبير أمراء الآق قوينلو قاسم بروانجه يتصدر طليعة جيش، حسن الطويل(6). أما القلب أو المركز فيسمى اولوغ كول، وكان فيه السلطان أو قائد الجيش، وجيش الميمنة كان يسمى بارانجور ويعرف جيش الميسرة جوانغار، وفضلاً عن هذا التقسيم كان هناك جيش الاحتياط، ويوجد عادة في مؤخرة الجيش وأحياناً على بعد مسيرة يوم أو يومين منه، وكان يطلق على هؤلاء اسم اوروغ(7).

ولنا مثال في تطبيق هذه التعبئة أو التشكيل فقره يوسف عندما التقى في جمادي الأولى سنة 809هـ/ 1405م مع جيش أبي بكر ميرزا بن ميرانشاه التيموري كان في مقدمة جيشه

Minorsky: Jihan Shah Qara-Qoyunlu and his Poetry, p. 274.

(1) النجوم الزاهرة، جـ15، ص 45.

(2)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

(3) التاريخ الغياثي، ص 254-255، 212. وقراول: كلمة فارسية تعني الجندي المراقب من الأبراج أو طلائع الجيش. انظر: التونجي: المرجع السابق، ص 443.

(4)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

(5) شرفنامه، جـ2، ص 102.

(6) المصدر نفسه والصفحة. وانظر كذلك:

Hinz: A. g. e, s, 42.

(7)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 307.

الأمير بير حسن في حين كان على الميمنة الأمير سعدالله وعلى الميسرة الأمير ديزك أم القلب فكان فيه قره يوسف[1] نفسه.

وكان الجيش القره قوينلوي والآق قوينلوي على مستوى عالٍ من الضبط والنظام العسكري، ويشير اوزن جاوشلي إلى أن مستوى الضبط عند القره قوينلو والآق قوينلو كان أعلى مما في باقي الإمارات التركمانية، ولكن الآق قوينلو فاقوا بمستوى ضبطهم للجيش جيش القره قوينلو حتى أن السلطان العثماني محمد الثاني (الفاتح) أبدى إعجابه بتنظيم جيش حسن الطويل[2].

وكان يشرف على أمن الجيش وتنظيمه إدارياً وتموينياً التواجي، ويرأس هذا التنظيم أمير يسمى أمير التواجي له ديوان خاص يسمى ديوان التواجي يضم السجلات المتعلقة بالجيش كأسماء الجند وأموالهم الاجتماعية وأوصافهم كما أن التواجي كان مسؤولاً عن لوازم الجيش ومتابعة تحركاته وتسجيل الخسائر والغنائم، وكانت تناط به أيضاً مسؤولية تجميع الجيش والإشراف عليه وترتيبه وانصرافه أو انسحابه[3]، وربما أسندت إليه قيادة الجيش أو حكم الولايات بدل الشاهرزداكيه أو النيابة عن حكام الولايات، من ذلك أن الأمير بير محمد التواجي كان تواجياً لجهانشاه وقد اسند إليه حكم ولاية بغداد سنة 870هـ/ 1465م[4]، كما تولى الأمير خليل أغا التواجي قيادة جيش حسن الطويل الذي أحتل العراق بعد معركة موش، كما اسند لهذا الأمير مهمة المشاركة بحكم بغداد إلى جانب حاكم بغداد الآق قوينلوي مقصود بيك بن حسن الطويل[5].

وكان الجيش يتكون عادة من الجند النظامي والمتطوعين من أفراد القبائل والعشائر[6]، ويبلغ عدد أفراد الجيش النظامي عند جهانشاه (100000) رجل[1]، ويذكر

---

(1) Sumer: A. g. e, 1, cilt, s, 73.

وفي هذا الصدد يذكر ميرخواند أن اسكندر ابن قره يوسف رتب جيشه إلى مقدمة وقلب وميمنة وميسرة لمواجهة جيش شاهرخ التيموري سنة 832هـ روضة الصفا، م 6، ص 697.

(2) Anadolu, s, 205.

(3) Uzuncarsili: Osmanle Devleti, ss, 305-306.

Anadolu, s, 206.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص 292، 331.

(5) أبو بكر الطهراني، المصدر السابق، جـ2، ص 337. وانظر كذلك: الغياثي: المصدر السابق، هامش المحقق، رقم (9)، ص 334.

(6)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 304. Anadolu, s, 184.

المؤرخ التركي أتش ان الآق قوينلو كان لهم جيش نظامي بحدود (30000) مقاتل تصرف لهم رواتب[2]. واستناداً إلى المعلومات التي أوردها الشهزاده خليل بن حسن الطويل حاكم ولاية فارس في تقرير أعده سنة 881هـ / 1476م فإن الجيش النظامي الدائم لحسن الطويل كان يتكون من (25000) مقاتل منهم (15000) من الفرسان و (10000) من المشاة، ولهذه القوات من العناصر القيادية والملاكات الإدارية ما يكفي لادامتها[3].

وقد تمثل الجيش النظامي أساساً بقوة الحماية الخاصة للسلطان وحكام الولايات، وهذه القوة كانت تنقسم إلى صنفين هما الجاوشان أي الحرس الخاص، والقورجي وهو قوة الحماية الذاتية للديوان[4]. وكان يطلق على القورجي في ولاية فارس في عهد واليها شهزاده خليل بن حسن الطويل مصطلح نوكران خاص وكان عددهم (3230) رجل [5]، يضاف إليهم مقاتلون من صنف البياده[6] والصنف الأخير يسمى أيضاً البياده الأخفاف، وواجباتهم هي المرقبة والاستطلاع وعند قيامهم بعمليات انتحارية كان يطلق عليهم (رعد انداز) وعددهم كان (184) عازياً [7].

وفيما يتعلق بالعناصر العرقية للجيش النظامي فقد ضمّ القره قوينلو إلى قيادة جيشهم عناصر من غير أصولهم التركية، فكان الأمير الكردي شيخ محمود في عداد ياورنة (ضباط) قره يوسف[8].

أما الجيش غير النظامي الذي كان يتكون من متطوعي أفراد القبائل والعشائر العربية والتركية والكردية، فالمصادر تشير إلى أن هؤلاء قد اشتركوا إلى جانب القره قوينلو في حروبهم. ويبدو أن هدفهم كان الحصول على الغنائم والاقطاعات والمناصب، فقره يوسف قد استعان بمتطوعين من بعض القبائل العربية في منطقة هيت، وهزم بمساعدتهم علاء الدولة ابن السلطان

---

(1)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, s, 310.

(2) مادة كاق قوينلو: دائرة المعارف، م1، ص 285.

(3) Romer: op.cit, Vol. 6, pp. 181-182.

(4)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, ss, 291,304.

(5) A. n.e, s, 304.

(6) البياده: كلمة تركية تعني الجندي المشاة. انظر: بندر أوغلو، عبد اللطيف وآخرين: المعجم التركي العربي، منشورات مديرية الثقافة التركمانية، الجمهورية العراقية، 1982م، جـ 3، ص 590.

(7)Uzuncarsili: Osmanli Devleti, ss, 304-305. Anadolu, s, 206.

(8) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص 297.

أحمد في هذه المنطقة سنة 806هـ/ 1403م [1]، وفي عاشر شهر ربيع الأول سنة 820هـ/ 1417م أصدر قره يوسف مرسوماً أقطع فيه الأمير الكردي شرف الدين البدليسي مقاطعة بدليس مع إبقائه على رأس حكومة بدليس وجاء في أسباب المنح "لكمال الإخلاص والاتحاد ونهاية الاختصاص والتضحية" [2] التي أبداها هذا الأمير لقره يوسف عندما وقف إلى جانبه بوجه التيموريين سنة 809هـ/ 1405م و 810 هـ/ 1406م [3]. ويشير فاروق سومر إلى أن ثلاثة آلاف كردي من أكراد جزيرة ابن عمر يتصدرهم الأمير شمس الدين كانوا يحاربون إلى جانب أسكندر ضد قره عثمان الآق قوينلوي سنة 824هـ/ 1421م [4]، وفي سنة 836هـ/ 1432م تمكن الشاه محمد من استعادة حكم الموصل واربل من اسبان بمساندة حاكم حديثة الشيخ حارث الطائي الذي كافأه الشاه محمد لخدماته هذه بأن منحه الموصل إقطاعاً [5]، كما أن الآق قوينلو قد استعانوا بمتطوعين أيضاً من هذه العناصر، لاسيما الأتراك والأكراد، فقد ذكر شاهد عيان هو كاترينو زينو سفير البندقية أنه قد رأى تحت تصرف حسن الطويل جيشاً يقدر بـ (100000) رجل منهم (25000) من الجيش النظامي، والباقون متطوعة من أفراد القبائل [6].

وأخيراً لا بد من القول أن الأسلحة التي استخدمها الجيش كانت تقليدية معروفة في ذلك الزمان كالسيف والسهم والرمح والفأس والعرادة والمنجنيق والسلاحان الأخيران كانا يستخدمان في حصار المدن والقلاع ولقذف الحجارة لهدم الأبراج والأسوار [7] مع التأكيد على أن جيش الآق قوينلو قد استخدم في عهد حسن الطويل سلاحاً جديداً لم يستخدمه القره قوينلو وهو سلاح المدفعية والبنادق النارية، ولكن على نطاق محدود [8]، وكانوا قد حصلوا هذا السلاح من دولة البندقية [9].

(1) ميرخواند: المصدر السابق، م6، ص 445.

(2) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص 391-392.

(3) المصدر نفسه، ص 390. وانظر: خواندمير: المصدر السابق، م3، ص 568.

(4) Kara Koyunlular, 1, cilt, s, 119.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص 253.

(6) Romer: op. cit, Vol. 6, pp. 181- 182.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s, 204.

(8) Kafes oglu: Ak-Koyunlu Devleti, s, 884.

(9) يشير اشتور إلى أن البنادقة قد ارسلوا سنة 878هـ/ 1473م إلى حسن الطويل 52 مدفع هاون ستة منها كبيرة و 500 قربينة (بندقية) وبنادق فتيل مع الذخائر الضرورية لها، فضلاً عن 200 مدرب أشرفوا على تدريب جيش الآق قوينلو على استعمالها. التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص 347.

الفصل السابع

الحياة الاقتصادية

أولا : نظام الأراضي

ثانيا : الزراعة

ثالثا : الصناعة

رابعا : طرق المواصلات

خامسا : التجارة

سادسا : الضرائب وطرق جبايتها

سابعا : النقود

الفصل السابع
الحياة الاقتصادية

أولا: نظام الأراضي

لم يحدث المغول – الايلخانيون والجلائريون – تغيرات كبيرة على نظام الأراضي التي كان يعمل بها في العصر العباسي الاخير، فقد ظلت اصناف الاراضي أراضي الخليفة، واراضي الديوان، واراضي الوقف، والملكيات الفردية كما هي، باستثناء التسميات فقط[1]، وبقيت الدولة هي المالكة القانونية الرئيسة لمعظم الاراضي، ولكن ربح الارض سار إلى وجهة جديدة من بيت المال العام إلى بيت المال الخاص[2]. وهذا النظام اخذ به القره قوينلو والآق قوينلو وطبقوه في مناطق نفوذهم ومنها العراق، ويمكن ملاحظة هذه التطبيقات من خلال:-

1ـ أصناف الأراضي في عهد القره قوينلو والآق قوينلو:

كانت للاسرة الحاكمة الجلائرية في العراق أملاك خاصة، يشمل قسم منها اراضي واسعة في بغداد والمناطق المحيطة بها، وكذلك في منطقة طريق خراسان[3]، ولما كان القره قوينلو قد حلوا محلهم في حكم العراق، فمن المنطقي ان تنتقل ملكيات هذه الأراضي إلى اسرتهم، ومنها انتقلت إلى اسرة الآق قوينلو الذين اطلقوا عليها تسمية اراضي الخالصات[4] أي الاراضي التي اصبحت ملكياتها خالصة للسلطان فقط. اما الاراضي الديوانية فيشير الغياثي إلى ان الشاه محمد اعفى الاراضي الخارجية – وهي اراض ديوانية تعود ملكيتها للدولة – من الخارج لمدة سبع سنوات[5]، ولكون هذا الصنف من الاراضي يشكل معظم اراضي العراق فقد كان اعفاؤه لها سببا لاستقرار احوال ولايته خلال العشر سنوات الاولى من حكمه دون اضطراب[6]. وكانت اراضي الدجيل إلى تكريت خراجية، تدفع الضريبة المقررة عليها لاسبان[7].

---

(1) كان يطلق في هذا العهد على الاراضي الديوانية اسم أنجلو وعلى اراضي السلطان خالصة أو خاص انجو، انظر: العاني: المرجع السابق، ص187، والهامش الثالث، ص204.

(2) علي: ولاية الموصل، ص150.

(3) العاني: المرجع السابق، ص189.

(4) Minorsky: Asoyurghal of Qasim. P. 947.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

(6) المصدر نفسه، ص247.

(7) المصدر نفسه، ص260.

اما الصنف الثالث وهو اراضي الاوقاف، فقد كان على نوعين، اراضي فرزت من الاراضي الاميرية لجهة خيرية أو اراض تعود ملكيتها لافراد خصصوها لجهات البر كالمؤسسات الدينية والخيرية من مساجد ومدارس وخانقاهات. وتشير المعلومات عن العهد الايلخاني إلى وجود قرى بكاملها كانت موقوفة على جهات خيرية[1]، ويقي قسم منها في الجلائري والتركماني[2]، وتتولى ادارة الاوقاف الاسلامية نقابة الاشراف والنصرانية الكنائس والأديرة. وهناك من يذكر ان قره يوسف كان "ديدنه تحسين حالة الموقوفات"[3] واذا صحت هذه الرواية – وهي في الحقيقة لا تتوافق مع سيرته السيئة – فان دوافعه فيها لا تخرج عن نطاق التمويه على الرعية، وصرف انضارهم عن اعماله الفاسدة. ولكن تبقى هناك حقيقة ان هذا الصنف من الاراضي قد نقص في العراق في عهد حكم هذه الاسراة، فالعيني يذكر ان الشاه محمد "استولى على الاوقاف جميعا وقطع ارزاق القضاة والفقهاء"[4]، وما قام به لا يعد سابقة ان مصادرة الاوقاف الاسلامية حدثت كذلك في عهد الحكام الايلخانيين[5]، في حين جرى التوسع في منحها زمن الآق قوينلو ولاسيما في عهد حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب،

---

(1) من هذه القرى قرية القونسية القريبة من الموصل، وقد اوقفها غازان لسادات الموصل وجعل الاشراف عليها لنقيب الموصل ضياء الدين ابي عبد الله زيد، وكان انتاجها السنوي عشرة الآف تغار. مجهول: اكسير الذهب، ورقة 65. وابن فضل الله العمري، يذكر عن اوقاف بغداد انها "لم تتعرض لأيدي العدوان في دولة هولاكو ولا فيها بعدها. بل كان وقفا مستمرا بيد متوليه، ومن له الولاية عليه، وانما نقصت الاوقاف من سوء ولاية امورها لا من سواها، القلقشندي: صبح الاعمش، جـ4، ص331–332 نقلا عن مسالك الابصار.

(2) تضمنت الحجة الموجودة حتى الان في خزانة الكلدان البطريركة والتي يعود تاريخها الى سنة 896 هـ / 1490م اشارت الى جود قرى كثيرة كانت موقوفة لطائفة النساطرة في الموصل واعمالها قسم منها جرى توارثه منذ سنة 511 هـ / 1117م، وبقيت موقوفة لهذه الطائفة حتى نهاية عهد الآق قوينلو وللاطلاع على ما تضمنته هذه الحجة من تفاصيل، انظر: الكلداني، بطرس نصري: كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة دير الاباء الدومنكيين، الموصل، 1913م، جـ2، ص85–86.

(3) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص61، نقلا عن كتاب احسن التواريخ لحسن روملو.

(4) عقد الجمان، ص301 وورد الصيرفي نفس الرواية، انظر: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص399.

(5) اشتور: المرجع السابق، ص339.

فكانت اراضي اردستان – من اعمال اقليم بلاد الجبل – وقفا لابواب البر السلطانية[1]. ويذكر مينورسكي ان دوافع ذلك كانت كسب علماء الدين في الاقاليم المحتلة وتهدئة خواطرهم[2].

اما الصنف الاخير من الاراضي – الملكيات الفردية – فيذكر اشتور ان هذا الصنف قد جرى التوسع فيه كثيرا في عهد الايلخانين، وبيع الكثير من الاراضي المملوكة للدولة للافراد، وربما حدث البيع بسبب حاجة الدولة للأموال، وظهر نتيجة ذلك طبقة جديدة من أصحاب الضياع[3]، كما حدث التوسع في عهد الجلائريين[4]، ويظهر ان هذا الصنف من الاراضي بقي قائما في العراق خلال عهد القره قوينلو والآق قوينلو، فالكلداني يشير إلى ان الموصل واعمالها كانت فيها اراض وقرى وبساتين تعود ملكيتها لافراد من طائفة النساطرة في هذه المنطقة قسم منها متوارث ابا عن جد، ويضيف استنادا إلى الحجة التي سبقت الاشارة اليها إلى ان البطريك شمعون الباصيدي الدهوكي بن فرج الشماس (توي سنة 908 هـ / 1502م) اشترى اراض وطواحين واملاكا اخرى سنة 896 هـ / 1490م اوقفها للطائفة النسطورية وأديرتها، وجعل ادارتها بيد البطريرك. واستحصل لذلك الصكوك الشرعية لاثبات ملكيتها من امارة الآق قوينلو[5].

2ـ الاقطاع:

جرى استخدام الاقطاع في اواخر الخلافة العباسية اسلوبا من أساليب التنظيم الاداري والمالي في الدولة، فكانت الخلافة تمنح الاقطاع لمن تشاء شريطة ان يرسل المقطع الوارد للحكومة بعد قطع جزء منه لنفسه، أو ان يتقبلها المقطع بالضمان عن طريق دفع مقدار معين من المال يدفعه للدولة سنويا، ويحتفظ لنفسه بالباقي[6]. ولم يكن على اصحاب الاقطاع واجبات عسكرية دائما، بل كان عليهم ان يدفعوا الضرائب إلى الديوان[7].

وكان هذا الاقطاع على صنفين: اقطاع تمليك واقطاع استغلال، فالأول يمنح لصاحبه الملكية على نحو دائم أو مدى الحياة، ويعطى عادة من اراضي الموات لاحيائها أو من الاراضي

---

(1)Minorsky: The AQ – Qoyunli and land Reforms, p. 454.

(2)Ibid., p. 450.

(3) التاريخ الاقتصادي، ص339.

(4) انظر: العاني: المرجع السابق، ص190–191.

(5) ذخيرة الأذهان، جـ2، ص85–86، ولمتابعة تاريخ وفاة شمعون الباصيدي، انظر: هامش المرجع نفسه، ص79.

(6) خصباك: المرجع السابق، ص100–101.

(7) الدوري: المرجع السابق، ص28. العاني: المرجع السابق، ص193.

التي توفي اصحابها من غير وارث. والصنف الثاني – اقطاع استغلال – يمنح لفترة محدودة ينتهي استغلاله في حال اخفاقه في تنفيذ الشروط التي من أجلها منح له، وكان يعطي لرجال الجيش والموظفين المدنيين من الاراضي الخراجية بدلا عن الراتب النقدي، وهذا الصنف لا يورث[1].

وكلا من الصنفين لم يكن سمة اساسية للاقتصاد العام للخلافة، في حين اصبح في العهد الايلخاني هو السمة الاساسية لاقتصاديات الدولة لا سيما بعد اصدار غازان تشريعا سنة 703 هـ / 1303م نظم فيه شؤون النظام الاقطاعي في ملكية الاراضي وبموجبه وزع على العسكريين جميعا اقطاعات دون استثناء، واصبح العسكريون نتيجة لذلك هم غالب مالكي الاراضي[2]. فكان ذلك سببا لتحول اقتصاد العراق إلى اقتصاد مقايضة[3]. ووصفت الامارة الجلائرية بانها امارة اقطاعية[4]، وكما هو الحال عند الايلخانيين كان اقطاع الاستغلال عند الجلائريين الاكثر شيوعا[5]. وفي عهد القره قوينلو اقتصر اقطاع الاستغلال والذي يسميه الغياثي 'اولكه'[6] على الامراء والحكام لا سيما ابناء الاسرة الحاكمة. واتسع حجم الاقطاعات فاصبحت تشمل مدنا أو اقاليم بكاملها، وهذا ما نجده في مناطق الدجيل وحربى والخالص وكركوك واربل وآلتون كوبرى والموصل وغيرها[7].

---

(1) الماوردي: المصدر السابق، ص191–198. الدورى: المرجع السابق، ص40. وعن اقطاع التمليك، انظر كذلك: بن جعفر: المصدر السابق، ص215–218.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص317. الجواهري، عماد احمد: ملاحظات عن الاقطاع وحيازة الاراضي في كردستان في العصور الاسلامية، مجلة كاروان، العدد 34، لسنة 1985، ص142.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص317.

(4) العاني: المرجع السابق، ص193. وانظر كذلك: المرجع السابق، ص346.

(5) وللتفاصيل، انظر: العاني: المرجع السابق، ص193–195.

(6) اولكه: تعني الاقطاع، أو المنطقة التي تحت حكم المرء ونفوذه ويراد بها المملكة. التونجي: المرجع السابق، ص83. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، هامش ص131. وانظر: كذلك: التاريخ الغياثي، ص250، وهامش المحقق رقم (8) وص 280، 329.

(7) الغياثي: المصدر نفسه، ص250، 260، 280. الحمداني: المرجع السابق، ص18. الجواهري: ملاحظات عن الاقطاع، ص142. ويذكر اوزن جاوشلي في كتابه .Anadolu, s, 203 بأن معظم الأراضي الاميرية في هذا العهد خصصت كاقطاعات للأمراء.

وكان العراق اقطاعا لحكام القره قوينلو في تبريز[1]. وبهدف تسخير بعض القرى المحلية لصالحهم عمد حكام القره قوينلو إلى منح اقطاعات لزعماء بعض القبائل العربية والعشائر الكردية، فقد منح قره يوسف الشيخ محمود زعيم عشائر المحمودية قلعة اشوت القرية من العمادية كاقطاع[2]، وكذلك فعل الشاه محمد عندما منح الشيخ حارث الطائي الموصل اقطاعا له سنة 836 هـ / 1432م[3]، وكانت تقع على هؤلاء الأمراء مسؤولية ادارة الاقطاع واستثمار ارضها بزراعتها مع تهيئة الجند عند الطلب ودفع جزء من الايراد السنوي للديوان[4]. ويلاحظ ان هذا النمط من الاقطاع لا يشترط ان يقيم الامير في محل اقطاعه، فقد يكلف بحكم مدينة هي ليست اقطاعا له، كما هو الحال بالنسبة للامير ملك شاه الذي عينه قره يوسف حاكما على ماردين سنة 812 هـ / 1409م ومنحه الموصل اقطاعا[5]، وفي هذه الحالة يتعين على الامير ان يعين احد الاشخاص ليقوم بادارة شؤون اقطاعه نيابة عنه.

ويلاحظ في هذا العهد انه قد جرى التوسع في نمط معين من الاقطاع يسمى بـ السيورغال: والسيورغال هي الاملاك التي يمنحها السلطان عن طريق الاحسان والانعام والهبات للاشخاص الذين يقدمون له أو للدولة خدمات معينة ولبعض القريبين ممن لا وظيفة لهم كالشعراء والعلماء ورجال الدين وغيرهم[6]، وكانت خيوط هذا النمط قد تشكلت في العراق منذ العهد الجلائري، وجرى استكماله نظاما اقطاعيا في عهد القره قوينلو والآق قوينلو[7]، وعلى الرغم من ان هذا النمط من الاقطاع هو اقطاع استغلال فانه يختلف عن اقطاع الاستغلال الذي كان سائدا في العهد الايلخاني والذي كان منحة مشروطة تسحب عند اخفاق الاقطاعي، اما في عهد التركمان فقد اصبحت دائمية ووراثية[8]، ولا تشارك الحكومة المقطع (بالفتح) بأي جزء من ايرادات الاقطاع أو حق الاشراف عليها، وكل ذلك يجرى تاكيده في وثيقة المنح. ولنا في ذلك صورة مرسوم يؤكد بعض ما قلناه، اصدره قره يوسف في عاشر

(1) الحمداني: المرجع السابق، ص18.

(2) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص296، والهامش رقم (1).

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص253. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص87.

(4) Uzuncarsili: Osmanli Dvleti, s, 300.

(5) I. A: Kara Koyunlular, Madisi, 6, cilt, s, 298.

(6) العاني: المرجع السابق، ص196، وانظر كذلك:
Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 453. the note.

(7) اشتور: المرجع السابق، ص352.

(8) المرجع نفسه والصفحة.

شهر ربيع الاول سنة 820 هـ / 1416م اعلن فيه لجميع رعاياه بمنح امير الامراء مير شمس الدين ابي المعالي "سيورغالات ... حكومة بدليس واخلاط وخنوس وموش وغيرها من القلاع والتوابع والملحقات والمضافات والمنسوبات إلى الامير المشار اليه يتصرف... في حقوقها الديوانية وعائداتها الاميرية وغيرها من عوائد الايالة وماليتها، فلا يشاركه فيها احد ولا ينازعه بوجه من الوجوه، وايذانا لذلك اصدرنا امرنا هذا السعيد وحكمنا النافذ في جميع الاقطار، ليعلموا بها وألا يتدخلوا في شؤون امارته وبلوكاتها ومزارعها وقشلاتها... وان لا يعارضوا في اعمال رعاياه وتحركات رجاله ولا يزاحموهم قط، وكل من يخالف هذا يعرض نفسه للعقوبة الصارمة... هذا وواجب الامراء والقواد والأعيان والسكان – في هذا السورغان – ... ان يحلوا جميع امورهم وقضاياهم بمعرفة الامير على ايدي رجاله وعماله في البلاد..."[1]، وقد جاء في اسباب المنح ما ورد في مقدمة المرسوم اعلاه والذي تضمن ".. كمال الاخلاص والاتحاد ونهاية الاختصاص والتضحية .." التي ابداها الامير شمس الدين لقره يوسف[2].

وكان اتساع هذا النمط من الاقطاع على نحو كبير في عهد الآق قوينلو قد أدى من غير شك إلى اضعاف السلطة المركزية[3]، ففي هذا العهد وكما جاء في احد وثائق الاقطاعات ان "ارجل الموظفين قد ازيلت وأقلامهم قد رفعت"[4]، وهذا النص تأكيد على غياب اية سلطة ادارية أو مالية على السيورغالات. وبدايات التوسع في منح السيورغالات في العراق وأذربيجان جرت في عهد حسن الطويل الذي لم يقصره على الامراء فحسب بل منح كثيرا منه لعلماء الدين لكسب هذه الطبقة إلى جانبه وكذلك فعل خليفتاه يعقوب شاه[5] ورستم[6]، ومع

---

(1) البدليسي: المصدر السابق، جـ1، ص391-392.

(2) المصدر نفسه، ص391.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص353. وجاء في احدى وثائق اقطاع الآق قوينلو بان اتساع هذا النمط قد ادى إلى تناقص الموارد المالية للدولة بشكل خطير بحيث اصبحت الدولة عاجزة عن اعانة الفقراء وتقوية الجيش، وبالنتيجة اصبحت غير قادرة على مواجهة الانحلال. نظر:

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 456.

(4) اشتور: المرجع السابق، ص352.

(5) المرجع نفسه والصفحة.

(6) يذكر حسن روملو بان السلطان رستم بن مقصود بن حسن الطويل قد منح السيورغالات لرجال الدين واتباعه بحيث فاق ذلك جميع سلاطين القره قوينلو والآق قوينلو الذين حكموا البلاد من قبله، انظر احسن التواريخ، ص27.

ان هذا المنح رافقه تأكيد شرط الخدمة العسكرية[1]، فانه حرم الدولة من موارد مالية كبيرة كانت بحاجة اليها لذا جرت محاولات في اخر عهد السلطان يعقوب لاسترداد الاقطاعات الممنوحة لعلماء الدين ليعاد الاستفادة من مواردها. ولكن جرت مقاومتها من قبل امراء الاقطاع والفقهاء وسقط الموظفون الذين قاموا باجراء الاصلاحات بعد موت السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م[2]، وتكررت محاولة الالغاء في عهد السلطان احمد وعلى نحو اكثر تطرفا عندما رفض التوقيع على وثائق السيورغالات التي منحها اسلافه للامراء ورجال الدين، وهذا الرفض يعني النية في القضاء على هذا النمط من الاقطاع، ومرة اخرى عارض امراء الاقطاع نوايا الامير واسقطوه قتيلا في 17 ربيع الثاني سنة 903 هـ / 1497م بعد حكم دام ستة أشهر[3].

ثانيا: الزراعة:

لغرض تسليط الضوء على حالة الزراعة في العراق في حقبة البحث لابد من القول ان المعلومات المتيسرة غير كافية للتفصيل في هذا النشاط لقلة الجغرافيين المعاصرين الذين كتبوا عن العراق، وما كتبوه في الغالب مستنسخ عن جغرافيي العهود السابقة والتي كانت معلوماتهم مخصصة لحقبة التسلط المغولي والفترات التي سبقتها.

ويمكن القول باطمئنان ان النشاط الزراعي في ظل الفوضى السياسية والحروب والسياسة المالية الجشعة لحكام التركمان، واهمال انظمة الري قد تقلص كثيرا فتناقصت مساحة الاراضي الزراعية لمصلحة التصحر والمستنقعات وانحسر النشاط الزراعي تدريجيا بالمدن الرئيسة واطرافها لاسباب امنية، ولتلافي مشكلات النقل، كما ان الناتج الاجمالي للوحدة الزراعية قد تناقص ايضا، ومع ان الغياثي ينوه بان الغلال كانت في بغداد في بعض السنين كثيرة[4]، فان ذلك لا يعطي مؤشرا على حدوث تحسن في الانتاج الزراعي ولكنه قد يكون مؤشرا على انخفاض الطلب على الناتج الزراعي نتيجة لتناقص السكان. وبعامة بقيت الزراعة هي محور النشاط الاقتصادي للغالبية العظمة من السكان، ويعزى ذلك إلى امتلاك العراق مقومات

---

(1) اشتور: المرجع السابق، ص352.

(2) اشتور: المرجع نفسه والصفحة.

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 452-457.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص352.

Minorsky: The AQ – Qoyunlu and the land Reforms, p. 459.

(4) انظر: التاريخ الغياثي، ص280، 282.

الانتاج الزراعي المتمثلة بتربة خصبة ومياه وفيرة، واحوال مناخية مشجعة. وكانت اهم المناطق الزراعية ومتوجاتها هي:-

1ـ منطقة بغداد والاراضي القريبة منها:

وهي من اهم مناطق العراق الزراعية، ذلك لان وجود نهر دجلة الذي يشقها في الوسط ويقسمها إلى جانبين شرقي وغربي، وقرب نهر الفرات منها جعل كل من دجلة والفرات عاملا اساسيا في انتشار القرى الزراعية الكثيرة فيها، ويلمح الغياثي في معرض حديثه عن الاحتلال الآق قوينلوي لبغداد بانتشار مثل هذه القرى[1]، كما ان الحميري يصف طريق بغداد – الحلة بانه اجمل الطرق لما فيه من بسائط، وذلك بفضل فروع نهر الفرات المنحدرة باتجاه دجلة والتي كانت تسقي تلك البسائط بحيث كانت تتصل يمينا وشمالا حتى جعلت منها موضع انشراح وانسراح لمن يراها[2]، وما يؤكد قول الحميري الرحال الايطالي جوزيف باربارو الذي زار منطقة المحول[3] في اثناء رحلته إلى فارس سنة 876 هـ / 1471م، حيث يصف المنطقة بانها كانت نشطة زراعيا، وتتوافر المواد الغذائية والفواكه فيها بكميات كبيرة، ولا سيما التمور والفستق والمتوجات الاخرى[4]. ولكن هذا الرحالة يقول عن بغداد التي كانت في الماضي مدينة مشهورة، هي الآن خربة إلى حد كبير [5] والخراب لم يطل مبانيها فحسب بل اقتصادها ومنه الزراعة، وهذا ما يؤكده ابن تغرى بردى (توفي سنة 874 هـ / 1469م) فيقول وجف اكثر نخلها زمن الشاه محمد[6] بسبب تخريب قنوات الري[7]، ولا شك ان النخيل كان

(1) انظر: التاريخ الغياثي، ص380.

(2) الحميري، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص197.

(3) بلدة المحول: تقع غربي بغداد بمسافة قليلة، ويمر بمنطقتها نهر عيسى الذي يقطع طريق بغداد – الحلة، كما ان هذه البلدة يمر بها الطريق المؤدي إلى الانبار. لسترنج: المرجع السابق، ص49–50، وانظر: الخارطة مقابل، ص40 من نفس الكتاب.

(4) عن هذا الرحال وما أوردنا من معلومات عنه، انظر: العاني: المرجع السابق، ص215، وهامش رقم (10) من ص232.

(5) اورد هذه المعلومة اشتور نقلا عن كتاب الرحلات لهذا الرحال، انظر: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص358.

(6) النجوم الزاهرة، جـ14، ص349.

(7)Al-feel, Muhannad Rashid: The Historical Geography of Iraq Between the Mongolian and Ottoman Conquests "Nejef, 1965", Vol. 1, p. 232.

من اهم منتوجاتها الزراعية، فهذا ابن فضل الله العمري يقول: "وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والثمر..."[1]. ويوافقه المستوفي القزويني الذي امتدح تمرها المختوم "المكتوم" والخستاوي كما امتدح انتاجها من الرمان الدراجي والعنب المورفي "المراقي" الذي لا يوجد مثيل له في مناطق اخرى[2]، وكان أسبان مغرما باعنابها، وأقام لنفسه فيها بستانا زرعها جميعا بالاعناب[3] وما قاله هؤلاء البلدانيون عن كثرة فاكهتها يؤكده جوسافت باربارو حيث يشير إلى توسعها في زراعة اشجار الفاكهة وكان قسم كبير من الانتاج يصدر كفاكهة مجففة من بغداد إلى فارس[4].

وظلت هذه المنطقة تنتج الخضراوات والغلال كالقمح والشعير والذرة[5] وأشار إلى ذلك الغياثي ضمن احداث سنة 849 هـ / 1445م فيقول "كان ببغداد غلال وخيرات واجناس لا حد لها ولا حساب"[6]. وكانت بغداد تنتج القطن ويجري في كل سنة احتفال بزراعته[7]، ويعتمد على حاصله في صناعة المنسوجات القطنية التي اشتهرت بها بغداد، ولعبت منسوجاته هذه شهرة واسعة في بلاد الشام ومصر، وهذا ما أشار اليه بعض المصادر المملوكية[8].

2. منطقة الحلة والكوفة وكربلاء والأراضي القريبة منها:

احتفظت الحلة كما كانت سابقا ولاحقا بأهميتها الزراعية[9] بحكم موقعها على نهر الفرات وخصوبة اراضيها، فكان النخيل يكثر في داخلها وخارجها وهو سبب لرطوبة

---

(1) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ4، ص332. نقلا عن مسالك الأبصار.

(2) NAzat – Al – Qulub, p. 41.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص277، ويسمى هذه البستان التي دفن فيها بباغجه عيش خانة نفس المصدر والصفحة، وباغجة كلمة فارسية تعني البستان الصغير، وباغج تعني عنب لم ينضج بعد. التونجي: المرجع السابق، ص98.

(4) انظر: اشتور: المرجع السابق، جـ4، ص340.

(5) القلقشندي: صبح الاعشى، جـ4، ص332.

Mustawfi, op. cit, p. 41.

(6) التاريخ الغياثي، ص282، وانظر كذلك: ص280. من نفس المصدر.

(7) Al – Feel: op. cit, Vol, 1, p. 236.

(8) انظر: مبحث التجارة.

(9) ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد: رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981، ص169. الحميري: المصدر السابق، ص197. العمري: غاية المرام، ص64. لسترنج: المرجع السابق، ص98.

هوائها[1]، ويشير الغياثي إلى كثرة غلالها[2]، وكانت حاصلاتها مشابهة لحاصلات بغداد[3] وكانت مدينة النيل القريبة منها والتي يمر منها نهر يسمى باسمها ذات قرى وبساتين تسقى بماء هذا النهر[4].

ومزارع ونخل كثير[5] وليمون[6]، وكان تمر الكناس – حي من أحياء الكوفة – من أجود التمور، وقصب السكر فيها أجود ما في سائر العراق، ويكثر فيها القطن والذرة[7]. وعرفت النجف بكثرة بساتينها ومتنزهاتها[8]. وبها عينان تسقيان عشرين الف نخلة[9]، وتحف بساتين النخيل مدينة كربلاء القريبة منها وتسقيها انهار تأخذ من الفرات[10]، وأخيرا اشتهرت المدن الثلاث بزراعة محصول الرز[11].

3ـ منطقة واسط والبصرة والحويزة والأراضي القريبة منها:

كانت واسط من "اعمر بلاد العراق، وعليها معول ولاة بغداد"[12] لوفرة الخصب فيها، فيها بساتين واشجار كثيرة لا سيما النخل[1]، كما انها وافرة الانتاج من محصول الرز وقصب

---

(1) الحميري: المصدر السابق، ص197. لسترنـج: المرجع السابق، ص98.

Mustawfi: op. cit., p. 47.

(2) التاريخ الغياثي، ص263.

(3) العاني: المرجع السابق، ص216.

(4) لسترنج: المرجع السابق، ص99.

Mustawfi: op. cit., p. 53.

(5) الروض المعطار، ص501.

Al – feel: op. cit., 1, p. 226.

(6) اشتور: المرجع السابق، ص339.

(7) لسترنج: المرجع السابق، ص103.

Al – feel: op. cit., 1, p. 226.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص575.

(9) العمري: غاية المرام، ص70.

(10) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص221. لسترنج: المرجع السابق، ص106.

(11) لسترنج: المرجع السابق، ص102.

Al – feel: op. cit., Vol. 1, p. 218-219, 239.

(12) الحميري: المصدر السابق، ص599.

السكر، ولا سيما في منطقة كسكر القريبة منها وكذلك في منطقة البطائح ذات القرى الكثيرة[2]. وكان اسبان حاكم بغداد يجلب الرز من هذه المناطق على ظهر سفن إلى بغداد[3].

واطرى الجغرافيون والرحالة نخيل وبساتين البصرة وشط العرب والابله[4] فما ركوبولو والمستوفي القزويني اعتبروا تمور البصرة من اجود انواع التمور[5]، وامتدح ابن بطوطة فاكهتها الاثيرة وبساتينها الكثيرة وعسل تمرها[6]، ولا شك ان كثرة انتاجها الزراعي يعود إلى كثرة انهارها التي اشتهرت بها في كل الأزمنة ولا سيما نهر المعقل والابله، وكانت بساتين نهر الابله تمتد على طول النهر[7] وكانت عمليات المد تساعد على وصول المياه من شط العرب إلى الكثير من بساتين هذه المنطقة[8]، ومن محاصيلها الزراعية المهمة الذرة التي كانت تؤكل احيانا بدل القمح، كما كان يزرع فيها الرز والقمح[9]، فضلا عن نوم البصرة[10]. وفي اجزائها الغربية

---

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص183. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. لسترنج: المرجع السابق، ص60.

Mustawfi: op. cit., p. 53.

(2) ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ1، ص206، جـ2، ص712. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص184. الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399. لسترنج: المرجع السابق، ص62-63.

Al – Feel: op. cit., Vol. 1 , p. 219.

(3) الشوشتري: المرجع السابق، جـ2، ص399.

(4) ابو الفداء: المصدر السابق، ص57. ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ1، ص18. ابن بطوطة: المصدر السابق، ص185. الحميري: المصدر السابق، ص105.

(5) رحلات ماركوبولو، ص38.

Nazat – Al Qulub, p. 46.

(6) رحلة ابن بطوطة، ص185-186.

(7) ابو الفداء: المصدر السابق، ص57. الحميري: المصدر السابق، ص105. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص336-337. لسترنج: المرجع السابق، ص67.

(8) الحميري: المصدر السابق، ص105.

Mustawfi: op. cit., p. 45.

(9) Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 235.

Abid, Vol. 1, p. 219, 235.

(10) اشتور: المرجع السابق، ص339.

والجنوبية البعيدة عن الانهر كانت الزراعة فيها تعتمد على مياه الامطار[1]، وفي الغالب كانت هذه المنطقة يزرع فيها الشعير لانه اكثر قدرة على تحمل ملوحة التربة والجفاف من الحنطة، اما اراضي الحويزة وبطائحها فلعل اشهر محاصيلها الزراعية الرز والذرة والقمح والشعير وقصب السكر والقطن[2].

4ـ منطقة طريق خراسان والأراضي القريبة منها:

بقيت هذه المنطقة محتفظة باهميتها الزراعية، وهذا ما يلمح اليه الغياثي، حيث يؤكد ان قراها وغلالها كانت هدفا لغارات عساكر القره قوينلو والمشعشعين[3]. واشتهرت هذه المنطقة قديما وما زالت بالنخيل واشجار الفاكهة، فجلولاء فيها نخل وزروع[4]، اما الطريق الممتد بينها وبين قرية الدسكره فهو بين جبال ورمال ونخيل[5]. وكانت بساتين النخيل متصلة في البندجين اكثرها في باقطانيا[6]. اما بعقوبة فكانت بساتينها كثيرة وفواكهها وفيرة لا سيما التمر والنارنج والاطرنج[7]. وكانت بساتين شهربان ونشتبري مختلطة[8]، وقد أثرت وفرة انتاج بعقوبة وشهربان من الحمضيات على اسعارها بحيث كان يباع ما بين (300) إلى (400) برتقالة بدرهم[9]، ورمان شهربان كان يضرب به المثل لجودته[10]، اما منطقة بيات التي بادرايها (بدرة) وباكسايا وعددا من القرى التابعة لها، فهناك من يشير إلى انها بقيت محتفظة بنشاطها الزراعي بعد نهاية القرن الثامن الهجري[11]. اما درتنك – والتي كانت تعرف قديما باسم حلوان

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص335.

(2) لسترنج: المرجع السابق، ص276. العاني: المرجع السابق، ص217-218.

Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 235.

(3) التاريخ الغياثي، ص253، 267، 311.

(4) الحميري: المصدر السابق، ص167. لسترنج: المرجع السابق، ص87.

Mustawfi: op. cit., p. 49.

(5) الحميري: المصدر السابق، ص244.

(6) ياقوت: المصدر السابق، م1، ص499. ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ1، ص225.

(7) لسترنج: المرجع السابق، ص86.

(8) ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ3، ص1372.

(9)Mustawfi: op. cit., p. 49. Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 221.

(10) العمري: غاية المرام، ص46.

Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 236.

(11) العاني: المرجع السابق، ص217.

– فقد بقيت في عهد القره قوينلو محتفظة باهميتها في انتاج الغلال[1]، فضلا عن زراعتها بأشجار التين والنخيل[2].

5ـ **المنطقة المحيطة بنهر الدجيل بين بغداد وتكريت:**

هي منطقة واسعة تقع في الجانب الغربي لنهر دجلة، مسماة باسم نهر دجيل الواقعة عليه، وهو نهر يمتد من أعلى بغداد بينها وبين تكريت، ثم تصب فضلته في دجلة[3]. وهذه المنطقة كانت في القرن الثامن الهجري "ولاية عامرة ببغداد غنية ... وهي أحسن من بقية ولايات بغداد فيها قرى معتبرة، قريب من مائة قرية"[4]، معظمها تروى من ماء نهر الدجيل[5]. ومع اننا لا نعلم فيما اذا كان هذا العدد من القرى التابعة لدجيل قد بقي قائماً في القرن التاسع الهجري، الا ان اتخاذ اسبان مقرا له فيها قبل انتزاعه حكم بغداد من اخيه الشاه محمد وجبايته الأموال من قراها[6]، كلها دلالات على ترجيح استمرار أهميتها الاقتصادية لا سيما الزراعية في هذه الحقبة. وقد وصفت هذه المنطقة بكثرة محاصيلها الزراعية وبساتينها[7]، وكان رمانها الدراجي أحسن أنواعه في نواحي بغداد الاخرى[8]، وبقيت حربي التي وصفت بانها في غاية الخصب[9] على أهميتها الزراعية بدليل انها كانت موضع صراع بين حكام القره قوينلو من اجل الاستحواذ على مواردها[10]، واشتهرت تكريت بزراعة البطيخ[11]، كما كان فيها

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص253-254.

(2) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص336.

(3) ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ2، ص516.

(4) لسترنج: المرجع السابق، ص74.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(5) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص234.

(6) الغياثي: المصدر السابق، ص260.

(7) العمري: غاية المرام، ص45-50. العاني: المرجع السابق، ص220.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(8) لسترنج: المرجع السابق، ص74.

Mustawfi: op. cit., p. 48.

(9) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص234. لسترنج: المرجع السابق، ص74.

(10) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص251، 260.

(11) Mustawfi: op. cit., p. 46.

بساتين النخيل[1]، ووصفت قرية صرفين الكبيرة بانها غناء شجراء[2]، واشتهرت بفاكهة الليمون[3].

6ـ منطقة شرقي وغربي نهر دجلة بين تكريت ومصب الزاب الأسفل:

وصف المستوفي القزويني مناخ هذه المنطقة، لا سيما داقوق بانه افضل مناخات العراق[4]، وبالتأكيد كان هذا العامل مع خصوبة التربة وتوفر مياه الري او الامطار سببا لانتشار المزارع الخصبة الواسعة التي تنتج مختلف المحاصيل الزراعية والفاكهة[5]، ويبدو ان الأراضي التي تقع شرقي دجلة في هذه المنطقة كانت اكثر زراعة من المنطقة التي تقع غربي النهر، ولهذا كانت عساكر تيمورلنك والقره قوينلو والآق قوينلو المتنقلة بين بغداد والموصل تسلك طريق شرقي دجلة عبر هذه المنطقة دون غربيها، ولعل سبب ذلك يعود الى توافر الغلال والاعلاف والمياه في هذا الجانب اكثر من الجانب الغربي من دجلة.

7ـ المنطقة المحيطة بنهر الفرات بين الأنبار وعانة:

اشتهرت هذه المنطقة بزراعة مختلف المتوجات الزراعية من فاكهة وحبوب وخضراوات، فكانت بساتين عانة تضم اصنافا متعددة من اشجار الفاكهة كالحمضيات والرمان والتين والزيتون والنخيل[6]، وحديثة بأشجار البندق والجوز[7]، واشتهرت هيت بحدائقها وكثرة بساتين الفاكهة والنخيل، وكان يتبعها في القرن الثامن الهجري (30) قرية اشهرها قرية جبة التي تكثر فيها فاكهة مناخات البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والنارنج[8].

---

(1) Al – Feel: op. cit., Vol. 1, p. 227.

(2) ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ2، ص516، 839.

(3) العمري: غاية المرام، ص48–49.

(4) Mustawfi: op. cit., p. 48.

(5) لسترنج: المرجع السابق، ص119.

(6) المرجع نفسه، ص138.

Al – Feel: op. cit., Vol. 1, pp. 221-222, 227.

(7) Ibid., Vol. 1, p. 224.

(8) Mustawfi: op. cit., p. 53.

8ـ **مناطق العراق الشمالية:**

تميزت منطقة الجزيرة جنوبي سنجار بانتاج الحبوب لا سيما الحنطة والشعير كما هي عليه في الوقت الحاضر. ومن قراها الزراعية الخاتونية وكوكو (كوكمت) وشيخ كندى[1].

وكانت غلال هذه القرى قد تعرضت لغارات عساكر اسبان المتكررة[2]، وعرفت سنجار وجبلها المسمى باسمها بانتاج اصناف مختلفة من الفاكهة كالتين والعنب والجوز واللوز والرمان والزيتون اضافة إلى السماق[3]. وتكثر في تل اعفر البساتين والاشجار[4]. وامتدح القزويني وهو من بلداني القرن السابع الهجري بساتين الموصل، وأشاد بنشاط اهلها وانتفاعهم من مياه دجلة عن طريق شق القنوات ونصب النواعير[5]، ويبدو ان هذه القنوات قد آل مصيرها إلى الخراب لخراب المدينة بفعل سلب أسبان نعم أهلها وتشريدهم لمصلحة الاعراب[6].

وكانت تتبع الموصل الكثير من الاعمال والقرى الزراعية التي ثبتت اسماؤها في الحجة المحفوظة إلى الان في خزانة الكلدان البطريركية والتي يعود تاريخها إلى سنة 896 هـ / 1490م، اذ كانت تنتج مختلف المحاصيل الزراعية، كما كانت تضم بساتين لاشجار الفاكهة[7]. واشتهرت برطلة بزراعة نوعية جيدة من القطن، وكانت الموصل تعتمد عليها وعلى قطن سنجار في صناعة المنسوجات القطنية حتى القرن الثالث عشر الهجري[8]. اما العمادية والعقر وشقلاوه فشهرتها كانت بانتاج عدة اصناف من الكروم، فضلا عن انواع اخرى من الفاكهة[9]. وأخيرا تميزت اربل وقراها بانتاج الحبوب والقطن الممتاز[10]. اما مناطق الجبال ذات الامطار الكثيرة

---

(1) الغيائي: المصدر السابق، ص271-272.

(2) المصدر نفسه والصفحة.

(3) Mustawfi: op. cit., p. 154.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص323.

(5) القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد: دار صادر، بيروت، 1960م، ص461-462.

(6) عن هذا التخريب، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص918. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص45.

(7) لغرض الاطلاع على اسماء هذه القرى والتي ذكرت في الحجة، انظر: الكلداني: المرجع السابق، م3، ص85-86.

(8) مراد، خليل علي: تجارة الموصل، موسوعة الموصل الحضارية، م4، ص273.

(9) Mustawfi: op. cit., p. 154.

(10)Ibid., p. 102.

فكانت موطنا لغابات البلوط كما ضمت الكثير من وديانها بساتين البندق والفستق واللوز والزيتون، واهم محاصيلها الزراعية كانت الحبوب كالحنطة والشعير والرز والحمص والعدس[1].

2ـ سياسة المحتلين الزراعية:

لم يكن لحكام القره قوينلو في العراق اية سياسة اصلاحية زراعية، باستثناء ما ذكر بان الشاه محمد بعد دخوله بغداد سنة 814 هـ / 1412م اعفى الفلاحين من دفع الخراج لمدة سبع سنوات[2]، ويبدو ان اجراءاته هذه كانت بهدف تطمين الفلاحين على اراضيهم بعد الفوضى التي رافقت الغزو التيموري والصراع الجلائري – القره قوينلوي، الا ان قره يوسف لم ترق له هذه الاجراءات طالما انها لا توفر له الاموال، لذلك طالب الشاه محمد بدفع ما بذمته من اموال مقررة، وعندما امتنع حاصر بغداد، واستصفى امواله وعاد إلى تبريز[3].

وفي عهد الآق قوينلو نلمس بعض الجهود الاصلاحية الاقتصادية، والتي كانت لها على ما يبدو اثار طيبة على الزراعة، منها ما قام به حسن الطويل من اصدار قانون بضبط جباية الاموال واعمال العدل بين الرعية سمي بقانون نامه أو بدستور حسن بيك[4]، والذي طبق حسب ما جاء في رواية البدليسي في العراق وفارس وأذربيجان[5]. وفي ضوء هذا القانون الذي

ويذكر اشتور ان منطقة كردستان العراق كانت تنتج في القرن التاسع الهجري كميات كبيرة من القطن. انظر:

Ashtor. E.: The Venetian Cotton Trade in Syria in the Later Middle Ages in "Studies on the Levan time trade in the Middle Ages, London, 1978", p. 690.

(1) العاني: المرجع السابق، ص221.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص248.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص533. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص98. الحمداني: المرجع السابق، ص18.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص391–392. وهامش المحقق رقم (1)، ص392. ويذكر مينورسكي ان تشريعات هذا القانون بقيت في حيز التطبيق حتى عهد الشاه طهماسب الصفوي، وان كثيرا من تفاصيله اخذ بها العثمانيون، انظر:

The AQ – Qoyunlu and land Reforms, p. 449.

(5) الشرفنامة، جـ2، ص107–108.

نجهل معظم بنوده اصبح الخراج يجبى من الفلاحين على نحو معلوم[1]، كما انه خفض ضريبة التمغا التي كانت تفرض ايضا على المحاصيل الزراعية والفاكهة بنسبة النصف "فجعل كل عشرين درهما درهما على النصف" أي 10/ 1. ومع ذلك بقيت هذه الضريبة مرتفعة اكثر من اثنتي عشرة مرة عما كانت عليه في عهد المغول[2]، ولنا ان نتصور من خلال هذه الضريبة كم كان حيف المحتلين قاسيا على الفلاحين.

وسار على نهج حسن الطويل ابنه السلطان يعقوب الذي عرف عنه تعاطفه مع الفلاحين وحبه للرعية وكانت ادارة الشؤون المالية في عهده يتولاها نجم الدين سعود الذي قال عنه خواندمير بانه عمل من اجل بذر بذور الحب في نفوس الفلاحين[3].

واهم اجراء اصلاحي يخص الارض والفلاحين تبناه السلطان يعقوب يتمثل بالعرض الذي قدمه له قاضي المملكة المدعو عيسى[4] سنة 894 هـ / 1489م والذي اعتبر فيه ان احد أهم اسباب مشكلات الاراضي الزراعية منذ عهد جنكيزخان تتمثل بضريبة التمغا التي اعتبرها ضريبة مجحفة وغير اسلامية، ودعوا إلى اعفاء الرعية منها، فاستجاب السلطان يعقوب لهذا المطلب[5]، وكلف الوزير والمشرف على الديوان شرف الدين محمد الديلمي بان يزل كل ما استحدثه الملوك السابقون من ضرائب لا تتوافق مع احكام الشرع. فباشر الديلمي مهمته واخذ بمراجعة وتدقيق الخراج لضبط النظام الضريبي يساعده في ذلك نائبه وشقيقه امام الدين شيخ علي. وبهدف دعم السلطان اجراءات الديلمي اصدر مرسوما سنة 894 هـ / 1489م اعطى فيه الحق للديلمي في عزل أي موظف في العراق وفارس من منصبه اذا كان هذا الموظف يعيق عمله[6]، وكان الديلمي قد اصدر امرا لموظفي الخراج يدعوهم فيه إلى التوقف عن جباية الخراج في العراق وفارس لحين اكمال موظفي الديوان مسح الاراضي الزراعية وتدقيقها[7].

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص391.

(2) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 450. The Footnote.

(3)Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, p. 451-452.

وانظر كذلك: العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص261، 263.

(4) القاضي عيسى: اورد العزاوي اسمه الكامل "القاضي مسيح الدين عيسى الساوي ابن الخواجة شكر الله". تاريخ العراق، جـ3، ص261.

(5)Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 451-452.

(6) Ibid., pp. 452-453.

(7) Ibid., pp. 452-453.

ويبدو ان قسما كبيرا من موظفي الخراج الذين استهدفهم مرسوم السلطان، كانوا قد عرقلوا امر الديلمي بضغط من كبار ملاكي الاراضي الذين كانت اجراءات الديلمي الاصلاحية تستهدف هؤلاء الملاكين لانها أولا ستلزمهم بعد اكمال المسوحات بدفع ضرائب معلومة، في حين كانوا من قبل يدفعونها على غير نظام يتوقف مقدارها حسب علاقتهم مع الموظف ومقدار ما يرشونه، لأنها ستحرمهم من جميع الاراضي التي كانوا قد استحوذوا عليها بطرق غير شرعية. وبذلك يكون مرسوم السلطان الآنف الذكر قد وضع حدا لمحاولة هؤلاء الموظفين عرقلة اجراءات الديلمي الاصلاحية.

ومع ان الديلمي خطا خطوات كبيرة في مجال تحقيق مشروعه[1]، فان الظروف السياسية حالت دون اكماله وذلك لوفاة السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م وتولى مقاليد السلطة الامير صوفي خليل الذي كان قائدا للجيش ومشرفا على رعاية السلطان الرضيع بايسنقر، وكان صوفي خليل من كبار الملاكين ومن اشد معارضي اجراءات الديلمي الاصلاحية لانها استهدفته كغيره من الملاكين، لذلك عزل الديلمي مع مساعديه بعد ان عذب، كما اعدم القاضي عيسى وذلك في 8 ربيع الاول سنة 897 هـ / كانون الثاني 1491م[2].

وفي اواخر عهد الآق قوينلو جرت محاولة اصلاحية اخرى تبناها السلطان احمد الذي اصدر اوامره للوزراء وموظفي الديوان بعدم استحصال دينار واحد يتعارض مع الشرع، كما انه حاول الغاء نظام اقطاع السيورغال، لكنه ذهب ضحية هذه المحاولة[3].

ثالثا: الصناعة

لم تنج الصناعة العراقي من الكوارث التي احاقت بجوانب الحياة الاقتصادية المختلفة، فقبل احتلال القره قوينلو العراق كان تيمورلنك قد انتقى امهر حرفيي وصناع العراق وهجرهم إلى سمرقند لغرض اقامة نهضة صناعية وعمرانية فيها على ايدي حرفيي العراق، وذلك سنة 795 هـ / 1392م[4]، ومن بقي منهم اصابتهم اضرار كبيرة بسبب تعسف حكام

---

(1) يذكر مينورسكي ان موظفي الديلمي قد تمكنوا في جولاتهم المتعددة من ازالة كثير من الاستحداثات الضريبية غير الشرعية على الاراضي.

The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 452-453.

(2) Ibid., pp. 454-455, 457-458.

(3) اشتور: المرجع السابق، ص353.

Minorsky: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, pp. 459.

(4) حسين: المرجع السابق، ص423.

القره قوينلو بعد احتلالهم بغداد. ومع ذلك فقد حافظت الكثير من الصناعات على نشاطها النسبي، وتمكنت ان تجد طريقها إلى الاسواق الخارجية وأهم هذه الصناعات هي:-

1ـ صناعة المنسوجات:

حافظت الموصل وبغداد على شهرتهما العالمية في صناعة المنسوجات، لاسيما القطنية منها، ويرجع ذلك لتوافر المقومات الاساسية لهذه الصناعة والمتمثلة بتراكم الخبرة الفنية منذ العهود العباسية، واعتدال المناخ فيها، وخصوبة الاراضي المحيطة بهما والصالحة لزراعة القطن، فضلا عن موقعيهما الجغرافي الذي جعل منهما مركزين تجاريين مهمين لهذه الصناعة[1]. فالموصل وكما كانت سابقا بقيت تشتهر بهذه الصناعة حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[2]. ولعل افضل اقمشتها الفاخرة هو "الموسليني" نسبة اليها، والذي كان يوشى بالذهب[3]، وكذلك القماش المسمى بـ "المحررات" وهو منسوج مزيج من القطن والحرير[4]. وكان بلاط سلاطين المماليك، حتى عهود متأخرة يستخدم المنديل الموصلي[5].

أما بغداد فق اقتصر انتاجها على البيوتات المحلية بعد ان غابت عنها المصانع الحكومية[6] التي كانت تنتج الاقمشة الفاخرة، ومع ذلك فقد حافظت هذه البيوتات على جودة الانتاج، مما جعل منتوجاتها مرغوبة فيها في الاسواق الخارجية، ولا سيما في بلاد الشام ومصر، فهذه البلاد كانت تستورد كميات كبيرة منها ومن الثياب الموصلية، وتجارها حققوا ارباحا عالية أغرت سلطان مصر على احتكارها لتكون متجرا للسلطان وحده[7].

وبما ان هذه المنسوجات كانت غالية الثمن فقد اقتصر استخدامها على السلاطين والملوك والحكام والموسورين، ولهديا الدولة وضيوفها، فالشاه محمد كان يلبس الشاش البغدادي[8]، وكثيرا ما كانت هدايا حكام بغداد لسلاطين مصر تتضمن ثيابا بغدادية أو موصلية

---

(1) Al – Feel: op. cit., Vol. 1, pp. 236, 265.

(2) مراد: تجارة الموصل، م4، ص273.

(3) ماركوبولو: المرجع السابق، ص37.

(4) Al – Feel: op. cit., Vol. 3, p. 268.

(5) ايوار: مادة سلاح دار، دائرة المعارف الإسلامية، (الترجمة العربية)، م12، ص40.

(6) عن هذه المصانع، انظر: الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد اثناء الحكم الايلخاني، ص312. العاني: المرجع السابق، ص242.

(7) انظر: مبحث التجارة.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص266.

مصنوعة من الحرير الثمين، كما حدث في سنة 856 هـ / 1452م عندما اهدى بيربوداق السلطان المصري جقمق قماشا من الحرير[1]، كما ان هذه المنسوجات كانت تستخدم لأغراض دينية فمحمل حجاج بغداد سنة 857 هـ / 1453م كان فيه آيات كريمة مذهبة على قماش[2].

ولم تقتصر صناعة المنسوجات على هذه الانواع فحسب، بل شملت كذلك صناعة السجاد والزوالي "البسط" والستور، وقد ذكر الغياثي وجود انواع منها في مشهد الامام علي في النجف والامام الحسين في كربلاء حيث استحوذ عليها المشعشعون[3]، كما اشار إلى ان الوند الذي كان يطمح بحكومة بغداد كان يستخدم الصيوان[4] "خيمة كبيرة" ويبدو انها كانت تصنع في العراق، كما كان يصنع فيها الكبنك[5]، وممن لبسه شاه علي بن اسكندر حاكم الحلة، كما كان الدراويش يلبسونه في هذا العهد[6].

وأخيرا رددت بعض المصادر أسماء بعض ممن اشتغل بصناعة المنسوجات في العراق في حقبة هذا البحث منهم:

1- شمس الدين محمد بن سعد الدين بن محمد بن نجم الدين محمد البغدادي الزركشي (توفي سنة 813 هـ / 1410م)[7].
2- عبد المحسن بن حسان البغدادي البطايني، كان يشتغل بصناعة نسج الثياب (كان حيا سنة 815 هـ / 1431م)[8].
3- عبد المنعم بن محمد بن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي، كان يرتزق من صنعة الحياكة (كان حيا سنة 838 هـ / 1434م)[9].

---

(1) السخاوي: التبر، ص384.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص308.

(3) التاريخ الغياثي: ص309.

(4) المصدر نفسه، ص281، وهامش المحقق رقم (9).

(5) الكبنك: عباءة مصنوعة من الصوف، وفي العادة كان يستخدمها رعاة الاغنام والابقار ولا تزال تستعمل في بعض مناطق شمال العراق، لا سيما الجبلية منها. انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص332 هامش المحقق رقم (10).

(6) الغياثي: المصدر نفسه، ص332.

(7) ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص104.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، جـ5، ص78.

(9) المصدر نفسه، جـ5، ص89.

2ـ الصناعات المعدنية ومواد البناء والطواحين:

ان الاقفال والمسامير والدبابيس والاطبار "الفؤوس" والطواسي، اسماء تكرر ذكرها في حقبة البحث[1]، ولهذا دلالته على استمرار صناعتها في العراق. وكان في عهد الآق قوينلو تفرض ضريبة على الاواني النحاسية والفضية المصنعة تسمى تمغاسياه[2]. وثمة اشارات تدل على ان صناعة الجوهرات والصياغة بقيت قائمة في هذا العهد، فزوجة قره يوسف كانت تملك مجوهرات نفيسة[3]، وان الشاه محمد اهدى سنة 836 هـ / 1432م أحد خدمه في الموصل كمرشمشير[4] مذهبا[5]، وان بيربوداق حاكم بغداد منح والده جهانشاه سنة 870 هـ / 1465م احجارا من الفصوص المثمنة لقاء فكه الحصار عن بغداد[6]. وممن اشتهر بهذه الصنعة احمد بن عمر بن علي بن عبد الصمد بن ابي البدر الشهاب ابو العباس البغدادي ويعرف بالجوهري وربما اللؤلؤي الذي كان مجيدا في صناعته وله معرفة تامة بصنف الجواهر[7].

واستمرت صناعة مواد البناء كالجص والطابوق والابواب والشبابيك من الخشب او الحديد، والزجاجيات، ولكن على نطاق ضيق، وهذه المواد دخلت في عملية بناء القبة التي دفن فيها اسبان في بغداد سنة 848 هـ / 1444م[8]، وفي عملية بناء سوق الحلة وقلعتها سنة 859 هـ / 1455م[9] وعرفت الطواحين "الرحاء" في اكثر قرى العراق ومدنه، وقلما كانت هناك قرية بدون رحاء لا سيما في شمال العراق والتي تديرها مياه العيون، وكان قسم من هذه الرحا موقوفة لطائفة النساطرة في هذا العهد[10].

---

(1) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص252، 266.

(2) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض، ص269، وهامش (35) من ص 271.

(3) انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق1، ص524-525. ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص214.

(4) كمرشمشير: كلمتان فارسيتان الاولى تعني حزام، نطاق، والثانية سيف. التونجي: المرجع السابق، ص378، 476.

(5) الغياثي: المصدر السابق، ص253.

(6) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ3، ص592.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص55.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص277.

(9) المصدر نفسه، ص311.

(10) انظر: الكلداني: المرجع السابق، جـ2، ص85-86.

3ـ صناعة الأسلحة والسفن

بقيت هذه الصناعة رائجة لحاجة المحتلين اليها في ادامة حروبهم، وكان قسم منها من الجودة بحيث كانت تدخل، ضمن الهدايا التي ترسل إلى السلاطين والملوك فجهانشاه اهدى السلطان جقمق سنة 855 هـ / 1451م ثلاثة أقفاص سلاح من خوذ وزرديان دروع[1]، وكذلك فعل بيربوداق الذي اهدى جقمق سنة 856 هـ / 1452م بعض الانواع من الاسلحة[2]. وكانت بعض سيوف اصحاب النفوذ مرصعة بالذهب[3]، وفي اثناء الصراع القره قوينلوي – المشعشعي اضطر المشعشعون إلى بيع جواميسهم وابقارهم لشراء اسلحة بثمنها لمواجهة اعدائهم فباعوا كل جاموسة او بقرة بسيف وعشرة دراهم[4]. وعلى ذكر صناعة السيوف اشار السخاوي إلى ان علي بن يوسف الاربلي السيوفي وابنه حسن المولود سنة 850 هـ / 1446م كانا ممن تعاطوا هذه الصنعة[5].

ويلمح الغياثي إلى ان صناعة النشاب والنبال بقيت قائمة[6]. وجرت في بغداد صناعة السلالم التي تستخدم لاجتياز الاسوار[7]. وكانت هناك صناعة اخرى لها استخداماتها العسكرية والمدنية، وهي صناعة السفن، فأسبان اعتمد عليها في نقل ذخائره ومؤنه اثناء انسحابه من الحويزة[8] والمشعشعيون كانوا يمتلكون زهاء بضعة الاف مركب[9]. وفي بغداد كانت هناك زوارق كبيرة ذات مواصفات خاصة تستخدم لاغراض اقامة الجسور عليها، وقد تعرضت احدها للغرق[10].

---

(1) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص103. السخاوي: التبر، ص345.

(2) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ1، ص123. السخاوي: التبر، ص384.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص253، وهامش المحقق رقم (7).

(4) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص397.

(5) السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص119.

(6) التاريخ الغياثي، ص282، 321.

(7) المصدر نفسه، ص265.

(8) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399.

(9) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ2، ص306.

(10) الغياثي: المصدر السابق، ص282-283.

4ـ صناعات اخرى

كانت صناعة طحن الحبوب معروفة في العراق، وتعتمد على الرحاء، وكان في بغداد أفران تنتج الخبز[1]، واشتهرت بغداد بصناعة تجفيف الفاكهة، وقسم كبير من انتاجها في هذا العهد كان يصدر إلى فارس[2]، واشتهرت بعض مناطق العراق بصناعة السكر، ومنها صناعة السكر المعروف بالبغدادي الذي كان قسم منه يصدر إلى الخارج[3]، ويبدو ان صناعة الخمر بقيت رائجة لا سيما في عهدي شاه محمد وشاه منصور اللذين كانا يتعاطيان الخمر[4]. وكانت اجود انواع الخمور تصنع في اديرة الموصل وديار بكر[5].

واستمرت الصناعات الجلدية في هذا العهد، وكان منها ما يستخدم للخيول وحيوانات النقل كالسروج والجلال وكذلك صناعة الدباغة والاحذية والاشرطة. واوردت بعض المصادر عددا من المشتغلين بها منهم السراج القزويني الذي كان حيا سنة 811 هـ / 1408م[6]، والسراج ابو حفص عمر بن علي بن موسى بن خليل البغدادي[7]، وعلي بن جمعة بن ابي بكر البغدادي، الذي نشأ في بغداد وتعلم فيها صنائع، وارتزق من صنعة الشريط وتوفي في القاهرة سنة 868 هـ / 1463م[8].

وأخيرا كل هذه النصوص لا تنقض فرضية التدهور الكبير في صناعات العراق في هذه الفترة، فكثير من الصناعات لم يعد لها ذكر في حين كان العراق يشتهر بصناعتها في القرن الثامن الهجري كالورق ذي النوعية الجيدة الذي كان ينتج في بغداد واعتبر افضل من الورق السوري والمصري[9]، وكذلك الاواني الزجاجية النفيسة وغيرها[10].

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص918.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص340.

(3) فهمي: المرجع السابق، ص242.

(4) الغيائي: المصدر السابق، ص251، 334.

(5) ابن عبد الحق: المصدر السابق، جـ2، ص550 والحاشية، ص551. العمري، ابن فضل الله: مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق: احمد زكي باشا، القاهرة، 1924م، جـ1، ص255، 302-303، 310.
Mustawfi: op. cit., pp. 104-105.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص119 في الحديث عن ترجمة احمد بن محمد.

(7) المصدر نفسه، جـ2، ص233 في الحديث عن ترجمة احمد بن نصر الله.

(8) المصدر نفسه، جـ5، ص210.

(9) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ2، ص487. اشتور: المرجع السابق، ص340.

(10) اشتور: المرجع نفسه والصفحة.

رابعا: طرق المواصلات

ترتبط المدن العراقية بعضها ببعض، ومع البلاد المجاورة، بشبكة من طرق المواصلات البرية. وتعد بغداد مركزا لها، ومنها تتفرع ستة طرق رئيسة:

1ـ طريق بغداد – البصرة

يبتدئ من بغداد مارا بالمدائن – النعمانية – واسط، ومن واسط يسير بمحاذاة الاهوار مارا بالهضيب – وادي الكراع – المشيرب – البصرة، وطوله ثمانون فرسخا[1]، وقد سلكه ابن بطوطة سنة 727 هـ / 1326م[2]، كما كانت تسلكه القوافل التجارية، ومنها القافلة التي تعرض لها المشعشعيون سنة 844 هـ / 1440م[3]، كما سلكه اسبان سنة 836 هـ / 1432م وسنة 847 هـ / 1443م[4].

2ـ طريق بغداد – الكوفة

ويبتدئ من بغداد مارا بقرية صرصر – فراشه، ثم يعبر نهر الفرات الشرقي عند الحلة – الكوفة، ومن الكوفة كان تتفرع منه عدة أفرع أحداها إلى النجف وطوله ستة وعشرون فرسخا، والاخر يخرج من الكوفة نحو الجنوب الغربي إلى القادسية ثم إلى البادية ويسمى بطريق الحج، كما كان يخرج من الكوفة طريق اخر بمحاذاة حافة البطائح الجنوبية وطوله بين ثمانين وخمسة وثمانين فرسخا[5]، وقد سلكه ابن بطوطة في اثناء قدومه من البصرة إلى بغداد[6]. وطريق الكوفة – بغداد سلكه ابن جبير[7]، ومن جاء بعده من الرحالين[8]. كما سلكته قوافل الحج ومنها قافلة الحج البغدادية والتي تعرضت لغارة مشعشعية سنة 857 هـ / 1453م بعد نزولها

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص185. الغياثي: المصدر السابق، ص252، 265، 275–276. العاني: المرجع السابق، ص294. الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص321.

(2) رحلة ابن بطوطة، ص.

(3) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص397.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص252، 265، 275–276.

(5) لسترنج: المرجع السابق، ص111. العاني: المرجع السابق، ص294.

(6) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص649.

(7) انظر: رحلة ابن جبير، ص167–173.

(8) لسترنج: المرجع السابق، ص111.

بالمشهد الشريف الغروي في النجف[1]. ويشير ابن تغرى بردى إلى ان بير بوداق اصلح هذا الطريق سنة 861 هـ / 1456م وأخذت قوافل الحجاج تسلكه بعد انقطاع دام سنين عدة[2].

3ـ طريق بغداد – عانة

ويخرج من بغداد إلى المحول ثم يسير بمحاذاة نهر عيسى إلى الانبار على نهر الفرات ومنها يصعد مع النهر مارا بهيت – حديثة – عانة – ومنها إلى بلاد الشام[3]. وكان هناك طريق اخر سلكه شاه محمد اثناء هروبه إلى حديثة بعد استيلاء اسبان على بغداد سنة 836 هـ / 1433م. ويبتدئ من بغداد – مشهد موسى الكاظم (رض) – الدجيل – حديثة[4].

4ـ طريق بغداد – الموصل

ترتبط بغداد بالموصل بثلاثة طرق رئيسية هي:-

أ- طريق بغداد – كركوك – الموصل

ويخرج من بغداد مارا بالمعظم – الخالي – عبر جبل حمرين – زانكباد – كفرى – طوزخورماتو – داقوق – كركوك – وعبر الزاب الاسفل عند التون كوبري – اربل – عبر الزاب الاعلى – الموصل[5]. وكان هذا الطريق تسلكه في الغالب عساكر المحتلين في هذه الحقبة[6] لكثرة القرى والاعلاف ومصادر المياه فيه.

ب- طريق بغداد – البردان – عكبرى – القادسية – سر من رأى – السن – حديثة – الموصل

ويتبع هذا الطريق الحافة اليمنى لنهر دجلة[7]. وقد سلكه جانبا من هذا الطريق تيمورلنك في اثناء حملته على ديار بكر سنة 796 هـ / 1393م[8]. وكذلك في اثناء فرار السلطان احمد الجلائري من بغداد إلى تكريت سنة 806 هـ / 1403م[9].

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص308. الشوشتري: المرجع السابق، جـ2، ص399.

(2) حوادث الدهور، جـ2، ص305–306.

(3) لسترنج: المرجع السابق، ص113.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص252–253.

(5) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص321.

(6) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص189، 253، 268–26، 280–281، 305.

(7) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص403. لسترنج: المرجع السابق، ص157.
Mustawfi: op. cit., p. 167.

(8) الشامي: المصدر السابق، ص142–144.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص208.

ج- طريق بغداد – حربي – تكريت – الموصل[1]

ومن الموصل كانت تخرج عدة طرق محلية واخرى ترتبط ببلدان مجاورة ومنها:-

1. طريق الموصل – بلد – تل عفر – تل كوكو – سنجار[2]. وقد سلكه اسبان سنة 840 هـ / 1436م[3].
2. طريق الموصل – جزيرة ابن عمر – نصيبين – سنجار، وقد سلكه ابن بطوطة في اثناء رحلته إلى ديار بكر[4]، كما سلكه اسكندر بن قره يوسف سنة 823 هـ / 1420م[5].
3. طريق الموصل – جزيرة ابن عمر – ماردين – الرها – البيره – حلب[6].
4. وكانت الموصل ترتبط عن طريق ماردين بتبريز وكان هذا الطريق يمر بالمدن الاتية:- ماردين – حصن كيفا – سعرت – وان – وسطان – سلماس – تبريز[7].

5ـ طريق بغداد – حلوان

ويسمى بطريق خراسان، ويبتدئ من بغداد إلى النهروان – الدسكره – جلولاء – خانقين – قصر شيرين – حلوان – ثم يدخل الاراضي الايرانية شرقا إلى همدان ويستمر حتى تخوم صحراء الصين[8]. وكانت تخرج من هذا الطريق داخل العراق طرق فرعية، فعند خانقين كان يخرج منه طريقان، الاول يتجه نحو مندلي، والثاني نحو جمجمال[9]، وعندها كان يتصل بطريق كركوك – جمجمال – شهر زور، ثم يعبر جبال كردستان باتجاه بلاد ايران. والطريق الاخر سلكه تيمورلنك في اثناء توجهه لاحتلال بغداد سنة 795 هـ / 1392م[10]، كما سلكه الشاه محمد في اثناء توجهه من بغداد لاخضاع شهر زور لحكمه سنة 814 هـ / 1411م[11].

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص403.

(2) المصدر نفسه، جـ4، ص322-323. الغياثي: المصدر السابق، ص271.

(3) الغياثي: المصدر نفسه، ص271-272.

(4) رحلة ابن بطوطة، ص236-238.

(5) Sumer: A. g. e. 1, cilt, ss, 118-119.

(6) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص403.

(7) المصدر نفسه، جـ4، ص405.

(8) المصدر نفسه، جـ4، ص403.

(9) الغياثي: المصدر السابق، ص204.

(10) المصدر نفسه، ص185.

(11) Sumer: A. g. e. 1, cilt, s, 93.

الطرق المائية

تتمثل الطرق المائية بنهري دجلة والفرات وروافدهما، فنهر دجلة صالح للملاحة، وفي موسم الفيضانات كانت الاكلاك النهرية تقطع المسافة بين الموصل وبغداد خلال 3 او 4 أيام، اما في الاوقات الاعتيادية فتستغرق السفرة 15 يوما[1]. وكان الطريق النهري بين بغداد والبصرة ايسر من الطريق البري[2]، لبطء تيار نهر دجلة وقلة الانحدار واتساع الوادي[3]، لذا كان يجري استخدامه على نطاق واسع لنقل الافراد والمؤن والتجارة، وكذلك للاستخدامات العسكرية، فالمشعشعيون كانت لهم على مجرى هذا النهر ويطائحه بضعة الاف زورق[4]، وأسبان استخدمه لنقل المؤن والرز من منطقة الحويزة والبصرة إلى بغداد[5].

اما الملاحة في مجرى نهر الفرات فيبدو انها كانت اقل من نهر دجلة، وذلك بسبب كثرة تعرجاته التي كانت تطيل كثيرا من امتداده، وكذلك بسبب ما يتعرضه من جنادل وشلالات تؤدي إلى زيادة سرعة التيار، لا سيما في المنطقة الممتدة بين عانة وهيت[6]، ومع ذلك استخدم هذا النهر لنقل التجارات والمحاصيل من بلاد الجزيرة الفراتية والشام إلى بغداد بواسطة الاكلاك[7]، وكان يستخدم كذلك لنقل الافراد، فحاكم حديثة المسمى حادث انحدر على ظهر سفينة على الفرات، ثم برا إلى بغداد.

خامسا: التجارة

تدهورت تجارة العراق في هذه الحقبة تدهورا كبيرا، وهناك عدة اسباب لهذا التدهور، منها أولا طغيان اقتصاد المقايضة، فلم يحدث من قبل – ومنذ ان فتح المسلمون العراق – تراجع البلاد إلى اقتصاد طبيعي ذي مستوى منخفض، كما حدث في عهد التركمان، وثانيا لابد ان فقر السكان العام ادى إلى تقلص التجارة، ويشهد على هذه الاحوال ان قطع النقود التي وصلت الينا من ايام حكم القره قوينلو والآق قوينلو محدودة جدا[8]، وثالثا ثقل الضرائب

---

(1) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص316.

(2) لسترنج: المرجع السابق، ص110.

(3) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص316.

(4) ابن تغرى بردى: حوادث الدهور، جـ2، ص306.

(5) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص399.

(6) شريف، ابراهيم: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، مطبعة شفيق، بغداد، ج1، ص127، 131.

(7) طوني: التنظيمات التجارية في بلاد الشام، ص258–259.

(8) اشتور: المرجع السابق، ص353. وعن محدودية النقود، انظر: توحيد: المرجع السابق، ق4، ص454، 459.

وجشع القائمين على استحصالها[1]. وعلى الرغم مما قيل بان حسن الطويل قد قلل من عملية التراجع لمعظم فروع التجارة عن طريق تخفيف ضريبة التمغة إلى النصف، فان هذه الضريبة بقيت مرتفعة جدا قياسا لما كانت عليه زمن الايلخانيين والتي كان مقدارها 1/ 240[2]، واجراءاته هذه لم يستمر العمل بها طيلة عهد الآق قوينلو، ففي عهد السلطان مراد استغل اتباعه التجارة بمختلف الطرق، وببساطة أنهم سلبوا التجار بضائعهم[3].

تنقسم التجارة إلى داخلية وخارجية، تقوم الداخلية منها بين المدن بعضها مع بعض، وبينها وبين القرى والأرياف، والخارجية تقوم بين المدن العراقية والبلاد المجاورة والبعيدة، فضلا عن تجارة الترانسيت التي يستفاد منها من خلال الضرائب التي تفرض على البضائع التي تمر عبر اراضي البلد، والتي كان يساهم بها احيانا تجار عراقيون.

1ـ التجارة الداخلية:

على الرغم من ان بغداد زمن الجلائريين كانت تضم اسواقا كثيرة[4]، فان معظم هذه الاسواق قد غاب ذكرها في هذه الحقبة، لا بل هناك من يذكر ان بغداد زمن أسبان لم يعد فيها اسواق وليس بها الا ثلاثة افران[5]. وهذا يعني ان بغداد فقدت مركزها الكبير الذي كانت تضطلع به من قبل في النشاط التجاري العراقي، وفي عهد الآق قوينلو لم تجر محاولات لانقاذ وضع المدينة فقد بقيت وعلى لسان شاهد عيان هو جوزيف باربارو بأنها "خربة إلى حد كبير[6] ومع ذلك فان مزاولة عدد من سكان المدينة مهنة التجارة[7] واستمرار بعض من خاناتها كخان

---

(1) انظر: مبحث الضرائب: وكذلك: الغياثي: المصدر السابق، ص317، 391.

(2) الغياثي: المصدر نفسه، ص391. اشتور: المرجع السابق، ص354.
Minorsky: The AQ – Qoyunlu and Land Reforms, p. 450, note "3".

(3) اشتور: المرجع السابق، ص354.

(4) عن هذه الاسواق، انظر: العاني: المرجع السابق، ص277–278.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص918. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص45.

(6) اشتور: المرجع السابق، ص358.

(7) عن من زاول مهنة التجارة من البغداديين، انظر: السخاوي: الضوء اللامع، جـ1، ص73، 335، جـ5، ص89، 209–210، جـ7، ص114–115.

مرجان 'الارطمة' والى فترات لاحقة تعمل كمنشآت تجارية[1]، واستمرار انتاجها لبعض الصناعات[2] كلها علامات تدلل على وجود حركة تجارية فيها، ولكن في ادنى مستوى لها.

اما البصرة فواقع حالها يختلف عن بغداد لان ايدي المحتلين القره قوينلو والآق قوينلو لم تصلها، لذا فقد سلمت أسواقها من التخريب، فكان فيها سوق ضخم للمتاجرة[3]، ولكن هذا السوق ارتبط بالتجارة الخارجية اكثر من التجارة الداخلية بحكم موقع البصرة الجغرافي على رأس الخليج. وكان للحلة سوق تجارية جرى تخريبه على ايدي المشعشعين، ثم أعيد اعماره على يد سيدي علي القره قوينلوي سنة 859 هـ / 1454م[4]، وكانت هيت مركزا تجاريا مهما، لا سيما مع البادية، كما كانت مركزا لحركة التبادل التجاري بين العراق وبلاد الشام[5]. اما الموصل فعلى الرغم من الخراب الذي لحق بها، فقد بقيت محتفظة ببعض أهميتها في تجارة العراق لا سيما مع اجزائه الشمالية. ولم نحصل على معلومات عن النشاط التجاري لبقية المدن العراقية، ولكن ما ذكر عن تعرض قافلة تجارية كبيرة لأذى المشعشعين في وسط العراق دليل على وجود نشاط تجاري بين مدنه[6].

2ـ تجارة العراق الخارجية:

1- مع بلاد الشام ومصر والحجاز:

احتفظ العراق في هذه الحقبة بعلاقات تجارية مع الدولة المملوكية في بلاد الشام ومصر والحجاز، ولعل هذا يرجع إلى حالة السلم التي طغت على العلاقات السياسية بينهما ولحاجة المماليك لمنتوجات عراقية، ولوقوع العراق على الطرق التجارية التي تربط الشام بكثير من بلدان الشرق. لذا كان قسم من تجارتها يمر عبر اراضيه، كما كان كثير من تجارها قد اتخذوا من بعض مدنه كهيت[7] وبغداد والبصرة مراكز لتجارتهم[1]، وبازاء ذلك كانت حلب أهم مركز

---

(1) بكنغهام، جمس: رحلتي إلى العراق سنة 1816م، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة اسعد، بغداد، 1968م، جـ1، ص197، 215.

(2) انظر: مبحث الصناعة.

(3) فهمي: المرجع السابق، ص122.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص309، 311.

(5) تذكر بعض المصادر المملوكية ان هيت كان فيها سنة 835 هـ جمع غفير من التجار، انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص866. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص232. مجهول: المصدر السابق، ص26.

(6) الشوشتري: المصدر السابق، جـ2، ص397.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص866.

لتجمع تجارة العراق. فكانت مقصدا لتجاره وبضائعه لاسيما المنسوجات والملابس المصنعة في الموصل وبغداد[2]، وكانت حماه ودمشق محطتين مهمتين لتجار المنسوجات العراقية[3]. وبقيت القاهرة مقصدا مهما لتجار العراق، فمنسوجاتهم الموصلية والبغدادية كانت تلقى رواجا كبيرا عند سلاطين وامراء مصر، وكانوا يعدونها من جملة الهدايا التي اعتادوا على تقديمها في المناسبات[4]. وكانت تجارة العراق مع الحجاز نشطة لاسيما مع ميناء جدة الذي يقع على البحر الاحمر والذي كان مقصدا لتجار الهند وجنوب شرق آسيا وشرق افريقيا وبلاد الشام ومصر اضافة إلى العراق[5]، وكان اكثر التجار العراقيين في هذا الميناء هم من تجار البصرة والكوفة يقصدونه بهدف التجارة بالتوابل[6]، كما كان للعراق تجارة مع مكة[7]، لاسيما في مواسم الحج. وثمة اشارات تؤكد ضخامة التعامل التجاري مع مدن الحجاز منها ما ذكره ابن حجر ضمن حوادث سنة 830 هـ / 1426م إلى تعرض قافلة تجارية عراقية في هذه السنة للنهب على يد عرب الحجاز حيث نهبو منها "... اموالا عظيمة كثيرة جدا[8]. منها لتاجر واحد مائة جمل

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص192-193، جـ9، ص256-257، 297، ويذكر نعيم زكي فهمي بان توافد تجار الشام على بغداد والبصرة قد استمر إلى نهاية عهد الآق قوينلو. وبعد استيلاء اسماعيل الصفوي على العراق منعهم من دخول بغداد. انظر: طرق التجارة الدولية، ص124.

(2) فهمي: المرجع نفسه، ص149.

Ashtor: The Venetian Cotton Trade in Syria, p. 691.

(3) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص792. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص146. وانظر كذلك: ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص352 في الحديث عن التاجر احمد بن عبد الرحيم.

(4) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ16، ص80. حوادث الدهور، جـ1، ص123. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص118. السخاوي: التبر المسبوك، ص16.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص791. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص145، 338. مجهول: المصدر السابق، ص156.

(6) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص791. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص145.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص755، ص791. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص310. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص145. السخاوي: الضوء اللامع، جـ1، ص36، 73، 165.

(8) انباء الغمر، جـ3، ص383.

محملة ببضائع ما بين شاشان وارز وبهار ومواد اخرى[1]. وكان لملوك العراق ذهب في المدينة المنورة[2]، وربما كانت هذه الودائع لأغراض تجارية.

حقق التجار العراقيون لاسيما تجار المنسوجات ارباحا طائلة مع الدولة المملوكية، وفي محاولة من السلطات المملوكية الحد منها اتخذت اجراءات اضرت كثيرا بتجار المنسوجات العراقيين، اذ جرت العادة ان يبيع هؤلاء التجار ثيابهم الموصلية والبغدادية في مدن الشام ومصر بالاجل، وبهذه الطريقة من البيع يزداد ثمنها، فأصدر السلطان المملوكي الاشرف برسباي مرسوما في شهر جمادي الاول سنة 825 هـ / 1421م الزم بموجبه هؤلاء التجار بيع بضائعهم بالنقد دون الاجل، فأدى ذلك إلى الحاق خسائر قدرها المقريزي بثلث ثمن البضاعة، مما دفع التجار العراقيين إلى التوقف عن المتاجرة مدة من الزمن، ولم يستأنفوا تجارتهم الا بعد ان الغي هذا المرسوم[3].

وفي سنة 830 هـ / 1426م حاق بالتجار العراقيين حيف آخر تمثل بالزام السلطات المملوكية كافة التجار ومنهم العراقيون الذين كانوا يتبضعون من متاجر مكة وجدة بالسفر ببضائعهم إلى القاهرة بقصد دفع المال فيها ومن يسافر "إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان"[4]، وهذا ما أدى بالنتيجة إلى تزايد الكلفة على البضائع المستوردة للعراق بسبب زيادة طول المسافة أولا وزيادة الضرائب التي أخذت تدفع ليس في جدة فحسب بل في القاهرة وفي مدن الشام في اثناء رحلة العودة[5]. وقد استهجن المقريزي وهو الخبير بالشؤون الاقتصادية هذا الاجراء وعده كارثة لبلاده، حينما قال "وهذا لينكر وتلك الامور يعتني بانكارها، ويسعى اهل البلاد إلى ازالتها، فيا نفس جدى ان دهرك هازل[6]"، ومع ان السلطات المصرية تراجعت في سنة 831 هـ / 1427م عن هذا الاجراء عندما اعفت تجار الكوفة والبصرة من القدوم إلى القاهرة ببضائعهم والزمتهم ان يدفعوا في جدة ومكة عن كل حمل ثلاثة دنانير ونصف[7]، فانها ما لبثت سنة 832 هـ / 1428م ان اعادت العمل بمرسوم سنة 830 هـ / 1426م لا بل تشددت في تطبيقه عليهم

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص756.

(2) المصدر نفسه، جـ4، ق1، ص76.

(3) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص611.

(4) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص755، 965. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص310. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص338.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص755. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ14، ص310.

(6) السلوك، جـ4، ق2، ص755.

(7) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص791. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص145.

بحيث "لم يقدر احد منهم ان يتأخر بمكة... واقيمت عليهم الاعوان في طول الطريق يتفقدهم ويعد جمالهم حتى قدموا... فحل بهم من البلاء ما لا يوصف"[1].

والواقع ان السلطات المصرية باجراءاتها هذه لم تكن تقصد ضرب تجارة العراق والبلدان الاخرى وانما هدفها استحصال الاموال لادامة مصروفاتها الكثيرة على حروبها وعلى مؤسساتها، والتي كان جزء كبير منها يتأتى عن طريق التجارة[2]، لهذا ان اجراءاتها لم تكن موجهة ضد العراقيين وانما شملت كذلك تجار اجانب، فضلا عن الشاميين[3].

استمرت مضايقة التجار العراقيين لاسيما تجار الموصل، وفي ذلك يشير المقريزي صراحة ضمن حوادث سنة 832 هـ / 1428م فيقول "بلغ السلطان ان التجارة الواردة إلى القاهرة من الموصل... تربح فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرا فألزم السماسرة ان لا يبيع لأحد من هذا الصنف شيئا بل يكون باجمعه متجرا للسلطان"[4]. وعلى اثر هذا الالزام صودرت لتاجر عراقي ثمانون ثوبا كان معه[5]، كما الزم جماعة من تجار الموصل بيع تجارتهم من ثياب موصلية بثمن بخس[6]، ومن يمتنع عن بيع ثيابه كان يلزم بالعودة بتجارته إلى بلده كما حدث لقافلة قدمت إلى مدينة حماة بثياب موصلية، فاضطرت للعودة إلى الموصل[7]. وكان من نتائج ذلك ان "حل بالناس بلاء لا يمكن حكايته .."[8].

2ـ مع بلاد ايران وأذربيجان

من الطبيعي ان تكون تجارة العراق مع هذين البلدين قائمة بحكم كونهما مع العراق يشكلان الجزء الكبير من مملكة القره قوينلو ومن بعدهم الآق قوينلو، وهذه الميزة اعطت للتجار العراقيين وكذلك لتجار غربي ايران حرية التحرك التجاري. فالسخاوي يورد اسماء لعدد من التجار العراقيين الذين كانوا يترددون على هذه البلاد[9]، كما كان لتجار ايران وجود

---

(1) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص791. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص145.

(2) طرخان: المرجع السابق، ص277.

(3) انظر: المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص755، 791، 965.

(4) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص791–792. وانظر كذلك: الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص146، 155.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص792.

(6) المصدر نفسه، جـ4، ق2، ص800. الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، جـ3، ص155.

(7) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص792.

(8) المصدر نفسه والصفحة.

(9) الضوء اللامع، جـ4، ص319، جـ5، ص147، 209–210.

في بغداد والبصرة[1]، وكانت بغداد تصدر الفاكهة المحفوظة إلى بلاد ايران[2]. غير ان ابرز نشاط للتجار العراقيين كان في تبريز العاصمة، حيث كان فيها اعداد من تجار بغداد كانوا يقومون بشراء البضائع الايرانية لاسيما الحرير الخام الايراني والمنسوجات الصوفية وبضائع الهند والصين، ومن ثم يشحنونها عن طريق تبريز عبر الجزيرة الفراتية إلى حلب ومن ثم توزع على باقي البلدان لاسيما الأوربية منها[3].

3ـ مع بلدان أخرى

ارتبط العراق بعلاقات تجارية مع الكثير من البلدان التي كانت تقع على طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب، والتي كانت تجارتها تسلك الطريق المار عبر الخليج العربي، فقد فضل تجار البندقية وجنوه ان يسلكوا بتجارتهم طريق الخليج العربي عبر العراق تفاديا لثقل الضرائب التي كانت تفرض على تجارتهم في حال مرورها عبر اراضي الدولة المملوكية[4]، وهذا ما أعاد للبصرة أهميتها في تجارة الترانسيت، وجعلها واحدة من اهم محطات التجارة الدولية بحكم وقوعها على رأس الخليج العربي[5]، فهي مخرج تجارة العراق، وتتصل بالصين والهند بطرق بحرية وبرية، كما تتصل بالشام وآسيا الصغرى بطرق برية ونهرية[6]، ولهذا كانت مركزا لتجمع التجار الاجانب لاسيما الأوربيين والهنود[7] والشاميين والفرس[8]، وكانت تضم اسواقها مخازن ومستودعات كثيرة لبضائع البلدان الشرقية والغربية، فضلا عن البضائع العراقية، وقد بلغ ايرادها من ضرائب التجارة منتصف القرن التاسع الهجري حوالي (441000) دينار[9]. وقد ساهم التجار العراقيون بحركة التجارة بين الشرق والغرب، اذ كان في بعض موانئ الخليج العربي كميناء هرمز والبحرين وموانئ اليمن وبعض المدن الهندية ومدن

---

(1) المصدر نفسه، جـ9، ص256–257. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(2) اشتور: المرجع السابق، ص340.

(3) المرجع نفسه، ص355–356.

(4) يذكر نعيم زكي فهمي ان المماليك فرضوا رسوما كمركية عالية على كل بالة تجارية تمر من البحر الاحمر إلى مصر ودول أوربا، فالبضائع التي كان ثمنها (20.000) جنيه كان يدفع عنها رسوم تبلغ (4000) جنيه هذا غير الهدايا التي كانت تدفع للسلطان لتسهيل الشحن. انظر: طرق التجارة الدولية، ص126–127.

(5) فهمي: المرجع نفسه، ص122.

(6) المرجع نفسه، ص122.

(7) المرجع نفسه، ص124. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(8) السخاوي: الضوء اللامع، جـ9، ص256–257. اشتور: المرجع السابق، ص355.

(9) فهمي: المرجع السابق، ص122.

اخرى في بلاد ما وراء النهر اعداد من التجار العراقيين[1] الذين كانوا يصدرون إلى بلدان الشرق سلع العراق[2]، ويشترون بضائع تلك البلدان ليشحنوها إلى البصرة أو بغداد، ومن هناك يقوم التجار الأوربيون والشاميون بشراء غاليتها وشحنها إلى بلدانهم. وعلى ذكر التجار الأوربيين يشير اشتور استنادا إلى شهادة احد الرحالة الأوربيين المسمى كاترينو زينو البندقي الذي قام برحلة برية في اسيا في عام 841 هـ / 1425م وعاش لبعض سنوات في البصرة بأن البصرة كان فيها اعداد من التجار الايطاليين، وهذه دلالة قاطعة على استمرار علاقة العراق التجارية مع اوربا، وكانت أهم البضائع التي يتاجر بها الأوربيون عن طريق العراق التوابل[3] والعنبر، فضلا عن استيرادهم بضائع عراقية كالمنسوجات التي كانت تلقى رواجا كبيرا في أوربا وكذلك السكر المعروف بالبغدادي[4]، والواقع ان هذه التجارة التي كانت قوافلها تسلك في الغالب طريق بغداد ديار بكر[5] بقيت مزدهرة حتى بعد سقوط دولة الآق قوينلو ويشهد على ذلك الحقيقة القائلة ان 150 تاجرا من التجار الأوربيين كانوا يقيمون في امد في سنة 924 هـ / 1518م[6].

وأخيرا وللدلالة على استمرار النشاط التجاري في العراق، نورد اسماء عدد من التجار الذين زاولوا اعمالهم التجارية فيه ومع البلدان التي سبقت الاشارة اليها، ومن هؤلاء التجار:-

1- احمد بن عبد الرحيم بن احمد الشهاب بن التاج، ويعرف بابن الفصيح الكوفي الأصل البغدادي ثم القاهري (توفي في شعبان 828 هـ / 1435م) وكان يتعاطى التجارة منذ شبابه[7].

---

(1) انظر في نهاية المبحث قائمة باسماء التجار الذين زاروا هذه المدن لاغراض تجارية.

(2) كانت أهم السلع والمنتوجات التي تصدر إلى بلدان الشرق الموسلين والتمور والحبوب. انظر: فهمي: المرجع السابق، ص173.

(3) سقط ذكر وجود التجار الايطاليين في البصرة في الترجمة العربية لكتاب التاريخ الاقتصادي لاشتور في حين تضمن النص الانكليزي هذه المعلومة. انظر:

Ashtor: Social and Economic history of the Near East in the Middle Ages " London, 1986", p. 276.

(4) فهمي: المرجع السابق، ص230، 241-242، 247.

(5) المرجع نفسه، ص154. اشتور: المرجع السابق، ص356.

(6) اشتور: المرجع نفسه، ص356.

(7) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص353. السخاوي: الضوء اللامع، جـ1، ص335.

2- محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف ابو الخير العمري الدمشقي الشيرازي (ولد سنة 751 هـ / 1350م وتوفي سنة 833 هـ / 1429م) كان يتردد على بلاد اليمن ومكة والقاهرة والشام والبصرة وشيراز لأغراض تجارية[1].

3- عبد المنعم بن محمد بن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي (كان حيا سنة 838 هـ / 1434م) طاف في بلاد سمرقند، وكان يرتزق من الحياكة[2].

4- عبد الرحمن بن نصر الله بن احمد بن محمد، نور الدين الجلال التستري الأصل البغدادي نزيل القاهرة (كان حيا سنة 840 هـ / 1436م) كان يتكسب بتجارة الحرير[3].

5- محمد بن احمد بن نصر الله بن احمد بن محمد بن عمر موفق الدين ابن المحب البغدادي (كان حياً سنة 854 هـ / 1450م) تعاطى التجارة، وتوفي في مدينة الأسكندرية[4].

6- عبد الكريم بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الكريم الزبيدي البصري (توفي سنة 855 هـ / 1451م) دخل اليمن لأغراض التجارة[5].

7- ابراهيم بن ابي بكر بن يوسف كمال الدين أو برهان الدين بن الحمال البصري (ولد سنة 804 هـ / 1401م) وتوفي بمكة في ذي القعدة سنة 859 هـ / 1454م) كان يتعاطى التجارة مع بلاد الحجاز ولاسيما مع مكة[6].

8- احمد بن جمعة بن عبد الله الواسطي الأصل الحرار والده البزاز (توفي سنة 857 هـ / 1453م) بمكة[7].

9- عطاء بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن عبد الله بن الكمال بن محمد ابن زماخه البصري الذي كان له مال كثير يتردد به إلى اليمن وشوشتر وبلاد الهند والحجاز (توفي سنة 860 هـ / 1456م) في كالكوت[8].

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ9، ص256-257.

(2) المصدر نفسه، جـ5، ص89.

(3) المصدر نفسه، جـ4، ص157.

(4) المصدر نفسه، جـ7، ص114-115.

(5) المصدر نفسه، جـ4، ص319.

(6) المصدر نفسه، جـ1، ص36.

(7) المصدر نفسه، جـ1، ص268.

(8) المصدر نفسه، جـ5، ص147.

10- ابراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر برهان الدين ابو اسحاق بن التاج البغدادي ثم القاهري التاجر (ولد في بغداد في ذي الحجة سنة 793 هـ / 1390م، وتوفي في ذي الحجة سنة 867 هـ / 1462م) كان متكسبا بالتجارة على سداد وخير[1].

11- علي بن جمعة بن ابي بكر البغدادي (توفي سنة 868 هـ / 1463م) كان يرتزق من صنائعه وطاف في بلدان عدة منها البحرين والهند وبلاد فارس وما وراء النهر[2].

12- علي بن احمد بن حسن الخواجا نور الدين البصري ويعرف بالمغيربي (توفي سنة 878 هـ / 1473م) بمكة، كان يتاجر مع بلاد الهند[3].

13- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زوران البصري الخواجه (توفي في ربيع الاخر سنة 879 هـ / 1474م) كان يسافر إلى الهند لأغراض تجارية[4].

14- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن الخواجا شمس العقعق بن محمد بن يوسف البصري المكي (توفي سنة 885 هـ / 1490م) كان يتعاطى التجارة ويسافر من اجلها، ودخل الشام وحلب وغيرها[5].

15- ابراهيم بن الخواجه شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف العقمق البصري نزيل مكة (كان حيا سنة 897 هـ / 1493م) اشتغل في حياته بالتكسب[6].

16- عبد الله بن عامر المحيسني بن محمد الحسني البلدي الحجازي الكيلاني، ويعرف بالمساوي، كان يتردد على بغداد وهرمز واليمن وبلاد اخرى، وله خبرة في قيادة القوافل، استقر في مكة سنة 884 هـ / 1479م[7].

17- قاسم بن هرون بن محمد بن موسى التفأي الأصل القاهري الأزهري اقبل على التكسب وسافر في ذلك له ولغيره إلى العراق وهرمز والهند وبلدان أخرى[8].

---

(1) المصدر نفسه، جـ1، ص73.

(2) المصدر نفسه، جـ5، ص209-210.

(3) المصدر نفسه، جـ5، ص165.

(4) المصدر نفسه، جـ4، ص87.

(5) المصدر نفسه، جـ5، ص101.

(6) المصدر نفسه، جـ1، ص165.

(7) المصدر نفسه، جـ5، ص22.

(8) المصدر نفسه، جـ6، ص292-293.

سادسا: الضرائب وطرق جبايتها

تصنف الضرائب إلى شرعية وغير شرعية، ويدخل في الصنف الاول ضريبة الخراج والجزية وعشور التجارة والصدقات وخمس المعادن وارث من يموت ولا وارث له، والصنف الثاني يدخل فيه كل ما استحدث من ضرائب اخرى غيرها[1].

كانت الدولة العربية الإسلامية في بداية عهدها تعتمد في مواردها المالية على الغنائم والزكاة والضرائب الشرعية. وفي العهد العباسي اصبحت الضرائب الشرعية غير قادرة على سد متطلبات نفقات الدولة المتزايدة بسبب توقف حركة الفتوحات الإسلامية ونقلص رقعة الخلافة نتيجة لحركات الانفصال الكثيرة التي أدت إلى حرمان بيت المال من مصادر مالية كبيرة، فانعكس كل ذلك على الضرائب لاسيما غير الشرعية التي زاد الاعتماد عليها، والتي أصبحت تضم عدة انواع تسمى بالمكوس، وقد فرضت على الحوانيت والأسواق والارث ونقل البضائع التجارية والطواحين والدور والدخل والمراعي[2].

ورث المغول الايلخانيون والجلائريون من بعدهم هذا النظام ولم يميزوا فيه بين الضرائب الشرعية وغيرها ما دام ذلك يوفر لهم اكبر قدر ممكن من المال واعتبر كل انواع الضرائب التي كان معمولا بها في العهد العباسي مصدرا يهتدى به[3].

وكانت ضرائب عهد القره قوينلو والآق قوينلو استمرارا لضرائب العهود السابقة، لكنها كانت اكثر وطأة وتعددا. والمصادر لا تقدم معلومات وافية عنها وعن نسبها وكيفية جبايتها.

ومن الضرائب الشرعية وغير الشرعية والتي وجدنا عنها بعض المعلومات في هذا العهد هي:-

أولا: الضرائب الشرعية

1ـ ضريبة الخراج:

كانت هذه الضريبة في العهد العباسي تؤخذ بالمقاسمة ثم خفضها الخليفة المأمون إلى الخمسين[4]. وكان الفلاح يدفعها اما نقدا أو عينا أو بكليهما معا تخفيفا عنه، وليس هناك ما يشير إلى ان المغول الايلخانيين قد احدثوا تغيرا في نظام هذه الضريبة، حيث بقي نظام المقاسمة

---

(1) ابن جعفر: المصدر السابق، ص209-210، 224-226، 228، 241-243، 245.

(2) الدوري: المرجع السابق، ص182، 192-196. خصباك: المرجع السابق، ص107-108.

(3) انظر: القزاز: المرجع السابق، ص252-253. العاني: المرجع السابق، ص309-310.

(4) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار بيروت، بيروت، 1966م، ص182، 216.

يعمل به[1]، في هذا العهد وكذلك في العهد الجلائري[2]. وليست لدينا معلومات عن نسبها في عهد القره قوينلو، ولكن يبدو انها كانت مجحفة، فبعد ان أوقف الشاه محمد جبايتها لمدة سبع سنوات، شرع سنة 820 هـ / 1417م في جمعها فحصل له منها اموال كثير[3]. وكذلك فعل اسبان بالنسبة لأراضي الدجيل[4].

وحدث اصلاح مالي على نظام هذه الضريبة في عهد الآق قوينلو، فهناك من يذكر بانه قد جرى مسح للأراضي الخراجية في عهد حسن الطويل، وبموجبه ثبت مقدار الخراج الذي كان يجمع من كافة ارجاء المملكة[5]، ولكن هذا النظام لم تحدده المصادر. وفي سنة 894 هـ / 1489م جرت مراجعة وتدقيق للخراج في عهد السلطان يعقوب بهدف ضبط النظام الضريبي لغرض استخدام المال المجبى من هذه الضريبة لفائدة الرعية والجيش وتطبيق احكام العدالة والمساواة، وحدث ذلك بعد ان اتهم القائمون على جبايتها بأنهم استخدموا اساليب العنف والازعاج في جبايتها، كما انهم اخذوا يستحصلونها على نحو لا يتوافق مع احكام الشرع[6]. ويبدو ان تثبيت نسبها لم يستمر طويلا لان هذه الاصلاحات المالية لم يؤخذ بها بعد وفاة السلطان يعقوب سنة 896 هـ / 1490م[7].

2ـ ضريبة الجزية:

فرضت هذه الضريبة على اهل الذمة لقاء حمايتهم إلى جانب اعفائهم من الخدمة العسكرية على وفق ما أقره عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وتسقط هذه الضريبة عن الشخص اذا اعتنق الاسلام[8]، وقد استمر العمل بهذه الضريبة على هذا النحو في عهد الايلخانيين بعد اسلام الايلخان احمد تكودار[9]، وجرى أخذها من اليهود والنصارى والأرمن

---

(1) الفيل: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد، ص310.

(2) العاني: المرجع السابق، ص310.

(3) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص136. العيني: عقد الجمان، ص301.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص260.

(5) Minorsky: The AQ – Qoyunlu and land Reforms, p. 450.

(6) Ibid., pp. 452-453.

(7) Ibid., pp. 452-457.

(8) ابن جعفر: المصدر السابق، ص224–225.

(9) جاء في رسالة احمد تكودار إلى السلطان قلاوون التأكيد على اقامته "... نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الاحمدي اجلالا وتعظيما". انظر نص الرسالة: ابن عبد الظاهر: المصدر السابق،

في العهد الجلائري[1]، وعلى الرغم من تغافل المؤرخين عن ذكر جبايتها على عهد حكام القره قوينلو في العراق الا ان فرض جهانشاه الجزية على الجورجيين بعد احتلاله عاصمتهم تفليس[2] سنة 843 هـ / 1439م[3] يرجح جبايته لها من ذمي العراق عن طريق نوابه على بغداد.

ثانيا: الضرائب غير الشرعية

1- ضريبة التمغا:

وتسمى احيانا "طمغة أو دمغة" ويراد بها الضريبة التي كانت تفرض على أهل المال والتجارة[4]، ومستحصلها يسمى تماغجي[5]، وفي العهود التالية لحكم الايلخانيين توسع العمل بهذه الضريبة وأصبحت تشمل جميع الضرائب التي لم يرد لها ذكر في القران الكريم، والتي كانت تؤخذ من أهل المدينة ومن السلع المصدرة اليها وكان يطلق عليها اسم "تمغا المدينة"[6]. وقد عانى سكان المدن كثيرا من هذه الضريبة فبعد ان كانت نسبة استحصالها 1/ 240 من أصل رأس المال في عهد المغول[7] اصبحت في عهد القره قوينلو لا تطاق، ويذكر الغياثي ان أهل بغداد قد عجزوا عن دفعها في عهد بيربوداق الذي كان له فيها تماغجيان احدهما اسمه فضيل[8]. وأراد حسن الطويل الآق قوينلو ان يبطل هذه الضريبة في جميع بلاده. ولكن الامراء عارضوه "فجعل التمغا من كل عشرين درهما درهما على النصف"[9]، أي بنسبة 1/ 10 ومع ذلك بقيت نسبة استحصالها مرتفعة اثنتي عشرة مرة، عما كانت عليه في عهد المغول.

ص8، واحد جوانب الشرع هو فرض الجزية على أهل الذمة. وقد اكد ابن العبري جبايتها من أهل الذمة، انظر: تاريخ الدول السرياني، ص397-398.

(1) العاني: المرجع السابق، ص314.

(2)Minorsky: Jihan – Shah Qara – Qoyunlu, p. 279.

(3) Romer: op. cit., Vol. 6, p. 166.

(4) العزاوي: تاريخ الضرائب العراقية، ص35-36.

(5) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص318.

(6) العاني: المرجع السابق، ص315.

(7)Minorsky: The AQ – Qoyunlu and Land Reforms, p. 450, Note "3".

(8) التاريخ الغياثي، ص318.

(9) المصدر نفسه، ص391.

وكانت ضريبة التمغا في عهد الآق قوينلو تنقسم إلى نوعين، الاولى تسمى تمغاسياه الأسود والثانية باج برزك الباج الكبير وكلتاهما تفرض على السلع والمتوجات الزراعية والأواني النحاسية والفضية والأحمال والأملاك والفرق بينهما ان الأولى تؤخذ عن السلع التي تمر من مدينة إلى أخرى وهي للبيع، في حين ان الثانية هي ضريبة العبور أو الكمرك[1].

2ـ ضريبة مال الأمان:

وهي من الضرائب التي استحدثت في عهد تيمور، وكانت تفرض على سكان المدن التي افتتحت صلحا لقاء حفظ نفوسهم من القتل واموالهم من النهب[2]، وقد استحصلها تيمور من سكان بغداد سنة 795 هـ / 1392م[3]، وفي عهد القره قوينلو استحصلها اسبان من سكان مدينة الحويزة التي "اخذ مال الأمان من اهلها حتى لم يبق شيء من المال عند أحد"[4].

3ـ المصادرة:

وهي من الضرائب التي كان يفرضها بعض حكام القره قوينلو على سكان المدن العراقية كلما احتاجوا إلى مال، فقد فرض بير بوداق على سكان بغداد سنة 864 هـ / 1459م الفا وثمانمائة تومان، ووقع عند استحصالها "ضرب وعقوبة وتعذيب لا يعلمه الا الله"[5]. ويجدر هنا التذكير ان هذه الضريبة قد فرضت في ظل ظروف طبيعية، فلم تكن بغداد قد تمردت على سلطة بير بوداق حتى يجري مصادرتها بهذا الشكل، لذلك فان هذه الضريبة ليست لها علاقة بعمليات النهب والمصادرة التي كانت تجرى لسكان المدن العراقية التي كان يجري اقتحامها بعد كل عملية حصار.

4ـ ضريبة البشكشاي (الهدايا):

هذه الضريبة لا تختلف من حيث الجوهر عن ضريبة سلمانه، فهما ضريبتان غير رسميتين تقدمان للسلطان في المناسبات والتهاني[6]، ومقدارهما في زمن حسن الطويل اثنان وعشرون اقجة جرى استيفاؤها من اصحاب الجواميس[7].

---

(1) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الأسود والخروف الأبيض، ص271، الهامش رقم (35).
Uzuncarsili: Osmanli Devlet, s, 301. Hinz: A. g. e. ss, 89-90.

(2) حسين: المرجع السابق، ص405.

(3) الشامي: المصدر السابق، ص141.

(4) الغياثي: التاريخ الغياثي، ص275–276.

(5) المصدر نفسه، ص317.

(6) Minorsky: Asoyurghal of Qasim, p. 949.

(7) ترزى باشا، عطا: أقدم وثيقة عثمانية عن بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م، ص523.

5ـ **ضرائب أخرى**:

فضلا عن الضرائب التي ذكرناها استحصل القره قوينلو والآق قوينلو ضرائب اخرى غير ثابتة منها ضريبة التكاليف العرفية أو ما يسمى بالديوانية، وكانت تفرض على الرعية لمواجهة الحالات الطارئة كالكوارث والحروب[1]، ونسبها غير مقدرة. والعارضات ومقدارها اجرة عامل تقدم بدل وجبة غذاء للعمال الذين يشتغلون في الخدمات العامة التي تعود منفعتها للرعية كبناء القنوات والجسور[2]. والاخراجات وهي المصروفات التي تصرف على موظفي الحكومة والتي يجري استحصالها من دخول وخروج المسافرين إلى المدينة، أو البلد[3]. والقسمات والتسمية مأخوذة من القسم، وتفرض على الاشخاص الذين يجري البت في قضاياهم في المحاكم الشرعية، كما كانت تؤخذ من اصحاب المزارع لقاء اتعاب المخمنين الذين يقومون بتحديد حصة الحكومة من الغلال[4]، والتوزيعات وتشبه سابقتها في انها تؤخذ في اثناء قسمة الحاصلات وتوزيعها واخذ حصة الديوان منها. وضريبة القصابين ومقدارها غير مثبت[5]، وضريبة العروس، وتفرض على عملية الزواج. والسياب وتستحصل من اصحاب الطواحين[6]. والقبجور[7]، وتسمى بضريبة المراعي، وتقرر على اصحاب المواشي في كل سنة في مقابل ما رعته مواشيهم من نبات الأرض[8]، وكانت نسبتها في عهد المغول رأس شاه من كل مائة رأس[9]، وليست لدينا معلومات عن مقدارها زمن القره قوينلو أو الآق قوينلو، وهناك ضرائب أخرى لم نتعرف على ماهيتها منها الشلتكات والتي حاول آخر حكام الآق

---

(1)Uzuncarsili: Anadolu, s, 241.

(2) Minorsky: Asoyurghal of Qasim. P. 948.

(3) Ibid., p. 948.

(4) Ibid., p. 947.

(5) Ibid., pp. 935, 947.

وأنظر كذلك: العاني: المرجع السابق، ص312.

(6) علي: الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض، ص269.

(7) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 453, Note "8".

(8) النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب، جـ8، ص262.

(9) رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء كنكيز خان)، ص217.

قوينلو السلطان احمد الغاءها مع ضريبة الاخراجات، ولكن محاولته باءت بالفشل بمقتله[1]، وشناكيس وتوجيهات والوفا والكونالغا وأولم وطرح[2] والحشوى[3].

طرق جباية الضرائب:

استخدم القره قوينلو والآق قوينلو الأساليب الثلاثة التي كانت شائعة في العهود السابقة في اسلوب جباية الضرائب، وهي الاقطاع والضمان والجباية المباشرة.

والاقطاع هو ان تقطع القرية ونحوها لأحد الافراد ويقرر على مقطعها مبلغ من المال يؤديه للدول كل سنة[4]، والقره قوينلو والآق قوينلو توسعوا في هذا النمط من الاقطاع وأصبحت الولاية بكاملها تمنح اقطاعا لأحد افراد الاسرة الحاكمة التي كانت تقع عليها مسؤولية دفع جزء من واردات الضرائب المجباة منها للدولة، ومع انه ليست لدينا معلومات عن مقدار هذه الجباية في ولاية العراق العربي، الا ان المعلومات تشير إلى ان مقدارها كان سنة 884 هـ / 1479م خمسة آلاف تومان تبريزي على ولاية فارس وسبعين الف تومان على ولاية الجبل[5]، وهذا التباين في مقدارها يرجع إلى التفاوت في خصوبة وانتاجية الارض ومساحتها في كلتا الولايتين.

اما الضمان فمتوليه يسمى الضامن الذي يتكفل بتقدير مبلغ معين من المال للدولة عن منطقة من المناطق أو عدة مناطق مقابل جباية ضرائبها لنفسه، وهذا الأسلوب كان الاكثر شيوعا في عهدي الايلخانيين والجلائريين[6]. وقد استمر العمل بهذا الاسلوب في هذا العهد، ولدينا في ذلك اشارة تؤكد ان اراضي الخالصات والتي تعود ملكيتها للسلطان كانت تضمن إلى موظفين حكوميين[7].

اما الجباية المباشرة فهي ان يكون للدولة موظفين لهم معرفة بشؤون الضرائب يقومون بجبايتها بناء على اوامر تصدر لهم وعلى ما يبدو فان الضرائب غير الثابتة كانت تجبى بهذه الطريقة.

سابعا: النقود

---

(1) اشتور: المرجع السابق، ص323.

(2) Minorsky: Asoyurghal of Qasim, pp. 947-949.

(3) Minorsky: The AQ-Qoyunlu and Land Reforms, p. 453.

(4) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ13، ص123.

(5) Hinz: A. g. e., ss, 88-89.

(6) القزاز: المرجع السابق، ص266. العاني: المرجع السابق، ص321.

(7)Minorsky: Asoyurghal of Qasim, p. 947.

على الرغم من سيادة نظام المقايضة في النشاط الاقتصادي في العراق في هذه الفترة، فان ذلك لم يمنع تداول السكان نقودا مختلفة، فقد استمرت دور الضرب في بغداد والموصل تضرب نقودا ولكن الكميات المضروبة منها كانت قليلة، كما جرى تداول نقود تعود لعهود سابقة، فبيربوداق حاكم بغداد عثر على كنز من ذهب في احد الأروقة التي كانت قد بينت في اواخر العهد العباسي قدر وزنه بسبعمائة مَن بوزن تبريز[1]، كلها مسكوكات ذهب تامة العيار ضربت في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي، وقد قام بير بوداق بتفريقها على العسكر[2]، كما ان النقود الايرانية والمملوكية هي الاخرى كان يجري التعامل بها في العراق، فبير بوداق فرض على اهل بغداد في شهر ربيع الاول سنة 866 هـ / 1461م الفاً وثمانمائة تومان[3]، وجبى قره يوسف مائة الف درهم من اهل عيتاب التابعة لبلاد الشام سنة 821 هـ / 1418م[4]، وان السلطان المصري منح اسكندر عشرة الآف دينار مملوكي[5]، وكان هناك ذكر للاقجة العثمانية في التعامل المالي لدولة الآق قوينلو، فبعض الضرائب كالضريبة المفروضة على اصحاب الجواميس جرى استحصالها بالأقجة[6]. واعتمد الآق قوينلو في تعاملهم المالي على البارة، حيث استخدموها على نطاق واسع[7]. والباره بالأصل عملة تيمورية، وقد وضع حسن الطويل اسمه على هذه العملة دون سكها من جديد فكان على الوجه الاول العادل حسن بيك، وعلى ظهرها سنة الضرب ومكانه شيراز 820 هـ / 1417م، وهذا يعني ان الدولة غير قادرة على سك عملة جديدة بسبب قلة الفضة والضعف الاقتصادي، لذا جرت الاستعانة بالعملة السابقة. وفي عهد السلطان يعقوب ضربت بارة فضية كان الوجه الاول يحمل العادل سلطان يعقوب وعلى ظهرها سنة الضرب ومكانه يزد سنة 893 هـ / 1486م، كما وجدت بارة ضربت في بغداد باسم السلطان رستم[8] غير ان البارة لم يرد لها ذكر في العراق في عهد القره قوينلو، في حين ان هناك اشارات كثيرة أوردتها بعض المصادر عن استخدام الدينار

---

(1) المن التبريزي: يساوي 3 كغم تقريبا، ولا يزال معمولا به حتى اليوم منذ اواسط القرن الثامن الهجري. هنتز: المكاييل، ص16.

(2) الغياثي: المصدر السابق، ص318-319.

(3) المصدر نفسه، ص317.

(4) العريني: عقد الجمان، ص319.

(5) المقريزي: المصدر السابق، جـ4، ق2، ص957. مجهول: المصدر السابق، ص155.

(6) ترزي باشا: أقدم وثيقة عثمانية عن بغداد، ص522.

(7) Hinz: A. g. e., ss, 88, 90.

(8)Hinz: A. g. e., ss, 90-91.

الذهبي والدرهم الفضي وكذلك الفلس[1]. ويلاحظ ان قيمة هذه النقود لم تكن ثابتة بل هي عرضة للتذبذب لارتباطها كما هو الحال في الوقت الحاضر بطبيعة الظرف السياسي والاقتصادي للبلد، ففي سنة 835 هـ / 1431م وبسبب الحروب والحصار والأوبئة ارتفعت الأسعار بشكب مذهل فبيع المن من لحم الضأن بدينار ذهب[2]، وبلغ تغار الحنطة اثنتي عشر الف دينار في الحلة[3]، وحدث سنة 849 هـ / 1445م تضخم كبير عندما فتح احد امراء بغداد ويدعى شيخي بيك خزائن بغداد وقسمها على الجند من أجل حثهم على مقاومة حصار جهانشاه للمدينة وقد أشار إلى ذلك الغياثي قائلا "صارت الدراهم بسعر الفلوس في بغداد وبلغ رأس غنم بألف دينار، وما ذاك من قلة الغنم واللحم، فكان للناس غنم ودجاج كثير يعلفونه، ولكن من كثرة الدراهم.." [4]. وانخفاض قيمة النقد حدث كذلك سنة 869 هـ / 1464م أثناء حصار جهانشاه بغداد فارتفعت الاسعار وبيع رأس الغنم بما يوازي مائة دينار، والرطل البغدادي[5] من الثوم بنحو خمسة عشر دينارا[6].

اما عن اشكال النقد وما تضمنته من عبارات، فالواقع انها كانت مشابهة للنقود الجلائرية[7] من حيث تضمنها العبارات التقليدية "لا اله الا الله محمد رسول الله" وحولها اسماء بعض الخلفاء الراشدين مع اسم الحاكم ومكان الضرب، ومنها هذان النموذجان:

---

(1) انظر: الغياثي: المصدر السابق، ص263، 282. السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص2-3. مجهول: حوليات دمشقية، ص23. العاني: المرجع السابق، ص330.

Summer: A. g. e. 1, cilt, s, 88.

(2) مجهول: حوليات دمشقية، ص23.

(3) الغياثي: المصدر السابق، ص263.

(4) المصدر نفسه، ص282.

(5) الرطل البغدادي: يساوي الرطل الشرعي ويساوي 130 درهما ويعادل 406.25 غم. هنتس: المكاييل، ص30-31، 35.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص2-3.

(7) عن النقود الجلائرية، انظر: العاني: المرجع السابق، ص336-337.

أولا: نقد ضرب في عهد قره يوسف وابنه بير بوداق في الموصل[1]:

تاريخه؟ 81

الوجه	الظهر
علي	سلطان بير بوداق
لا اله الا الله	ضرب
محمد	فان أمير يوسف
رسول الله	موصل
	نويان خلد ملله
	عشر

ثانيا: نقد ضرب في عهد جهانشاه في بغداد[2]، وتاريخه لم يحدد ولكن تضمن النقد سنة جهانشاه وهي اما سنة 850 هـ / 1446م، أو 869 هـ / 1464م، وكلا التاريخين احتل فيه جهانشاه بغداد:

الوجه	الظهر
ابو بكر	خلد
الله محمد	السلطان العالم
ضرب	بير بوداق
بغد	شاه يوسف نويان
---	ملكه

ويذكر خواندمير ان الشاه محمد ضرب نقودا باسمه في بغداد[3]، ولكن لم تصل الينا نماذج منها.

---

(1) توحيد: المرجع السابق، ق4، ص454.

(2) المرجع نفسه، ق4، ص459.

(3) تاريخ حبيب السير، م3، ص588.

الفصل الثامن

الحياة الثقافية

أولا : العلوم الدينية والتصوف

1- العلوم الدينية

2- التصوف

ثانيا : علوم اللغة العربية وآدابها

ثالثا : التاريخ والانساب

رابعا : فنون الموسيقى والغناء

خامسا : الطب

الفصل الثامن
الحياة الثقافية

لقد كان للاحتلال القره قوينلوي الآق قوينلوي للعراق اثار سلبية كبيرة على الحياة الثقافية فيه، اذ بفعل الفوضى والاضطهاد والتخريب اضطر الكثير من علمائه ومشايخه للهجرة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز وبلدان اخرى، ومن بقي انتزعت منه حرية التفكير والابداع. كما طال اغلب المؤسسات التعليمية التخريب ووقف الدراسة[1] فيها لاستيلاء حكام القره قوينلو على اوقافها وقطع ارزاق مدرسيها وطلبتها[2].

وعلى الرغم من اسلام الحكام الجدد فقد ظلت القيم البدوية الرعوية المتخلفة تتحكم في سلوكهم وعاداتهم، وهذه القيم كانت تتقاطع في احايين كثيرة مع ثقافة العراقيين الضاربة في عمق التاريخ، فبقيت الهوة كبيرة بينهم وبين سكان العراق، ومما زاد الطين بلة أنهم اهملوا اللغة العربية واتخذوا اللغة الفارسية لغة رسمية متداولة في دواوينهم وفي نشاطاتهم الثقافية، فجهانشاه كان يكتب الشعر بهذه اللغة[3] التي ينسب اليه بها ديوان (شمس العارفين)[4]، وكذلك كتب بير بوداق اشعاره بالفارسية، وزوجة جهانشاه بنت مدرسة وجامعا في تبريز[5] لتدريس اللغة الفارسية وآدابها، كما قربوا في مجالسهم عددا من الكتاب والشعراء الفرس منهم من حظي بالتكريم لدى جهانشاه امثال عبد الرزاق السمر قندي[6] وجلال الدين كيواني والشيخ شجاع الدين بن كمال الدين الكرماني[7]، اما في العراق فلم يترك هؤلاء الحكام أي اثر ثقافي فهم لم يقوموا ببناء مؤسسات تعليمية أو ثقافية جديدة ولم يشجعوا التأليف باللغة العربية ولم يقربوا علماء العراق وان ما يقال عن اهتمام أسبان بالعلماء ودعوته لعدد من علماء

---

(1) ومنها المدرسة المستنصرية، النظامية، المرجانية، مدرسة جامع النعمان من المدارس التي كانت الدراسة قائمة فيها في العهد الجلائري ثم غاب ذكرها في هذا العهد باستثناء المدرسة المستنصرة وهذا الغياب دلالة على توقف الدراسة فيها. اما مدارس باقي المدن العراقية، فالمصادر المتيسرة لم تشر الى استمرار الدراسة فيها باستثناء مدرسة ابن فهد في الحلة. عن مدارس العهد الجلائري، أنظر: زعين: الثقافة العربية، ص28- 33.

(2) الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، جـ2، ص399.

(3) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186.

(4) Amoretti: op. cit, Vol. 6, p. 622. Romer: op. cit, Vol. 6. 165.

(5) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186.

(6) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 676.

(7) Uzuncarsili: Anadolu, s. 186.

العراق البارزين لحضور مجلس عقده لمناقشة الامور المذهبية[1] لم يكـن الا لاعتبـارات سياسـية بحتة لان أسبان كاخوته الآخرين كان مختل العقيدة[2] يفطـر جهـارا في رمـضان ويمـد الـسماط ويتبعه جماعة من الزنادقة والملحدين[3] كالحروفيين والحيدريين الذين يطعنون بالدين الاسـلامي وينادون بترك الشعائر الإسلامية كما سيرد ذكر ذلك لاحقا فكيف يتأتى لشخص مثل هذا بان يهتم بتعمير منشآت اسلامية وهو أبعد ما يكون عن الاسلام.

ولم يكن واقع الحال أفضل من هذا في عهد الآق قوينلو، فقـد خـلال عهـدهم مـن أي ذكر لأي أثر حضاري لهم في العراق كأن يكون منشآت تعليمية أو نتاجات ثقافية، فاهتماماتهم كأسلافهم القره قوينلوي كانت منصبة على الفارسية وحاضرتهم تبريز.

وعلى ضوء هذا الواقع كانت النشاطات الثقافية العربيـة الإسـلامية في العـراق منكفئـة على نفسها تنتظر من ينفخ فيها الروح حتى تخرج من محنتها، لذا لم تصل الينا اخبار الكـثير مـن علمائها الذين يعتقد انهم قد تواروا عن الانظار، الامر الذي فسره الغياثي بعـدم وجـود اهـل علم في العراق بقوله "ان من كثرة الفتن وتواتر المحن التي جرت بأرض العـراق لم يـضبط احـد تواريخها.. أولا من عدم اهل العلم ومن ينظر فيه.."[4].

ولاشك ان هذه المحن قد أثرت على النتاجـات العلميـة والفكريـة لعلمـاء هـذا البلـد، ولكنها حتما لم تصل إلى مستوى الهبوط الـذي وصـله كتـاب التـاريخ الغيـاثي الـذي اتـصف بالركاكة في الاسلوب وغلبة العامية عليه واستعانة مؤلفـه بالألفـاظ الفارسـية[5]، ومـع أننـا لا نمتلك تفسيرا لأسباب تدني هذا الكتاب غير ارجاع ذلك إلى احتمـال اثـر البيئـة الثقافيـة الـتي عاش فيها المؤلف قبل هجرته إلى حلب وطغيان التأثيرات الفارسية عليـه اكثـر مـن العربيـة[6]،

---

(1) الشوشتري: المصدر السـابق، جـ2، ص395.

(2) Minorsky: Jihan Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, p. 676.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، جـ3، ص3. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص167.

(4) التاريخ الغياثي، ص8.

(5) تكاد لا تخلو صفحة من صفحات التاريخ الغياثي من خطأ نحوي أو لغوي أو خلط بين المذكر والمؤنث أو استعمال كلمات أو اشعار أو مصطلحات فارسية. وللاطلاع، أنظر: مادة الكتاب.

(6) أشار الحمداني محقق كتاب التاريخ الغياثي الى ان المعلومات قليلة جداً عن الغياثي، فلا توجد معلومـات عن حياتهِ في العراق غير ماذكره العزاوي من أنه (الكاتب البغـدادي) والمحقـق يـشك في نـسبته لبغـداد، ويقول "ولا أدري من اين جـاء العـزاوي بالزيـادة" أنظـر: التـاريخ الغيـاثي، ص8، والهـامش التحقيقـي السـادس.

وهذا امر وارد لاتقان المؤلف الفارسية بحيث كان يترجم اليها[1]. اما غيره من العلماء العراقيين الذين عاشوا بالظروف والمحنة التي عاشها الغياثي فقد تمكنوا من ان يقدموا للثقافة العربية الإسلامية نتاجات علمية سايرت روح العصر من حيث القيمة العلمية واللغة والأسلوب والدليل على ذلك ان هؤلاء العلماء قد لقوا من أصحاب كتب التراجم المملوكية المعاصرة الذين ترجموا لهم عبارات الثناء والاستحسان والإطراء وكانوا قد أطلقوا القابا علمية على الكثير منهم كلقب شيخ الاسلام والعالم وغير ذلك، وسنحاول في الصفحات الآتية تسليط الضوء على هؤلاء العلماء من خلال تخصصاتهم الثقافية سواء ممن رحلوا إلى خارج العراق أو مكثوا فيه.

أولا: العلوم الدينية والتصوف

1ـ العلوم الدينية:

تصدرت العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وقراءات غيرها من العلوم لكونها المصادر الاولى للشرع، ويمكن ملاحظة ذلك من كثرة العلماء الذين اشتغلوا بالعلوم الدينية قياسا على باقي العلوم وياتي في مقدمة هؤلاء العلماء شيخ الاسلام محب الدين ابو الفضل احمد بن الشيخ الامام جلال الدين نصر الله بن احمد البغدادي الحنفي (765 – 834 هـ / 1363 – 1429م) الذي ترك العراق، بعد ان تفقه فيه ليستقر ويشتهر في القاهرة ويصل إلى مرتبة قاضي قضاة الديار المصرية سنة 828 هـ / 1424م[2]، وقد قال عنه ابن تغرى بردى انه كان عالم السيادة الحنابلة... برع في الفقه وأصوله والحديث والعربية والتفسير[3]، ووصفه السخاوي بانه أمام تحط الرواحل لديه، هذا مع استحضار للأصول والفروع، والمعقول والمنقول، وصدق اللهجة والوقوف مع الحجة وسرعة قراءة الحديث وتجويده وعذوبة لفظه وتحريره... فاستحق بذلك أخذ هذه العلوم عنه والرجوع فيها اليه والتقدم على أقرانه والاعتماد عليه، وقال في موضع آخر عنه انه كان أماما، فقيها، مفتيا، ناظرا، عالما، علامة متقدما في فنون خصوصا مذهبه فقد انفرد به وصار عالم أهله بلاد مدافعة[4].

وكان تاج الدين احمد بن محمد بن احمد بن عمر البغدادي قاضي قضاة بغداد، درس الحديث وبرع في علوم عدة وأفتى وأخذ عنه الأعيان، وكتب رسالة تشتمل على اربعة عشر

---

(1) من الكتب التي ترجمها من الفارسية للعربية كتاب (تاج المداخل في علم النجوم)، أنظر: الغياثي: التاريخ الغياثي، ص11.

(2) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، جـ15، ص483. السخاوي: الذيل على رفع الاصر، ص111.

(3) النجوم الزاهرة، جـ15، ص483.

(4) الذيل على رفع الاصر، ص113–114، 118. وأنظر كذلك: البدر الطالع، جـ2، ص316.

علما، ونظم ارجوزة في علوم الحديث وشرحها واختصر شرح البخاري للكرماني، وقد اضطر لترك بغداد سنة 820 هـ / 1427م إلى بلاد الشام لمضايقة قره يوسف له[1].

واشتغل عز الدين عبد السالم بن احمد بن عبد المنعم البغدادي في علوم عدة، لا سيما في الفقه والأصول والنحو والطب وانتفع الناس منه في بغداد قبل رحيله إلى بلاد ايران ومنها إلى بلاد الروم ليستقر في بلاد الشام ويتوفى فيها سنة 859 هـ / 1454م[2].

وتفقه عبد الرحمن بن محمد الزين بن العلامة سعد الدين القزويني البغدادي (773 – 836 هـ / 14371 – 1432م) على خاله عالم بغداد نظام الدين محمود السديدائي وأخذ عن ابيه وعلماء آخرين ببغداد، وبرع في الفقه والتفسير والقراءات وقال عنه العلاء بن خطيب الناصرية نقلا عن السخاوي بانه رآه عالما بالفقه والمعاني والبيان والعربية وله صيت كبير في بلاده وكان عالمها[3]. وقال عنه السخاوي انه صار احد أئمة الدنيا في المعقولات وحل المشكلات واقرانها[4].

ودرس عبد الله بن يوسف البغدادي علوم الدين على يد السخاوي في مكة[5].

وقد وصف علاء الدين ابو الحسن بن محمد بن البهاء البغدادي المولود في بغداد سنة 822 هـ / 1419م بانه امام علامة فقيه محدث صنف في دمشق بعد تركه العراق سنة 837 هـ / 1433م كتاب (فتح الملك العزيز بشرح الوجيز) في خمسة مجلدات[6].

وشارك احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحمود السهروردي البغدادي والده في الأخذ عن السراج القزويني وبعد تفقهه اخذ عنه قاضي بغداد العز عبد العزيز بن علي البغدادي[7].

وقرأ برهان الدين ابو اسحاق ابراهيم بن التاج عبد الوهاب البغدادي الحنبلي (793 – 867 هـ / 1390 – 1462م) على علماء عصره وجد واجتهد حتى صار اماما محدثا يشار اليه بالبنان[8]، وقد أخذ عنه السخاوي بعض علوم الدين في أثناء وجوده في مكة[1].

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص82. ابن تغرى بردى: المنهل الصافي، جـ2، ص111-112.

(2) ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص294.

(3) الضوء اللامع، جـ4، ص154-155.

(4) المصدر نفسه، جـ4، ص155.

(5) المصدر نفسه، جـ5، ص73.

(6) ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص365-366.

(7) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص119.

(8) ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص306.

وكان الشيخ عفيف الدين ابو المعالي علي بن عبد المحسن بن الدواليبي البغدادي (779 – 858 هـ / 1377 – 1454م) – الذي ترك بغداد مهاجرا واستوطن دمشق – اماما عالما ذا سند علمي في الحديث[2].

وقد اكثر اسماعيل بن الجمال محمد بن ابراهيم بن محمد العراقي الحضور عند السخاوي لغرض الاستفادة من دروسه[3]. وكان علي بن البهاء ابن عبد الحميد بن البهاء الزوبراني البغدادي (818 – 890 هـ / 1415 – 1485م) ذا استحضار في الفقه[4]، كما صنف احمد بن نصر الله بن احمد بن محمد بن عمر بن احمد المحب البغدادي المولود في بغداد سنة 765 هـ / 1363م في الحديث والفقه ايضا[5].

وقد ذكر ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن يوسف بن عبد الرحيم الحسيني العراقي (810 – 887 هـ / 1407 – 1482م) بانه قد عرضت عليه في كل من بغداد واربل والموصل وحلب وغيرها وظائف رفضها مفضلا الاشتغال بالمعارف التي كانت له فيها تصانيف عديدة منها (ألطف اللطائف في ذكر بعض صفات المعارف) و (عمدة الطالبين في معرفة اركان الدين) و (الشفاء لسدور الصدور) و (الدواء لداء المصدور) و (الفتح الرباني في شرح الدين اليماني) و (فتح الله حسبي) و (المكتفى في مولود المصطفى "ص") و (منهاج السالكين إلى مقام العارفين) وكتب اخرى، فضلا إلى ديوان شعر[6].

ومن علماء بغداد الآخرين الشيخ سراج الدين محمد بن السيد عبد الله المخزومي الرفاعي البغدادي المتوفى سنة (885 هـ / 1480م، وله في التفسير كتابه (البيان في تفسير القرآن)[7]، وعبد العزيز بن محمد الجرناوي البغدادي المتوفى سنة 893 هـ / 1487م الذي سمع على محدثي بغداد قبل استقراره في دمشق[8].

---

(1) السخاوي: المصدر السابق، جـ1، ص73.

(2) ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص293.

(3) السخاوي: المصدر السابق، جـ2، ص305.

(4) المصدر نفسه، جـ5، ص208.

(5) المصدر نفسه، جـ2، ص233.

(6) المصدر نفسه، جـ1، ص75-77.

(7) الجنابي، احمد نصيف: علوم القرآن الكريم، حضارة العراق، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، جـ11، ص34.

(8) الغزي: المصدر السابق، جـ1، ص238.

ومن علماء الموصل الذين كان لهم باع طويل في العلوم الدينية عائلة الشمس بن يونس الشافعي ويأتي في مقدمتهم محمد بن طاهر بن الشمس الذي قتل على يد اسبان سنة 833 هـ / 1429م وكان قد برع في الفقه والتفسير ووضع مجلدين في التفسير[1]. وقد وصف السخاوي احمد بن محمد بن احمد ابن ابي بكر بن زيد الشهاب الموصلي (789 – 870 هـ / 1387 – 1465م) بالشيخ المقرئ العالم المحدث الفاضل العارف بالفقه والعربية وقد التقاه في دمشق وأفاد من علومه ومن آثاره المعرفية كتاب اختصر فيه سيرة ابن هشام وكتاب (المسالك في اداء المناسك) و (تحفة الساري إلى زيارة تميم الداري) و (محاسن المساعي في مناقب ابي عمرو الأوزعي) وله كراس في ختم البخاري سماه (تحفة السامع والقارئ في ختم صحيح البخاري)[2]. كما أفاد السخاوي ايضا من احمد بن عبد الملك بن ابي بكر بن علي بن عبد الله الموصلي الذي عرض عليه المنهاج وجمع الجوامع والألفية[3]، وسمع تقي بن محمد بن تقي الفخري السخاوي على النور الحلي بعض الاكتفاء للكلاعي[4]. واهتم محمد ابن حسن بن علي الطعفري المولد الدمشقي الدار (799 – 856 هـ / 1396 – 1452م) بعلوم الفقه والحديث[5]. وألم عبد الله بن محمد بن خضر بن ابراهيم الجمال الكوراني المتوفى سنة 894 هـ / 1488م بعلوم التفسير وأصول الدين والمعاني والبيان والمنطق والعربية[6].

وكان لعبد الله المقداد بن عبد الله السيوري الحلي الأسدي المتوفى سنة 826 هـ / 1423م وتصانيف عديدة منها (شرح نهج المسترشدين في أصول الدين) و (كنز العرفان في فقه القرآن) و (التنقيح الرائع في شرح مختصر الشرائع) و (شرح مبادئ الأصول) و (الأسئلة المقدادية) ومن تلامذته الشيخ حسن بن راشد الحلي والشيخ احمد بن محمد بن فهد الحلي الأسدي (757 – 841 هـ / 1356 – 1437م) الذي صارت له شهرة كبيرة ومكانة بين علماء المسلمين في الاصول والفروع والتصوف، ومن تصانيفه (كتاب المذهب البارع إلى شرح النافع) و (كتاب المختصر) و (شرح الارشاد) و (الموجز الحاوي) و (المحرر) و (مصباح المبتدئ) و (كتاب اللمعة في النية) و (كفاية المحتاج في مسائل الحاج) ومن تلامذة ابن فهد الشيخ علي ابن هلال الجزائري والسيد محمد بن فلاح المشعشعي والشيخ عبد الشفيع ابن فياض الأسدي

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ7، ص274.

(2) المصدر نفسه، جـ2، ص71–72.

(3) المصدر نفسه، جـ1، ص374.

(4) المصدر نفسه، جـ3، ص35.

(5) السخاوي: التبر المسبوك، ص413.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، جـ5، ص48–49.

الحلي صاحب كتاب (تحفة الطالبين في أصول الدين)[1]. وكان الشيخ رضي الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي من علماء الحلة ومحدثيها في ذلك العهد، ومن مؤلفاته (مشارق الأنوار) ورسالة في تفسير سورة الاخلاص، وكتب اخرى، كما كان له شعر رقيق منسجم قوي الأسلوب[2].

وقد عد البدر عبد الجبار بن المجد ابرز محدثي واسط وفقهائها ومن تلامذته علي بن محمد بن يعيش الزين الواسطي الشافعي المتوفى سنة 819 هـ / 1416م[3].

وكان محمد بن عبد القادر بن عمر النجم السنجاري الواسطي – الذي استقر في مكة في حدود سنة 838 هـ / 1434م بعد تركه العراق – من العلماء المتبحرين في علم القراءات، وقد درس وافتن وانتفع الطلبة منه. ومن تصانيفه نظم القراءات العشرة شرح المنهاج و تخميسات البردة و بانت سعادة، وقصيدة دون الأربعين بيتا[4].

واشتغل محمد بن محمد البصري الشافعي المولود في البصرة سنة 820 هـ / 1417م بالعلم، وقدم مكة وحضر دروس قاضيها وتوفى في كنبالة بالهند سنة 876 هـ / 1471م[5].

وكان ابراهيم بن محمد بن احمد البصري يعرف بابن زقزق من علماء البصرة وصلحائها له منظومة في الفقه سماها (اليسر) وقد التقاه السخاوي في مكة سنة 893 هـ / 1487م[6]، وكان له ولد اسمه محمد اشتغل ببلده والشاه وتميز في الفقه والعربية، وممن اخذ عنه وعن ابيه عبد الله البصري[7].

واشتغل وسمع احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي البصري الاصل المكي الذي (كان حيا سنة 893 هـ / 1847م) علي التقي ابن فهد وغيره وسافر إلى لبرسواكن قريبا من سنة 870 هـ / 1465م فانتفع منه اهل تلك البلاد[8]. وسمع على السخاوي في مكة احمد بن ابراهيم ابن عبد الله البصري[9] المذكور آنفا ايضا.

---

(1) الخوانساري: المصدر السابق، جـ1، ص72–74. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص69، 105.

(2) الحلي: المرجع السابق، جـ2، ص91. شبر: المرجع السابق، جـ4، ص233.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص27.

(4) المصدر نفسه، جـ8، ص67–69.

(5) المصدر نفسه، جـ10، ص17.

(6) المصدر نفسه، جـ1، ص7، 129.

(7) المصدر نفسه، جـ6، ص274.

(8) المصدر نفسه، جـ1، ص360.

(9) المصدر نفسه، جـ1، ص196.

2ـ التصوف:

لقد شهدت الحقب التالية للعصر العباسي الاخير ميلا كبيرا نحو الزهد والتصوف، واصبحت الطرق الصوفية تمثل احدى الاتجاهات الفكرية الرئيسة التي لازمت الحياة في العراق في حقبة تسلط التركمان، واصبح لها تأثير واسع وعميق على العقول والعواطف.

ويرجع ازدهار الطرق الصوفية إلى افتقاد الناس للعدل الاجتماعي وشعورهم بالظلم والجور والحرمان على ايدي حكام اجانب اتسمت سياستهم بالتعسف وعدم مراعاة احكام الشرع الاسلامي، وما رافق ذلك من كوارث طبيعية وبشرية، فكان انتشار التصوف بمثابة رد فعل لتلك السياسات والكوارث التي حلت بهم فزاد ارتباطهم بشيوخ التصوف الذين اصبحت لهم الزعامات الروحية على الصعيد الشعبي بعد ان غابت مكانة الزعماء السياسيين في النفوس فاتيانهم بالخوارق والكرامات دفع الناس إلى التعلق بهم لحل مشكلاتهم من عالم الغيب عن طريق المرموز والتعاويذ.

ويبدو ان حكام القره قوينلو ادركوا هذه الحقيقة، لذا عملوا على ترويج الطرق الصوفية خدمة لمصالحهم عن طريق زرع روح اليأس والجهالات في نفوس الناس، وذلك بالاستعانة بالدراويش والمنجمين لتحقيق اغراضهم، فكان الدرويش شاه علي بن اسكندر يدور في البلاد ويروج الاشاعات التي تخدم حكام القره قوينلو[1]، وكذلك فعل الدرويش ذو النون الذي كانت له تكية في شمال العراق، وعمل الدرويش عبد الله الأسود افعالا لا تتماشى مع تعاليم الاسلام لحاكم بغداد القره قوينلوي شاه منصور زينل[2]. وجميع الذين ذكرناهم كانوا معززين مكرمين عند حكام القره قوينلو، والبعض منهم كالدرويش شاه علي كوفئ بتعيينه حاكما على الحلة[3] لجهوده التي ذكرناها.

كما ان حكام القره قوينلو دعموا الطرق والحركات الصوفية التي تحللت من الفرائض الدينية كالطريقة القندرية والحيدرية التي وردت العراق من ايران، واخذ هؤلاء الحكام يقلدون اصحاب هاتين الطريقتين في المظهر بحلق رؤوسهم ولحاهم واطلاق شواربهم[4]، كما دعموا الحروفية المنسوبة إلى فضل الله بن عبد الرحمن الاستراباذي المعروف بفضل الله الحروفي (741 – 796 هـ / 1340 – 1393م) الذي ادعى المهدوية في ايران ونشر منها طريقته في باقي البلدان، وطريقته تعد من أشد الطرق الصوفية الباطنية الهدامة التي استهدفت ضرب الاسلام

---

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص332.

(2) المصدر نفسه، ص336.

(3) المصدر نفسه، ص332–333، 336.

(4) العاني: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان، ص10–11.

وتفتيت المجتمع من الداخل متسترة في ذلك بالعديد من الرموز الفلسفية والصوفية وتأويل مختلف الآيات والأحاديث والأقوال المأثورة[1]. وقد قويت هذه الحركة في ذلك العهد كثيرا بحيث جاهر قادتها بالالحاد وترك الصلاة واسقاط التكاليف الإسلامية[2]، معتمدين في دعوتهم هذه على الحماية التي وفرها لهم حكام القره قوينلو لا سيما قره يوسف الذي قرب زعيمهم علي العلا[3] وبير بوداق الذي اعطى لواحد من قادتها وهو الامير علي كيوان حكم بغداد نيابة عنه في اثناء خروجه من بغداد إلى شيراز سنة 856 هـ / 1452م[4].

وتلتقي مع الطرق التي ذكرناها آنفا في الغلو والمهدوية الطريقة العدوية[5] والمشعشعية، وكان لكلتا الطريقتين اتباع في العراق في ذلك العهد. واذا كانت هذه الطرق قد الحقت الضرر بالاسلام، فان ذلك لا ينسحب على الطرق القادرية والرفاعية والسهروردية[6] التي لم يدخلها شيء من العقائد الباطنية[7]، فبقيت اهدافها تتركز على محبة الله بالترديد الدائم والذكر المتصل لاسم الله ومنهجها رياضة النفس ومجاهدتها بالزهد وكانت لبعض شيوخ هذه الطرق اسهامات في نشر الاسلام بين الجماعات البوذية وغيرها في الهند[8]. فالشيخ غوث الدين

---

(1) الشيخ اسحاق افندي: رسالة كاشف الاسرار ودافع الاشرار (سنة الطبع 1280 هـ)، ص3-5. الشيبي: المرجع السابق، ص179-184. رؤوف، عماد عبد السلام: التحدي الجلائري، موسوعة العراق في مواجهة التحديات، جـ3، ص17-21.

(2) الشيبي: المرجع السابق، ص187.

(3) Amoretti: op. cit., Vol. 6, p. 624.

(4) الغياثي: المصدر السابق، ص308. وأشار الشيبي إلى اسماء قادة الحروفيين في العراق في ذلك العهد وهم الامير علي كيوان والدرويش صدر ضياء والدرويش حمد ناطق وحاج عيسى بدليسي وحسن حيدري وحسن تيركر وسيد تاج الدين وسيد مظفر والتحق بهم عزيز جاني ومحمد تيدكر في صحبة الامير نور الله. الفكر الشيعي، ص187. وكان ابرز قادة هذه الحركة قد قتل في حلب سنة 820 هـ ويدعى نسيمي البغدادي التركماني. وللتفاصيل عن نسيمي، انظر: العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص45-54.

(5) تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الذي انتشرت طريقته في مناطق شمال الموصل خلال عهد الزنكيين وقد جاوز اتباعه اعتقادهم فيه حدود المعقول فأصبح قبلتهم التي يصلون اليها، وذخيرتهم في الاخرة التي يعولون عليها لاعتقادهم انه الذي يرزقهم، وتركوا الصلاة واستباحوا المحرمات، وللتفاصيل، انظر: ابن كثير: المصدر السابق، جـ12، ص143. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص36-38.

(6) عن هذه الطرق، انظر: العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص124-127. طوني: المرجع السابق، ص145-155.

(7) العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص126. وانظر: طوني: المرجع السابق، ص145-155.

(8) طوني: المرجع نفسه، ص154.

القاهري البغدادي المتوفى سنة 815 هـ / 1412م قد ترك بغداد قاصدا الهند، فاستقر مقامه في مدينة احمد آباد فأسس فيها مدرسة دينية، وكان عالما محدثا فقيها زاهدا أفاد منه خلق كثير واخذ عنه بعض مشايخ الهند كالشيخ يعقوب بن خواندمير الكجراتي[1]. وتبعه الشيخ ابراهيم بن احمد بن الحسن الشريف الحسني الكيلاني البغدادي – احد المشايخ البارزين في القرن التاسع الهجري – اخذ عن جده في بغداد ثم قدم الهند وساح فيها، وكان يدرس ويفيد وله شروح على (معالم التنزيل في تفسير القرآن) و (جامع الأصول) و (صحيح البخاري) و (السنن لأبي داود) في الحديث، و (العوالم للجنيدي) و (الملهمات القادرية) في التصوف[2].

ومن علماء التصوف العراقيين الآخرين الذين استقر مقامهم في الهند الشيخ زين الدين الصفوي البغدادي (767 – 861 هـ / 1365 – 1456م) الذي نشأ في بغداد وأخذ العلم عن مشايخها ثم هاجر إلى الهند فاستقر مقامه في مدينة دلهي، وتبعه والده الشيخ محمد بن ابراهيم فأخذ عنه الطريقة ثم ترك دلهي ليقيم في مدينة احمد آباد، وفيها اشتغل بالذكر والفكر والارشاد وأخذ عنه خلق كثير ووصف بانه كان عظيم الورع شديد التعبد، له كرامات نادرة[3].

وكان لهذه الطرق في العراق شيوخها في ذلك العهد فشيخ الطريقة القادرية كان الشريف عبد الرزاق بن عبد الله محمد بن القاضي عماد الدين وينتهي نسبه بالشيخ عبد القادر الكيلاني[4]. وشيخ الطريق الرفاعية كان السيد محمود الملقب بالبصري الرفاعي (816 – 873 هـ / 1413 – 1468م) وقد وصف بانه امام في الفقه الشافعي وحجة في التصوف والكرامات[5]. ومن شيوخ السهروردين في التلقين والذكر والفقه الشهاب السهروردي[6] وعبد الرحمن بن عبد المحمود السهروردي[7]. اما الشيخ احمد السهروردي فقد كان له شأن كبير في مقاومة الاحتلال القره قوينلوي لبغداد وذهب ضحية هذه المقاومة عندما قتله الشاه محمد بن قره يوسف سنة 814 هـ / 1411م[8].

---

(1) السامرائي، يونس الشيخ ابراهيم: علماء العرب في شبه القارة الهندية، بغداد، 1986، ص166.

(2) المرجع نفسه، ص214.

(3) المرجع نفسه، ص142.

(4) السخاوي: التبر المسبوك، ص293.

(5) الرفاعي، السيد احمد: المجالس الرفاعية، تحقيق: السيد محمود السامرائي الرفاعي، ط1، مطبعة الارشاد، بغداد، 1971م، ص170.

(6) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص307.

(7) المصدر نفسه، جـ2، ص119.

(8) الغياثي: المصدر السابق، ص247.

وتورد المصادر اسماء علماء عراقيين متصوفة آخرين خدموا الاسلام والفكر العربي الاسلامي امثال عبد الملك بن سعيد بن الحسن نظام الدين البغدادي الشافعي (749 – 824 هـ / 1348 – 1421م) الذي تنقل بين بغداد ومكة والمدينة المنورة والقدس وسمع من مشايخها وأفاد منهم ومهر بالفقه وطرق الصوفية[1]. واشتغل علي بن احمد بن محمد العلاء بالتصوف والفقه واصوله والنحو والمنطق وصنف تفسيرا وشرحا على الحاوي، ثم ترك بغداد، وقطن مكة المكرمة بعد سنة 830 هـ / 1426م[2]. وكان عبد السلام بن احمد القيليوي المتوفى سنة 859 هـ / 1454م زاهدا، واخذ عن شيوخ بغداد العلوم وبرع في الفقه وفن الاصول والكلام والعربية والمعاني والبيان والمنطق والجدل[3]. ونال علي بن محمد بن الصفي العلاء بن الصدر ابن الصفي شيخ الصوفية في العراق محبة الكثير من العراقيين لزهده وتدينه، وقد حج مع جمع من اتباعه وجاور بمكة مدة من الزمن ثم دخل القدس ليوافيه فيها اجله في ربيع سنة 832 هـ / 1428م[4].

ثانيا: علوم اللغة العربية وآدابها

من المعلوم ان علوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة وأدب لا تنمو ولا تزدهر في ظل الحكومات الاجنبية غير متحضرة كالقره قوينلو والآق قوينلو الذين اصبحوا بحكم اعتمادهم اللغة الفارسية وآدابها لا يتذوقون طعم نتاجات اللغة العربية وآدابها. وعلى الرغم من ذلك وعلى قلة عدد رجال هذه العلوم فقد برز منهم من تمكن من الحفاظ على استمرار النتاجات اللغوية والأدبية ووقف ضد محاولة تفريس الثقافة العربية في العراق. ومن هؤلاء الزين عبد الرحمن بن عمر البغدادي الذي أخذ عنه احمد بن اسماعيل بن عثمان بن رشيد شرف الدين المعروف بشهاب الدين الشهرزوري (813 – 893 هـ / 1410 – 1487م) النحو والمعاني والبيان والعروض وقد استوعب شهاب الدين هذا العلوم المذكورة ومهر فيها، كما مهر في المنطق والعقليات ونظم قصيدة في علم العروض بستمائة بيت مع قصائد أخرى[5].

وكان جبريل بن صالح بن اسرائيل البغدادي علامة في العربية والمعاني والأصول وانتفع منه المؤرخ المصري بدر الدين العريني المتوفى سنة 854 هـ / 1450م[1].

---

(1) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص84-85.

(2) المصدر نفسه، جـ2، ص189.

(3) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر: نظم العقيان في أعيان الأعيان، حرره: فيليب حتى، المطبعة السورية الامريكية، نيويورك، 1927، ص128-129.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص29-30.

(5) المصدر نفسه، جـ1، ص241-243. الشوكاني: المصدر السابق، جـ1، ص39-41.

وبرع محمد بن قاضي قضاة بغداد تاج الدين احمد بن محمد بن احمد النعماني البغدادي (805 – 867 هـ / 1402 – 1462م) في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول وشارك في الفقه[2]. ووصف عبد المنعم بن محمد ابن عبد المولى بن عبد القادر بن عبد الله البغدادي الحلي المولود ببغداد سنة 772 هـ / 1370م بالأديب وقد طاف بلادا عدة وامتدح بعض الملوك وقد التقاه ابن فهد في القاهرة سنة 838 هـ / 1434م وكتب عنه من نظمه:

أضحت سلاطين الهوى جائرة ... من جورهم ها أدمعي جارية

في حب خود تيمتني بخال ... في خدها الوردي يا عم خال

نظرتها تهتز فن فوق خال ... همت وقلت مثلها ما تخال[3]

وقرأ علي بن عثمان بن حسين بن محمد بن عيسى الربعي العراقي الشافعي المولد سنة 801 هـ / 1399م بالعراق الكافية في النحو، كما قرأ على النجم عبد القادر بن عمر السكاكيني الواسطي مقامات الحريري قراءة تحرير واتقان، وسمع السخاوي منه قصيده سنة 850 هـ / 1446م امتدحه فيها مطلعها:

اشكر رب العلاء احمد ... ان خلف الشافعي احمد

مجتهد العصر في زمان ... لم يبق في أهله مقلد

كما سمع منه قصيدة نبوية في سبعين بيتا مطلعها:

انافس في مدح الرسول بأنفاسي ... فأني به ارجو النجاة من الناس[4]

وجمع محمد بن الحصير البغدادي المتوفى سنة 892 هـ / 1486م بين الفقه والنحو والشعر، ومن نظمه:

لما تجافى تجافى الصبح والغسق ... وحين وافى توافى الصبح والشفق

---

(1) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابي الفضل ابراهيم، ط1، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، 1964م، جـ1، ص484.

(2) السخاوي: الضوء اللامع، جـ7، ص46–47.

(3) المصدر نفسه، جـ5، ص89.

(4) المصدر نفسه، جـ5، ص258–259.

وهبــك بالليــل مغتاضــا لزورتــه		فليـت شـعري مـا للـصبح ينفلـق[1]

ووضع ابو سعيد شعبان بن شمس الدين محمد بن شرف الديـن داود القرشي الموصلي المتوفى سنة 828 هـ / 1424م كتابا في البلاغة سماه (بديع البديع في مدح الشفيع)[2].

واشتغل محمد بن داود الشيخ الامام شمس الدين ابو عبد الله البازلي المولـود سـنة 845 هـ / 1441م في جزيرة ابن عمر شمال الموصل على الكافيـة في النجـو لابـن الحاجـب والتصرف للعزى، وأخذ المعقولات عن ملا ظهير قبل انتقالـه إلى الـشام سـنة 870 هــ / 1465م[3].

وللشاعر الأديب الشيخ تاج الدين الحسن بن راشد الحلي الذي (كـان حيـا سـنة 830 هــ) قصائد شعر كثيرة في مدح الأئمة، كما له ارجوزة في تاريخ الملوك والخلفاء واجـوزة في تـاريخ القاهرة، ومن شعره:

نعـم يـا سـيدي قـد جئـت ذنبـا		حملـــت بفعلـــه عبئـــا ثقـــيلا

وهـــا أنـــا تائـــب منـــه مقـــر		به لـك فاصـفح الـصفح الجميلا[4]

وقصر الشيخ صالح بن عبد الوهاب المعروف بابن العرندسـق (المتـوفى في الحلـة سـنة 840 هـ) شعره على رثاء اهل البيت، ومن شعره:

ايـا بـني الـوحي والتنزيـل يـا أملـي		يـا مـن ولاكـم غـدا في القـبر يؤنـسني

حزنـي علـيكم جديـد دائـم ابـدا		مـا دمـت حيـا إلى ان ينقـضي زمـني

ومـا تـذكرت يـوم الطـف رزأكـم		الا تجـدد لـــي حـــزن علـــى حـــزن

وأصبح القلـب مـني وهـو مكتئـب		والـدمع منـسكب كالعـارض الهـتن[5]

---

(1) العمري: غاية المرام، ص257.

(2) العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1961م، جـ1، ص221.

(3) الغزى: المصدر السابق، جـ1، ص47.

(4) شبر، المرجع السابق، جـ4، ص270، 272.

(5) المرجع نفسه، جـ4، ص291.

ووصف الشيخ مغامس بن داغر المتوفى في الحلة سنة 850 هـ / 1446م بانه شاعر طويل النفس بديع النظام حلو الانسجام ومن شعره في احدى قصائده النبوية:

فتارة أنظم الأشعار ممتدحا وتارة انثر الأقوال في الخطب

اعملت في مدحكم فكري وعلمني نظم المديح وأوصاني بذاك أبي[1]

ونظم محمد بن حماد الحلي (المتوفى في الحلة اواخر القرن التاسع الهجري) قصائد في مدح أهل البيت منها قصيدة مطلعها:

اهجرت ياذات الجمال دلالا وجعلت جسمي بالصدور خيالا

وسقيتني كأس الفراق مريرة ومنحت عذب رضابك السلسالا[2]

ونظم احمد بن احمد بن محمد بن محمد القرشي الزبيري البصري المتوفى سنة 856 هـ / 1452م قصائد في مدح النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – منها قصيدة مطلعها:

الا ليت شعري هل ارى لي عودة إلى المصطفى فهو البشير محمد

أقبل مثواه والثم تربه واشكر ربي عند ذاك واحمد

وقد التقاه السخاوي وسمع منه بعض نظمه[3]. ونظم الشعر ايضا ابراهيم ابن ابي بكر بن يوسف كمال الدين البصري (804 – 859 هـ / 1401 – 1454م) وقد التقاه السخاوي في مكة وسمع منه قصيدة مطلعها:

أيا ليت شعري هل أبيتن ليلة بروضة خير المرسلين محمد

نبي له الله اصطفى من عباده وأرشدنا منه إلى كل مقصد[4]

---

(1) المرجع نفسه، جـ4، ص296.

(2) المرجع نفسه، جـ4، ص310.

(3) السخاوي: الضوء اللامع، جـ1، ص223.

(4) المصدر نفسه، جـ1، ص36.

وقد عني عطاء بن عبد العزيز بن عبد الحكيم بن عبد الله القحطاني البصري الشافعي الذي عرف بابن اللوكه (794 – 860 هـ / 1391 – 1455م) بالأدب وطالع دواوين اربابه ونظم الشعر الجيد ومن نظمه:

لما تبدى وقد أكبرت صورته بدر يحير المعنى في معانيه

فقلت بالانماتي في محبته فذلكن الذي لمتنني فيه[1]

وامتحن عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن زيد البصري على يد المشمشع سنة 863 هـ / 1458م، ففر منهم إلى مكة وفيها كتب قصيدة عبر فيها عن شوقه وحنينه للبصرة وعن جور المشعشعين وظلمهم لأهلها ومطلعها:

هي البصرة الفيحاء لازال ذكرها جديدا لأهليها لدى الخلق اجلال

فقد كانت الفيحاء للعين نزهة وللقلب جنات بها ينعم البال

ففارقتها بالرغم مني مخافة على الدين من قوم بضد الهدى قالوا

بغوا وعتوا في الارض واشتد وطؤهم على اهلها والله ما شاء فعال

رماني لديهم ثم انقذ منعها علي له بالعبد من وأفضل

وكان عبد الله اماما فاضلا عارفا بالفرائض والحساب والعروض ذا نظم كثير حسن ومشاركا في الفقه والعربية ومن مؤلفاته (فتح الرحمن في مسألة دور الضمان) توفي في مكة سنة 893 هـ / 1487م[2].

ثالثا: التاريخ والأنساب

من المؤرخين العراقيين الذين وصلتنا اخبارهم عبد الله بن الفتح الله البغدادي الملقب بالغياثي الذي كان حيا سنة 895 هـ / 1491م قد عاش شطرا من حياته في بغداد في عهد القره قوينلو ثم تركها إلى حلب تخلصا من الظلم والاضطهاد وفي حلب كتب عن اخبار العراق وحوادثه وجمعها في كتاب سماه (التاريخ الغياثي) الذي يعد من أهم المصادر التي تبحث عن

(1) المصدر نفسه، جـ5، ص147.

(2) المصدر نفسه، جـ5، ص30-31.

تاريخ العراق بعد الغزو المغولي وليس هناك مصدر يضاهيه في معلوماته عن العراق بالعربية أو الفارسية أو التركية، وقد كتب تاريخه وفقا لأسماء الدول الحاكمة ولكونه يعرف الفارسية فقد ضمن كثيرا من نصوصها في كتابه واستعمل التواريخ والأشهر المغولية والفارسية إلى جانب التاريخ الهجري[1]، وفضلا عن كتابه هذا كانت له اسهامات أدبية[2] ومعرفة بعلم الجبر والنجوم وقام بترجمة العديد من الكتب الفارسية إلى العربية، منها كتاب (تاج المداخل في علم النجوم) لأبي جعفر محمد بن عبد الله الشريفي[3].

وكان لعلي بن عبد الحسن بن عبد الدائم بن عبد المحسن النجم أبي السعادات البغدادي القطعي الحنبلي المعروف بابن الخراط (779 – 862 هـ / 1377 – 1461م) استعداد واتسحضار لكثير من التاريخ والأدبيات والشعر الماجن[4].

وفي الانساب اشتهر المؤرخ العراقي جمال الدين احمد ان علي بن الحسين بن علي المعروف بابن عنبه، ومن كتبه (عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب)[5]. وكان من العلماء الذين نقلهم تيمورلنك إلى حاضرته سمرقند حيث ألف كتابه فيها وضمنه معلومات قيمة عن تاريخ العراق ومنها انتقل إلى كرمان حيث وافاه الأجل فيها بسنة 828 هـ / 1424م[6].

---

(1) عن الغياثي وتاريخه، انظر كتابه: التاريخ الغياثي ومقدمة المحقق. وكذلك، انظر: الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص189.

(2) العزاوي: تاريخ الأدب، جـ1، ص277.

(3) الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص190.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، جـ5، ص255-256.

(5) الكتاب المطبوع في النجف، سنة 1961م، وكان المؤلف قد فرغ من تأليفه سنة 814 هـ انظر: الكتاب، ص13.

(6) انظر: عمدة الطالب، ص12. العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص73. الحمداني: التدوين التاريخي في العراق، ص187.

رابعا: فنون الموسيقى والغناء

يشير فاروق سومر إلى ان قره يوسف كان ذواقا للموسيقى[1]، ويبدو ان بلاطه قد ضم بعض العراقيين ممن برعوا في هذا الفن، ففي تبريز كان يقيم القطب الموصلي الذي كان نديما لميرانشاه وصفه ابن عربشاه بانه "اعجوبة الزمان الدوار واستاذ الموسيقى والادوار اذا استطق البراعة أسكت اهل البراعة، واذا وضع الناي بقيه سحق عود اسحاق وأبيه، وان أخذ في الأغاني اغنى عن الغواني، تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني انيني، فتشير براعته بالأصبع وتقول على عيني ثم ينفخ فيها الروح فيشفى كل قلب مجروح... قيل انه كان يؤدي جميع الأنغام والفروع والمركبات والشعب والأصول..."[2].

وكان نظام الدين عبد القادر الغيبي البغدادي (المتوفى سنة 838 هـ / 1434م) صاحب صوت عذب في الغناء ومعرفة عالية بالموسيقى وموهبة في فنون عديدة أخرى[3].

كما كان احمد بن محمد الشهاب التلعفري ثم الدمشقي استاذا في الضرب على القانون[4].

خامسا: الطب

لا حاجة لتكرار اسماء العلماء العراقيين الذين كانت لهم إلى جانب تخصصاتهم الأصلية في علوم الدين واللغة اسهامات في علوم الفلسفة والرياضيات والفلك ممن سبقت الاشارة اليهم. اما في ميدان الطب، فقد برزت مجموعة من العلماء بعض منهم حظي برعاية حاكم بغداد القره قوينلوي الشاه محمد فكان المتغلب على دولته طبيب نصراني يعرف بعبد المسيح توفى سنة 836 هـ / 1432م بلسعة زنبور والغياثي يستغرب ذلك ويقول متندرا أن حكيما يدعى انه بقراط الوقت يموت من لسعة زنبور. وقيل في النوادر الطبية ان الزنبور اذا سقط على الفأر ثم لسع انسانا فانه يموت[5]. وكان ابو علي يمتهن حرفة الجراحة في بغداد،

(1) Kara Koyunlular, 1, cilt, s, 86.

(2) عجائب المقدور، ص79.

(3) الخوافي: المصدر السابق، جـ3، ص275.

(4) السخاوي: الضوء اللامع، جـ2، ص217.

(5) التاريخ الغياثي، ص252. وانظر كذلك: العزاوي: تاريخ العراق، جـ3، ص91.

وكانت له بسطة فيها، ثم انتقل إلى الأنبار ومنها إلى الحلة حيث اصبح حاكما عليها مدة ثلاثة اشهر وعشرين يوما في سنة 824 هـ / 1421م[1]، وقد أورد الغياثي ذكرا لعملية جراحية اجريت في عهد اسبان لشخص يدعى خواجه ولي الذي تعرض لضربة نافذة في عنقه فنقل إلى بغداد وخيط جرحه وعاش بعد ذلك اربعين سنة[2]، وكان لأسبان عدد من الأطباء يعالجونه من مرض القولنج المزمن الذي كان قد ألم به[3].

وقد ذاعت شهرة الطبيب العراقي محمد بن عمر بن ابي بكر البغدادي في القاهرة بعد ان هاجر اليها عقب الاحتلال القره قوينلوي لبغداد وفيها عالج السلطان المصري المؤيد شيخ من مرض اصابه[4]. وكتب طاهر بن يونس الموصلي سنة 835 هـ / 1431م رسالة في الطب للمحال عبد الله علي بن أيوب وقد اطلع عليها السخاوي[5]. وتولى يحيى بن محمد بن يحيى بن يوسف البغدادي المتوفى سنة 833 هـ / 1425م البيمارستان المنصوري في القاهرة وكان قبل هجرته قد ألف في بغداد كتابا في الطب[6]، وتتلمذ على الموفق الهمداني في المعرفة الطبية عفيف الدين ابو المعالي علي بن عبد المحسن البغدادي المتوفى سنة 858 هـ / 1454م[7] ووضع حسن بن نوح القمري البرواري[8] المتوفى سنة 862 هـ / 1457م كتابا في مصطلحات الطب[9].

وفضلا عن هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم كان هناك علماء عراقيون آخرون لم تشر المصادر إلى نوع الجوانب المعرفية التي عرفوها أو اشتهروا بها مكتفية بذكر اسمائهم ومنهم:

(1) الغياثي: المصدر السابق، ص138-139.
(2) المصدر نفسه، ص261.
(3) المصدر نفسه، ص279.
(4) السخاوي: الضوء اللامع، جـ8، ص242.
(5) المصدر نفسه، جـ4، ص6.
(6) المصدر نفسه، جـ10، ص259-261. وانظر: ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص206-207.
(7) السخاوي: الضوء اللامع، جـ5، ص255-256. وانظر: ابن العماد: المصدر السابق، جـ7، ص293.
(8) برواري: نسبة إلى منطقة برواري باله التي تقع شمال العراق بين العمادية وزاخو.
(9) العباسي: امرة بهدنيان العباسية، مطبعة الجمهورية بالموصل، 1969م، ص166.

1- فضل الله بن نصر الله بن احمد البغدادي الحنبلي اخو المحب الذي سبقت الاشارة اليه (توفى سنة 828 هـ / 1424م) وكان قد ترك بغداد وطاف في بلدان عدة كالهند والحبشة ومكة، ثم استقر مقامه في القاهرة، وتولى مشيخة المدرسة الخروبية[1].

2- احمد بن عبد الرحيم بن احمد بن علي بن احمد الشهاب بن التاج ابي الفضل البغدادي، وكان يعرف بابن الفصيح تعاطى التجارة ثم عمل نقيبا للحكم الحنفي في دمشق، ثم سكن القاهرة ومات فيها سنة 828 هـ / 1424م[2].

3- عبد الله بن محمد بن محمد الجمال العراقي[3].

4- ابراهيم بن احمد بن حسين الموصلي ثم المصري نزيل مكة[4].

5- ابراهيم بن ابي بكر عبد الله الموصلي الماجوزي[5].

6- احمد بن دلامة الخواجا الشهاب البصري ثم الدمشقي الذي أنشأ مدرسة بصالحية دمشق ومات سنة 853 هـ / 1449م[6].

7- علي بن احمد الاربلي، توفى بمكة سنة 903 هـ / 1497م[7].

---

(1) ابن حجر: انباء الغمر، جـ3، ص359. السخاوي: الضوء اللامع، جـ6، ص173.

(2) السخاوي: المصدر نفسه، جـ1، ص335-336.

(3) المصدر نفسه، جـ5، ص66.

(4) المصدر نفسه، جـ1، ص13.

(5) المصدر نفسه، جـ1، ص34.

(6) المصدر نفسه، جـ1، ص299.

(7) الغزى: المصدر السابق، جـ1، ص267.

الخاتمة

عالجت هذه الدراسة تاريخ العراق في عهدي القره قوينلو والاق قوينلو، في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، واتضح من الدراسة ان الانكفاء الحضاري الذي كان قد أصاب العراق بعد انهيار الخلافة العباسية على يد المغول الايلخانيين قد ازداد في الحقب اللاحقة لا سيما حقبة البحث بسبب عنف التطاحن السياسي بين الامراء المتنافسين على السلطة وبقاء البلاد في حالة من الفوضى والاضطراب كان ابرز مظاهرها اعمال القتل والابادة الجماعية وتهجير السكان والتخريب ونهب المدن وانتشار الأمراض والأوبئة والمجاعات.

وكشفت الدراسة ان القوى المحلية العراقية متمثلة بآل فضل والمشعشعين قد تمكنت من تحجيم السيطرة السياسية للقره قوينلوية والآق قوينلوية على العراق وحصرته في بعض المدن العراقية الرئيسة، فامارة آل فضل بجهدها السياسي والعسكري قد تمكنت من توسيع نفوذها في جهات العراق الغربية وامتد نفوذها في عهد شيخها عذرا بن علي بن نعير إلى مدينة الحلة سنة 824 هـ / 1421م وفي عهد الشاه حارث إلى الموصل سنة 836 هـ / 1432م. والمشعشعين دخلوا في صراع لا هوادة فيه مع القره قوينلو والآق قوينلو، وتمكنوا من اضعاف هاتين القوتين في وسط وجنوب العراق كما أصبحت بغداد ومدن وقرى حوض نهر ديالى هدفا مستمر لغاراتهم لغرض اضعاف المحتلين سياسيا واقتصاديا.

وقد توصل البحث إلى ان اوضاع العراق على عهد الآق قوينلو لم يختلف كثيرا عما كان عليه واقع الحال في عهد الغزاة الذين سبقوهم فحسن الطويل عند محاصرته بغداد سنة 872 هـ / 1467م بهدف احتلالهم هجر سكان القرى المحيطة بها إلى ديار بكر ولم يترك على حد قول الغياثي نفسا واحدا فيها بهدف اضعاف مقاومة بغداد له. وخلال مدة حكم أمرائه عاش العراق حالة من الصراع السياسي بين الامراء المتنافسين على ولاية بغداد، ومع ما قيل عن اصلاحات حسن الطويل وابنه السلطان يعقوب الاجتماعية والاقتصادية، فان المعلومات لا زالت غير واضحة المعالم في ما يخص العراق منها على الرغم من ان البدليسي قد ذكر انها قد طبقت في العراق دون ذكر التفصيلات.

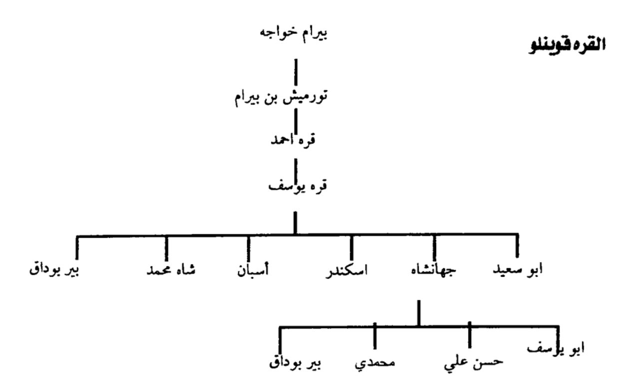
ان القره قوينلو والآق قوينلو قد ساروا في نظمهم الادارية وتشكيلاتهم العسكرية على ما كان قائما في العراق في عهد المغول الايلخانيين والجلائريين فكانت البلاد في نظرهم ملكا للعائلة الحاكمة التي يرأسها رئيس العشيرة 'الأولوباي – أو السلطان' الذي هو الحاكم الفعلي للامارة يساعده في ادارة البلاد الصاحب الأعظم أو الوزير ومتولي هذا المنصب كان رئيسا للديوان المركزي الذي يشرف على جميع امور الامارة، وينقسم الديوان المركزي إلى دواوين

متخصصة، وعلى غرار حكومة المركز كان لحكام الولايات الذين هم من ابناء الاسرة الحاكمة دواوين تدار من قبل موظفين خاصين. وكان للقره قوينلو والآق قوينلو جيش دائم يضاف اليه في اوقات الحرب عدد كبير من المتطوعة من ابناء القبائل والعشائر بهدف الحصول على الغنائم.

وفي الجوانب الاقتصادية لم تطرأ تغييرات كبيرة في نظم الاراضي، ولكن حدث توسع في الاقطاع وأصبح يشمل مدنا وأقاليم بكاملها اقتصر منحها لأبناء الاسرة الحاكمة، مع عدم الاهتمام بالزراعة أو الصناعة أو التجارة، فقد انحسرت هذه النشاطات الاقتصادية كثيرا بفعل الفوضى والاضطراب السياسي والنهب والتدمير المعتمد، وزاد من تفاقم الاحوال الاقتصادية كثرة الضرائب القسرية التي كانت تفرض على السكان إلى جانب عمليات المصادرة والنهب. ومع ذلك فقد حافظ العراقيون على نشاطهم النسبي في هذه الجوانب، فبقيت الزراعة محور النشاط الاقتصادي للغالبية العظمى من السكان، ويعزى ذلك إلى امتلاك العراق مقومات الانتاج الزراعي كما بقي الكثير من الصناعات العراقية قائمة، لا سيما في بعض المدن الرئيسة كبغداد والموصل اللتين حافظتا على شهرتهما العالمية في صناعة بعض المتوجات الصناعية كالمنسوجات التي استمر تدفقها إلى الاسواق العالمية.

وبما ان هؤلاء الغزاة كانوا أدنى من العراقيين، حضارة لاقترابهم من البدائية فهم لم يتركوا أثرا ثقافيا في العراق، ولم ينشئوا مؤسسات تعليمية أو ثقافية جديدة ولم يشجعوا التأليف بالعربية، ولم يقربوا العلماء العراقيين، بل لقد اتخذوا الفارسية لغة لدواوينهم وحاربوا الثقافة العربية عن طريق الطعن بالدين الاسلامي وكان الزنادقة والملحدون من حروفيين وحيدريين عونا لحكام القره قوينلو في تنفيذ مقاصدهم. ومع ذلك فقد واجه العراق هذه المحن بصبر وواصل مثقفوه التصدي لتلك الاوضاع كما واصلوا عطاءهم الثقافي وقدموا نتاجات علمية سايرت روح العصر من حيث قيمتها العلمية واللغوية، ولعل شهادة السخاوي بحق عدد كبير من اولئك العلماء تكفي للتدليل على ذلك.

القره قوينلو



الآق قوينلو:

طور علي بيك

فخر الدين قوتلغ بيك

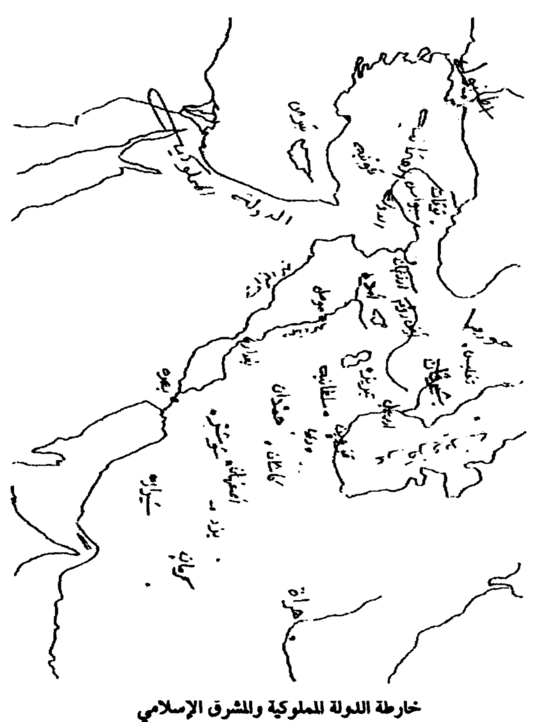
قره عثمان (قره يولك) - احمد بيك

شاه حسين - قاسم بيك - حمزة بيك - علي بيك

حسن الطويل - جهانكير

يوسف - سلطان يعقوب - مقصود - زينل - أوغلو محمد - السلطان خليل - قاسم

الوند - محمد - مراد - رستم - كوده احمد



خارطة الدولة المملوكية والمشرق الإسلامي

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

1- ابن ابي عذية، شهاب الدين احمد بن محمد (توفى سنة 856 هـ / 1452م):
- مختصر التاريخ الكبير، نسخة مكتبة اوقاف الموصل تحت رقم 10 / 15، خزانة حسين بك.

2- ابن تغرى بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (توفي سنة 874 هـ / 1469م):
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي (نسخة المكتبة الوطنية باريس تحت رقم 2072)، نسخة مصورة لدى د. احمد الحسو.

3- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن احمد (توفي سنة 748 هـ / 1347م):
- تاريخ الاسلام، نسخة ميكروفيلم في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم 1803.

4- العيني، بدر الدين محمود (توفي سنة 855 هـ / 1451م):
- تاريخ البدر في اوصاف اهل العصر، نسخة المتحف البريطاني تحت رقم أي، دي، دي 22، 360، نسخة مصورة لدى د. احمد الحسو.

5- مجهول:
- اكسير الذهب في علم النسب، نسخة الخطاط يوسف ذنون، وهي مصورة عن نسخة الاصل التي بحوزة توفيق نعمان الفخري.

ثانيا: المصادر العربية

1- ابن ابي حديد، عز الدين ابو حامد عبد الحميد (توفي سنة 656 هـ / 1258م):
- شرح نهج البلاغة، دار الأندلس، بيروت.

2- ابن الاثير، ابو الحسن بن ابي الكرم الشيباني الجزري (توفي سنة 630 هـ / 1232م):
- الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، 1978م.

3- ابن اياس، محمد بن احمد الحنفي (توفي سنة 930 هـ / 1523م):
- تاريخ ابن اياس المسمى "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، ط1، مطبعة بولان بمصر، 1311م.
- صفحات لم تنشر من بدائع الزهور، دار المعارف، مصر، 1961م.
- المختار من بدائع الزهور، دار الشعب، القاهرة، 1961م.

4- ابن ايبك، ابو بكر بن عبد الله الدواه داري (توفي حوالي سنة 736 هـ / 1335م):
- كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: اولرخ هارمان، مطبعة القاهرة، 1972م.
5- البدليسي، شرف خان (توفي سنة 1012 هـ / 1603م):
- شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، دار احياء الكتب العربيـة، عيسى البـابي الحلبي، القاهرة، 1962م.
6- ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم اللواتي (توفي سنة 776 هـ / 1377م):
- رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، 1964م.
7- ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن يوسف (توفي سنة 874 هـ / 1469م):
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جـ4، تحقيـق: محمـد محمـد أمـين، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م.
- حوادث الدهور في معرفة الايـام والـشهور، تحقيـق: ولـيم بـوبر، جامعـة كاليفورنيـا، 1930 – 1932.
8- ابن جبير، ابو الحسن محمد بن احمد (توفي سنة 614 هـ / 1217م):
- رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981.
9- ابن جعفر، قدامة (توفي سنة 329 هـ / 940م):
- الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتحقيـق: محمـد حـسين الزبيـدي، دار الرشـيد للنـشر، بغداد، 1981م.
10- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (توفي سنة 852 هـ / 1448م):
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة، 1966م.
- انبـاء الغمـر بانبـار العمـر، ط1، تحقيـق: حـسن حبـشي، المجلـس الأعلـى للـشؤون الإسلامية، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1961م.
11- الحميري، محمد بن عبد المنعم (توفي حوالي سنة 900 هـ / 1494م):
- الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عبـاس، ط2، مكتبـة لبنـان، بـيروت، 1984م.
12- الخزرجي، علي بن حسن (القرن 9 هـ / 15 م):
- العقود اللؤلؤية في تـاريخ الدولـة الرسـولية، تحقيـق: محمـد بيـسوني عـسل، مطبعـة الفجالة، القاهرة، 1914م.

13- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (توفي سنة 808 هـ / 1405م):
- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1971م.
14- الخوارزمي، محمد بن احمد بن يوسف (توفي سنة 387 هـ / 997م):
- مفاتيح العلوم، دار النهضة العربية.
15- الدويهي، اسطفانون:
- تاريخ الأزمنة، بيروت، 1951م.
16- رشيد الدين فضل الله الهمداني (توفي سنة 718 هـ 1318م):
- جامع التواريخ، م2، جـ1، جـ2، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرين، دار احياء الكتب العربية، 1960م.
- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان)، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
17- الرفاعي، السيد احمد:
- المجالس الرفاعية، تحقيق: السيد محمود السامرائي الرفاعي، ط1، مطبعة الارشاد، بغداد، 1971م.
18- الرمزي. م. م. (توفي سنة 1130 هـ / 1717م):
- تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، اورنبرغ، 1908م.
19- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (توفي سنة 902 هـ / 1497م):
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
- التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة.
- الذيل على رفع الاصر او بغية العلماء والرواة، تحقيق: جوده هلال، الدار المصرية للتأليف والنشر.
- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشر القدسي، 1349 هـ
20- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (توفي سنة 685 هـ / 1281م):
- كتاب الجغرافيا، تحقيق: اسماعيل العربي، بيروت، 1970م.
21- السيوطي، الامام جلال الدين (توفي سنة 911 هـ / 1505م):
- نظم العقيان في اعيان الاعيان، حرره: فيليب حتي، المطبعة السورية الامريكية في نيويورك، 1927م.
22- ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (توفي سنة 684 هـ / 1285م):

- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى عبارة، الناشر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1978م.
23- الشوكاني، محمد بن علي (توفي بعد سنة 1250 هـ / 1834م):
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
24- ابن الصابوني، جمال الدين ابي حامد محمد بن علي المحمودي، (توفي سنة 680 هـ / 1281م):
- تكملة اكمال الاكمال، تحقيق: مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1957م.
25- ابن صصري، محمد بن محمد (توفي بعد سنة 799 هـ / 1396م):
- الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم م. برينر، جامعة كالفورنيا، بركلي.
26- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (توفي سنة 764 هـ / 1362م):
- الوافي بالوفيات، تحقيق: هلموت ريتر، ط2، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن، 1961م.
27- الصيرفي، علي بن داود الجوهري (توفي سنة 900 هـ / 1494م):
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، 1970م.
- انباء الهصر بانباء العصر، تحقيق: حسن حبشي، دار الفكر العربي، 1970م.
28- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (توفي سنة 709 هـ / 1309م):
- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار بيروت، 1966م.
29- ابن طولون، شمس الدين محمد (توفي سنة 953 هـ / 1546م):
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: محمد مصطفى، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1962م.
30- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين (توفي سنة 873 هـ / 1468م):
- كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، مطبعة الجمهورية، باريس، 1894م.
31- ابن عبد الحق البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن (توفي سنة 739 هـ / 1338م):
- مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية.
32- ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله (توفي سنة 692 هـ / 1293م):

- تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، ط1، الشركة العربية، القاهرة، 1961م.

33- ابن العمري، غريغوريوس الملطي (توفي سنة 685 هـ / 1286م):

- تاريخ الدول السرياني، نشر في مجلة المشرق اللبنانية، بيروت، 1950 – 1956.

34- ابن عربشاه، شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله (توفي سنة 854 هـ / 1450م):

- عجائب المقدور في اخبار تيمور، ط1، مطبعة وادي النيل، القاهرة، 1285 هـ.

35- ابن العماد الحنبلي، ابو فلاح عبد الحي (توفي سنة 1089 هـ / 1678م):

- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت.

36- العمري، احمد بن يحيى (توفي سنة 742 هـ / 1341م):

- التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1312 هـ.

37- العمري، ابن فضل الله (توفي سنة 749 هـ / 1348م):

- مسالك الأبصار في ممالك الامصار، جـ1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924م.

38- العمري، محمد أمين بن خير الله الخطيب (توفي سنة 1233 هـ / 1816م):

- منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1967م.

39- العمري، ياسين بن خير الله الخطيب (توفي سنة 1232 هـ / 1817م):

- غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار منشورات المصري، بغداد، 1968.

- منية الادباء في تاريخ الموصل، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، 1955.

40- ابن العميد، المكين جرجيس (توفي سنة 673 هـ / 1273م):

- اخبار الأيوبيين، تحقيق: كلود كاهن، مجلة المعهد الفرنسي بدمشق، مجلد 15، سنة 1958م.

41- العيني، بدر الدين محمود (توفي سنة 855 هـ / 1451م):

- عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، حوادث سنة 648 – 664، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

- عقود الجمان في تواريخ اهل الزمان – حوادث سنة 815 – 824 هـ تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي، ط1، القاهرة، 1985م.

- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
42- الغزى، الشيخ نجم الدين (توفي سنة 1061 هـ / 1650م):
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.
43- الغساني، الملك الأشرف عماد الدين (توفي سنة 803 هـ / 1400م):
- المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبد المنعم، دار البيان، بغداد، 1975.
44- الغياثي، عبد الله بن فتح الله البغدادي (توفي بعد سنة 891 هـ / 1486م):
- التاريخ الغياثي، تحقيق: طارق نافع الحمداني، مطبعة أسعد، بغداد، 1975م.
45- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي (توفي سن 732 هـ / 1331م):
- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1984م.
- المختصر في اخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية.
46- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (توفي سنة 807 هـ / 1404م):
- تاريخ ابن الفرات، عني بنشره: قسطنطين زريق، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1936م.
47- ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق (توفي سنة 723 هـ / 1323م):
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مصطفى جواد، بغداد، 1351 هـ
- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، جـ4، تحقيق: مصطفى جواد، دمشق، 1965م. وجـ 5، تحقيق: الحافظ محمد، لاهور، 1940م.
48- القرماني، ابو العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي (توفي سنة 1019 هـ / 1610م):
- اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت.
49- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (توفي سنة 682 هـ 1283م):
- آثار البلاد واخبار العباد، دار صادر، بيروت، 1960م.
50- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (توفي سنة 821 هـ / 1418م):
- صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

- مآثر الاناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1964م.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الأيياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

51- الكاشغري، محمود بن حسين بن محمد (الفه سنة 466 هـ / 1073م):
- ديوان لغات الترك، ط5، دار الخلافة العلية، مطبعة عامرة، 1333 هـ

52- الكتبي، محمد بن شاكر، (توفي سنة 764 هـ / 1362م):
- عيون التواريخ، جـ20، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- فوات الوفيات والذيل عليها، جـ3، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

53- ابن كثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل، توفي سنة 774 هـ / 1372م):
- البداية والنهاية، جـ14، مطبعة المعارف، بيروت، 1966م.

54- ماركوبولو (توفي سنة 725 هـ / 1324م):
- رحلات ماركوبولو، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

55- الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (توفي سنة 450 هـ / 1058م):
- الاحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.

56- مجهول، مؤرخ شامي:
- حوليات دمشقية، تحقيق: حسن حبشي، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1968م.

57- مرتضى أفندي، نظمي زاده (توفي سنة 1136 هـ / 1723م):
- كلشن خلفا، نقله إلى العربية: موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف، 1971.

58- المقريزي، تقي الزين احمد بن علي (توفي سنة 845 هـ / 1441م):
- السلوك لمعرفة دول الملوك، قام بنشره: محمد مصطفى زياده، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1041م.

59- النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (توفي سنة 733 هـ / 1332م):
- نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

60- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله الرومي (توفي سنة 626 هـ / 1228م):

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1955م.
61- اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى (توفي سنة 726 هـ / 1325م):
- ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف الإسلامية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1954م.

ثالثا: المراجع العربية

1- الأعظمي، علي ظريف:
- مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م.
2- أدمز، روبرت ماك:
- اطراف بغاد (تاريخ الاستيطان في سهول ديالى)، ترجمة: صالح احمد العلي وآخرين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984م.
3- اسماعيل، احمد جودت بابا بن اسماعيل بن علي:
- تاريخ جودت، ترجمة عن التركية: عبد القادر أفندي، مطبعة جريدة، بيروت، 1308 هـ.
4- أشتور، أ:
- التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبله، دار قتيبة، دمشق، 1985م.
5- أوج اوق، بحريه:
- النساء الحاكمات في التاريخ، ترجمة: ابراهيم الداقوقي، مطبعة السعدون، بغداد، 1973م.
6- بارتولد، و:
- تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1958م.
7- براون، ادوارد جرانفيل:
- تاريخ الأدب في ايران، ترجمة: ابراهيم أمين الشواربي، مطبعة السعادة بمصر، 1954م.
8- بروى، ادوارد:
- تاريخ الحضارات العام، ترجمة: يوسف اسعد، منشورات عويدات، بيروت.
9- بروكلمان، كارل:
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.

10- البستاني، بطرس:
- محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977م.
11- بور، ايلين:
- طوائف ارباب الحرف والتجارة في العصور الوسطى، مقالة منشورة في "تاريخ العالم"، م5، أشرف على ترجمته: ادارة الثقافة بوزارة التربية، مكتبة النهضة المصرية.
12- التكريتي، محمود ياسين احمد:
- الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
13- جمعة، بديع واحمد الخولي:
- تاريخ الصفويين وحاضرتهم، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1976.
14- جواد، مصطفى واحمد سوسه:
- دليل خارطة بغداد المفصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1958م.
15- جواهر الكلام، عبد العزيز:
- آثار الشيعة الامامية، ترجمه إلى العربية: علي جواهر الكلام.
16- الجواهري، عماد:
- صراع القوى السياسية في المشرق العربي، منشورات جامعة القادسية، 1990م.
17- جيمس بكنفهام:
- رحلتي إلى العراق، ترجمة: سليم طه التكريتي، مطبعة أسعد، بغداد، 1968م.
18- الحديثي، فرحان:
- تاريخ الحديثة، مطبعة أسعد، بغداد، 1989م.
19- الحلبي، محمد راغب بن محمود بن هاشم:
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، المطبعة العلمية، حلب، 1924م.
20- الحلي، الشيخ يوسف كركوش:
- تاريخ الحلة، ط1، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1965م.
21- الحلو، علي نعمة:
- الأحواز "عربستان" في ادوارها التاريخية، ط1، دار البصري، بغداد.
22- الحمداني، طارق نافع:
- ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1989م.

23- الحياري، مصطفى:
- الامارة الطائية في بلاد الشام، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1977م.
24- حيدر، جوبان خضر:
- الميثولوجيا التركية، اصدارات معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية، سلسلة الدراسات التركية، 1988م.
25- خصباك، جعفر حسين:
- العراق في عهد المغول الايلخانيين، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1968م.
26- دارج، احمد السيد:
- المماليك والفرنج في القرن 9 هـ / 15 م، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م.
27- الدوري، عبد العزيز:
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974م.
28- رافق، عبد الكريم:
- العرب والعثمانيون، ط1، دمشق، 1974م.
29- الرويشدي، سوادي عبد محمد:
- امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط1، مطبعة الارشاد، بغداد، 1971م.
30- زامباور:
- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن وآخرين، مطبعة جامعة فؤاد الأول، بيروت، 1951م.
31- الزبيدي، محمد حسين:
- امارة المشعشعين أقدم امارة عربية في عربستان، بغداد، 1982م.
32- زكي بيك، محمد أمين:
- خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1939م.
33- السامرائي، يونس الشيخ ابراهيم:
- علماء العرب في شبه القارة الهندية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1986م.
34- سرور، محمد جمال الدين:
- دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947.
35- سعيد، فرحان احمد:

- آل ربيعة الطائيون، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1983م.
36- سليم، محمد رزق:
- عصر سلاطين المماليك، ط2، دار الحمامي للطباعة، 1965م.
37- شمر، جاسم حسن:
- تاريخ المشعشعين وتراجم اعلامهم، مطبعة الآداب، النجف، 1965م.
38- شريف، ابراهيم:
- الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الاسلامي، مطبعة شفيق، بغداد.
39- الشيبي، كامل مصطفى:
- الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، ط1، مكتبة النهضة، بغداد، 1966م.
40- الشيخ اسحاق أفندي:
- رسالة كاشف الأسرار ودافع الأشرار، سنة الطبع، 1280 هـ.
41- الصائغ، سليمان:
- تاريخ الموصل، المطبعة السلفية، مصر، 1923م.
42- الصياد، فؤاد عبد المعطي:
- المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.
- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمداني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967م.
43- طرخان، ابراهيم علي:
- مصر في عصر دولة المماليك الجراسكة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م.
44- العابد، صالح محمد وعماد عبد السلام رؤوف:
- العراق بين الاحتلالين المغولي والصفوي المنشور في كتاب العراق في التاريخ، بغداد، 1983م.
45- العاني، نوري عبد الحميد:
- العراق في العهد الجلائري، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، 1986م.

46- العباسي، محفوظ محمد عمر:
- العباسيون بعد احتلال بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
- امارة بهدينان العباسية، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1969م.
47- العزاوي، عباس:
- تاريخ العراق بين احتلالين، جـ3، مطبعة بغداد، 1939م.
- تاريخ الضرائب العراقية، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1958م.
- تاريخ الأدب العربي في العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1960م.
48- العلي، صالح احمد:
- محاضرات في تاريخ العرب، ط1، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1981م.
49- عمر، فاروق:
- الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، الشارقة، 1983.
50- فهمي، نعيم زكي:
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، المكتبة العربية، القاهرة، 1973م.
51- القزاز، محمد صالح داود:
- الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 1970م.
52- الكتاجي، زكريا:
- الترك في مؤلفات الجاحظ، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
53- الكلداني، بطرس نصري:
- كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان، مطبعة دير الآباء الدومنكيين، الموصل، 1913م.
54- لسترنج، كي:
- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م.
55- لونكرك، ستيفن هيمسلي:
- اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط6، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، 1985م.

56- لين بول، ستانلي:
- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، ترجمة: احمد السعيد سليمان، دار المعارف بمصر، 1972م.
57- المائي، انور:
- الاكراد في بهدينان، مطبعة الحصان، الموصل، 1960م.
58- نوار، عبد العزيز:
- الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.
59- نورس، علاء موسى كاظم وعماد عبد السلام رؤوف:
- امارة كعب العربية في القرن الثامن عشر على ضوء الوثائق البريطانية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982م.
60- هنتز، فالتر:
- المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية.
61- واكيم، سليم:
- امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، بيروت.
62- ولبر، دونالد:
- ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة: النعيم محمد حسنين، مكتبة مصر، القاهرة، 1958م.
63- آل ياسين، الشيخ محمد حسن:
- لمحات من تاريخ الكاظمية، مطبعة المعارف، بغداد، 1970م.
64- آل ياسين، محمد مفيد:
- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري، ط1، الدار العربية، بغداد، 1979م.

رابعا: المصادر والمراجع الفارسية

1- اسفرازي، معين الدين محمد زمجي:
- روضات الجنات في اوصاف مدينة هرات، تصحيح وحواشي: محمد كاظم امام، انتشارات دانشكاه، تهران.
2- اقبال، عباس:
- تاريخ مفصل ايران، مؤسسة جاب وانتشارات امير كبير، 1341 هـ س.
3- ابو بكر الطهراني (حرر هذا الكتاب في سنة 875 هـ / 1470م):
- ديار بكرية، بتصحيح واهتمام: نجاتي لوغال وفاروق سومر، انقرة، 1962م.

4- بياني، شيرين:
- تاريخ آل جلاير، دانشكاه، تهران، 1345 هـ
5- حافظ ابرو، شهاب الدين عبد الله بن لطف الله الخوافي (توفي سنة 838 هـ / 1434م):
- ذيل جامع التواريخ رشيدي، شركة تضامني علمي، تهران، 1317 هـ
6- الخوافي، فصيح احمد بن جلال الدين محمد (توفي سنة 849 هـ / 1445م):
- مجمل فصيحي، بتصحيح وتحشية: محمود فرج، جاب طوس مشهد، 1339 هـ
7- خواندمير، غياث بن همام الدين الحسيني (توفي سنة 942 هـ / 1535م):
- حبيب السير في اخبار افراد البشر، كتابخانه خيام، تهران.
8- الخوانساري الأصبهاني، الميرزا محمد باقر الموسوي:
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، تحقيق: اسد اسماعليان، دار الكتاب العربي، بيروت.
9- الرازي، عبد الله:
- تاريخ كامل ايران، طهران، 1335 هـ
10- روملو، حسن بيك:
- أحسن التواريخ، تصحيح: عبد الحسين نوائي فرمنكستان، أدب وهنر، ايران.
11- شامي، نظام الدين (توفي سنة 807 هـ / 1404م):
- ظفر نامه، بسعي واهتمام وتصحيح: فلكس تاور جاب مطبعة امريكاني در بيروت، 1937م.
12- الشوشتري، سيد نور الله (توفي سنة 1019 هـ / 1610م):
- مجالس المؤمنين، جابخانة اسلامية، تهران، 1376 هـ
13- غفاري، القاضي احمد بن محمد عبد الغفور (توفي سنة 975 هـ / 1567م):
- تاريخ جهان ارا، كتا بفروشي، حافظ، تهران.
- تاريخ نكارستان، كاشاني، تهران.
14- كسروي، احمد:
- تاريخ بانصد ساله خوزستان، تهران، 1312 هـ
15- ميرخواند، محمد حميد الدين بن سيد برهان الدين (توفي سنة 903 هـ / 1497م):
- تاريخ روضة الصفا، تهران، 1339 هـ

16- مينورسكي:
- تاريخ تبريز، ترجمه إلى الفارسية: عبد العلي كارنك، كتابقروشي، تهران، 1337 هـ
17- نطنزي، معين الدين (الف الكتاب سنة 816 هـ):
- منتخب التواريخ معيني، بتصحيح: زان أوبن، كتا بفروشي خيام، تهران، 1336 هـ
18- اليزدي، شرف الدين علي (توفي سنة 850 هـ / 1446م):
- ظفرنامه، بتصحيح واهتمام: محمد عباسي، شركة سامي جاب، زكمين، 1336 ش.

خامسا: المصادر والمراجع التركية

1- ادهم، خليل:
- دول اسلامية، ملي مطبعة، استنبول، 1927م.
2- توحيد، احمد:
- مسكوكات قديمة إسلامية قنا لوفي، قسطنطينية، محمود بك، مطبعة سي، 1321 هـ
3- الشيخ اسحاق أفندي:
- رسالة كاشف الأسرار ودافع الأشرار، سنة الطبع، 1280 هـ
4- عاشق باشا زاده:
- تواريخ آل عثمان، استنبول، 1332 هـ
5- عبد المولى، مصطفى بن احمد:
- كنه الاخبار، اسطنبول، 1277 هـ
6- علي، شرف الدين:
- تيمور تزوكاتي، ترجمه من الفرنسية إلى التركية، مصطفى رحيمي، استنبول، 1339 هـ
7- فريج:
- كردلر، كتبخانه مهاجرين، مديرية عمومي، اسطنبول، 1334 هـ
8- منجم باشي، احمد بن لطف الله المولوي (توفي سنة 1117 هـ / 1701م):
- صحائف الاخبار وهو ترجمة لكتاب جامع الدول من العربية إلى التركية، ترجمة: الشاعر نديم أفندي، مطبعة عامره، 1285 هـ
9- Hinz, Walter: Uzun Hasan Ve Seyh Guneyd Geviren Tevfik Biyiklioglu, Ankara, 1948.
10- Lester abadi, Aziz Bn Erdeshir: Bezm Urezm, Siviem, Marshal Ozturk, Ankara, 1990.

11- Kafes Oglu, Ibrahim: Kara Koyunlu Devlet in ((Turk Dunyasiel kitabi. T. K. A. E. , yayinlarl, 45)).

12- Kara Koyunlu in Islam Ansiklopedisi 6, cilt, milli Egitin pasimew, Istanbul, 1977.

13- Sumer, Faruk: Kara Koyunlular, 1, cilt, Ankara, 1967.

14- Uzuncarsili, Ismail Hakki: Osmanli Devleti Te Skilatina medhal, Maarif matbaasi, Istanbul, 1941.

———— Andolu, Beylirleri Ve AK Koyunlu, Kara koyunlu Devleteri, Ankara, 1969.

سادسا: الرسائل الجامعية الغير منشورة

1- الجابري، محمد هليل:

- امارة المشعشعين، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، في التاريخ الحديث، 1973م.

2- حسين، جاسم مهاوي:

- تاريخ الغزو التيموري للعراق والشام وآثاره السياسية 1285 – 1405م، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1976م.

3- خليل، علاء محمود:

- المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، 1985م.

4- الزهيري، حنان جاسم محمد:

- العلاقات السياسية المملوكية التركمانية خلال عهد دولة المماليك الجراسكة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الموصل، 1991م.

5- السخاوي:

- الذيل التام على دول الاسلام، تحقيق: احمد عبد الله الحسو، وهي رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م.

6- الطوني، يوسف جرجيس جبو:

- جهود العراقيين الحضارية في بلاد الشام ومصر، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1990م.

7- علي، علي شاكر:
- ولاية الموصل في القرن السادس عشر، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1992م.
8- عمر، عماد الدين خليل:
- امارة بني ارتق، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة عين شمس، 1968م.
9- القهواتي، حسين محمد:
- العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975م.
10- محمد، سالم يونس:
- العراق في السياسة المملوكية، رسالة ماجستير (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، 1988م.

سابعا: الموسوعات

(1) مقالات معربة عن دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية):
أرندنك: مادة شريف، م13
ايوار: مادة سلاح دار، م12
بارتولد: مادة الايلخانية، م3
بارتولد: مادة ترك، م5
مورتمان: مادة حسن بزرك، م7
مينورسكي: مادة اوزن حسن، م3
مينورسكي: مادة أويس، م5
مينورسكي: مادة أويس الثاني، م3
هور فتز: مادة أمير الحج، م2
هيوار: مادة اسماعيل الاول، م2
(2) دائرة المعارف بادارة افرام البستاني، بيروت، 1956م:
اتش، احمد: مادة آق قوينلو، م1
(3) موسوعة الموصل الحضارية (ط1، جامعة الموصل، 1992):
1- الحسو، احمد عبد الله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الايلخانية، م2.
2- الحسو، احمد عبد الله: الواقع الحضاري في الموصل في عهد السيطرة الجلائرية، م2.

3- رشاد، عبد المنعم: الموصل في عهد الادارة الاتابكية، م2.
4- رشاد، عبد المنعم: الموصل في عهد السيطرة المغولية الايلخانية، م2.
5- علي، علي شاكر: الموصل في عهد سيطرة دولة الخروف الاسود والخروف الابيض، م2.
6- مراد، خليل علي: تجارة الموصل، م4.
(4) الجيش والسلاح (بغداد، 1987م):
1- الحلو، صادق ياسين: الجيش والسلاح منذ سقوط بغداد حتى العصر العثماني، م5.
(5) حضارة العراق (دار الحرية للطباعة، بغداد 1985م):
1- الجنابي، احمد نصيف: علوم القرآن الكريم، جـ11.
(6) العراق في مواجهة التحديات (بغداد 1988م):
1- رؤوف، عماد عبد السلام: التحدي الجلائري، جـ3.

ثامنا: المعاجم

1- المعجم اوغلو، عبد اللطيف وآخرين:
- المعجم التركي العربي، منشورات مديرية الثقافة التركمانية، الجمهورية العراقية، 1982م.
2- التونجي، محمد:
- المعجم الذهبي (فارسي، عربي)، دار العلم للملايين، بيروت.
3- عميد، حسن:
- فرهنك عميد (فارسي فارسي)، سارزمان جاب وانتشارات جاويدان.
4- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (توفي سنة 711 هـ / 1311 ك):
- لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1955م.

تاسعا: المقالات والبحوث المنشورة في المجلات والدوريات

1- اوبان، جان: تيمورلنك في بغداد، مجلة المورد العراقية، العدد الرابع المجلد الثامن، 1979م.
2- ترزي باشي، عطا: أقدم وثيقة عثمانية عن بغداد، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثامن، 1979م.
3- جواد، مصطفى: المشعشعون ومهديهم، مجلة لغة العرب، جـ9، السنة التاسعة، أيلول، 1931م.
4- الجواهري، عماد احمد: ملاحظات عن الاقطاع وحيازة الأراضي في كردستان في العصور الإسلامية، مجلة كاروان، العدد 34 لسنة 1985م.

5- الحجي، حياة ناصر: العلاقات بين دولة المماليك ودولة مغول القفجاق، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثانية، 1981م، الرسالة الثامنة.
6- الحمداني، طارق نافع: التدوين التاريخي في العراق (656 – 891 هـ / 1258 – 1486م) مع دراسة خاصة عن ابن الفوطي والغياثي، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.
7- الحمداني، طارق نافع: علاقات المماليك المصريين بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع ق 16م، المجلة العربية للعلوم الانسانية، جامعة الكويت، العدد 29، المجلد الثامن، 1988م.
8- خليل، ابراهيم: اوضاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري، مجلة آداب الرافدين، العدد الثامن، 1977م.
9- خليل، نور عبد الحميد: حملات تيمور على بغداد، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الرابع، 1979م.
10- رؤوف، عماد عبد السلام: حكام العراق وموظفوه في عهد المغول الايلخانيين، مجلة المؤرخ العربي، العدد الحادي عشر، بغداد، 1979م.
11- زعين، حسن فاضل بالاشتراك مع نوري عبد الحميد خليل: الثقافة العربية ومراكز العلم في العراق في الفترة الجلائرية، مجلة دراسات الأجيال، العدد الاول والثاني، آب، 1984م.
12- العاني، نوري عبد الحميد خليل: المجتمع والسلوك الجمعي للسكان في العراق في عهد القره قوينلو، بحث (غير منشور).
13- عبود، نافع توفيق: مدارس المدن العراقية خارج بغداد في عهد الاحتلال الايلخاني، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، العدد الاول، دار الحرية، بغداد، 1981م.
14- علي، علي شاكر بالاشتراك مع علاء محمود خليل: دور الموصل والجزيرة الثقافي في مواجهة التحدي المغولي (مقبول للنشر في مجلة المورد).
15- علي، علي شاكر: امارة آل فضل والصراع المملوكي المغولي، مجلة دراسات عربية، العدد الثامن، السنة 1987م.
16- علي، علي شاكر: العراق والغزو القره قوينلو في القرن الخامس عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، العدد 28، السنة الحادية عشرة، 1986م.

17- علي، علي شاكر: دولة الآق قوينلو في الأناضول والعراق (بحث مقبول للنشر في مجلة المؤرخ العربي).
18- علي، علي شاكر: الأوبئة والامراض في الموصل خلال القرن الخامس عشر الميلادي (بحث مقدم إلى ندوة اطباء الموصل في التاريخ العربي الاسلامي والتي عقدت بتاريخ 5-6 آيار 1990م).
19- الفيل، محمد رشيد: الحالة الاقتصادية لمدينة بغداد أثناء الحكم الايلخاني، مجلة كلية الأداب، جامعة بغداد، العدد السادس، 1963م.
20- يكوبوفسكي، أ. يو: تيمورلنك (وصف موجز لسيرة حياته)، ترجمه عن الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة دراسات، تصدرها الجامعة الأردنية، المجلد الخامس عشر، العدد السابع، تموز، 1988م.

عاشرا : المطبوعات الغربية

1. Ashtor, E: Social and Economic History of the Hear East in the middle Ages (London, 1976).
2. -------- The Vention Cotton trade in Syria in the Later Middle Ages in studies on the Cleventine Trade in the Middle ages, London, 1978.
3. Barthold, V. V.: Four Studies on the History of Central Asia, "Leidem, 1962".
4. Bosworth, C. E.: Islamic Dynasties "Edinbaragh, 1980.
5. Brown, Edward, G: A Literary History of Persia "Cambridge university Press, 1964.
6. Al Feel, Muhammed Rashid: The Historical Heography of Iraq between the Mongolian and Ottoman Conquests "Al-adab Press, Negef, 1965.
7. Howorth, Henry. H: History of the Mongols from the 9th to 19th Century "Bart Franklin, New York".
8. Reid, James. J: Tribalism and Society in Islam Iran 1500-1629 "Malibu, California, 1982.
9. Rypka, Jan: History of Iranian Literature "Dordrecht – Holland".
10. Malcom, Sir John: History of Persia, "London, 1814".
11. Mustqwfi of Qazwin, Hamd – Allal: Nazhat – Al – Qulub "Tr. By G. le-strange, leiden, Brill, London, 1919.

Encyclopaedia of Islam "New Edition"

1. Ak Koyunlu, Vol. 1.
2. Kara Koyunlu, Vol. 4.
3. Turkoomans to present day, Vol. 4.

Bullentin of the School of Oriental and African Studies

(B. S. O. A. S.) University of London

1. Minorsky, V: The AQ-Qoyunlu and land Reforms, Vol, XVII, part 3, 1955.

2. ———— A Soyurghal of Qasim B. Jahangir AQ-Qoyunlu "903 / 1498" Vol. IX part 4, 1939.
3. Minorsky, V: Jihan –Shah Qara Qoyunlu and his Poetry, Vol. XVI, part 11, 1954.
4. ———— The Qara Qoyunlu and the Qutb Shahs "Turmenica, 10" Vol. XVII, part, 1, 1955.

The Cambridge History of Iran (C. H. I.)

Cambridge 1986

1. Amoretti, B. S: Religion in the Timurid and Safa id Periods Vol. 6.
2. Romer, H. R: The Turkmen Dynasties, Vol. 6.

Der Oslam, (D. I.)

1. Savory, R. M: The Struggle For Supremcy in Persia after the Death of Timur "Band, 40, Heft, 1, Mai, 1964, Berlin.

Journal of the Royal Central Asian Society (J. R. C. A. S.)

1. Minorsky, V: The Middle East in Western Politics in the 13^{th} 14^{th} and 15^{th} enturies (1940, part 27).







دار غيداء للنشر والتوزيع

تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com